



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي التبسي _تبسة_ الجزائر
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب العربي



الجغرافيا اللغوية لولاية تبسة

دراسة أنيَّة وتاريخيَّة

رسالة مكّمة لنيل شهادة دكتوراه L.M.D تخصص لسانيات تطبيقية

إشراف الدكتور:

رزيق بوزغاية

إعداد الطالب:

منير مسعي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
ربيعة برباق	أستاذ	رئيسا	العربي التبسي _تبسة
رزيق بوزغاية	أستاذ	مشرفا ومقررا	العربي التبسي _تبسة
عبد الرحمن مشنتل	أستاذ محاضر _أ_	مناقشا	محمد الشريف مساعدية_س.أهراس
محمد مباركي	أستاذ محاضر _أ_	مناقشا	العربي التبسي _تبسة
حاج بن سراي	أستاذ محاضر _أ_	مناقشا	العربي التبسي _تبسة
نسيمة نابي	أستاذ محاضر _أ_	مناقشا	العربي بن مهدي _أم البواقي

السنة الجامعية 2021-2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أولت الدراسات اللغوية المعاصرة أهمية بالغة للهجات، ونجد الاهتمام نفسه لدى نظيرتها في العلوم الاجتماعية، لما تحمله اللهجات من مدلولات قيّمة، فيما تزخر به من معلومات إنسانية بالدرجة الأولى، هذا ما جعل اللساني الغربي يُفرد للبحوث التي تُعنى بمعالجة اللهجات، علوماً خاصةً ومناهج علمية يمكن الاعتماد عليها في هذه الدراسات، في الوقت الذي نجد فيه البحث العربي يسعى حثيثاً لتدارك ما سبقه به الغربي، رغم أنّ العرب كانت لهم أسبقية في دراسة اللهجات.

حيث تُعتبر الجغرافيا اللغوية من أحدث العلوم، التي تقارب اللهجات من حيث هي استعمال لغوية، ومن حيث أنّها خصائص متوزعة في مجالات جغرافية، وتصف بنيات اللهجات جغرافياً ولغوياً، وقد أولاهها علماء الغرب أهمية بالغة، وصرفت لها الحكومات مبالغ هائلة لما تحمله هذه الدراسات من أهمية، فهي تدخل في الدراسات الإستراتيجية واللوجستية أيضاً، وقد كان للأطالس اللغوية دوراً فعّالاً في مخططات الحروب، والسياسات الاستدمارية الاحتلالية.

ويسعى الباحثون العرب في هذا العصر إلى تأسيس أطالس لغوية، يُفرد في كلّ منها دراسة خاصةً بخاصية لغوية، للهجة أو مجموعة من لهجات العرب، لكنّ هذه الجهود تعاني من التّعثر في كثير من الأحيان، بسبب عدّة عوامل أهمّها اختلاف وجهات النّظر، وتشتت المفاهيم الخاصة بالمصطلح الواحد، وقد كانت الجهود الجزائرية في هذا المجال العلمي، حثيثة في الآونة الأخيرة، حيث يسعى المخبر اللغوي بجامعة قاصدي مرباح بورقلة؛ إلى تأسيس أطالس لغوية للهجات الجزائر، من خلال تظافر الجهود والآراء والخبرات.

وتعتبر ولاية تبسة ذات أهمية إستراتيجية في الدولة الجزائرية، باعتبار موقعها الجغرافي الهام، فقد كانت همزة وصل بين المشرق والمغرب، وبين إفريقية والمغرب الأوسط، وبين التّل والصحراء منذ قديم الزمان، وهي اليوم نقطة حدودية مهمّة جدّاً، ما أتاح لسكانها

الاختلاط بمجتمعات متنوّعة عبر العصور، وذلك أيضا ما سمح لهم بالتنوّع الإثني واللغوي داخليًا، وهذه المميزات الجغرافية واللغوية لولاية تبسة، تجعلها هدفًا كبيرًا يغري الباحث اللغوي للبحث في تنوعات الخصائص اللغوية وتوزيعها على تراب الولاية، لذلك كان عنوان هذا البحث: **الجغرافيا اللغوية لولاية تبسة _دراسة آنية وتاريخية_.**

هذا ما يفتح مجالًا واسعًا لطرح عدّة إشكاليّات أهمّها: ما هي الخصائص اللسانية للهجات تبسة؟ وكيف تتوزّع جغرافيًا في الوقت الحالي؟ وكيف نشأت هذه اللهجات وتطوّرت عبر العصور؟ وما مدى ارتباطها باللغة العربية الفصحى أو غيرها؟

وهذه الإشكاليّات في حدّ ذاتها سبب لاختيار هذا البحث ودافع، فأهمّ سبب ذاتي وموضوعي في الوقت نفسه؛ هو رغبة الباحث اللغوي في التّحقّق من فاعليّة النّظريات اللسانية، خاصّة التي أرساها علم اللغة العام في بداياته، وحاجة البحث اللغوي إلى دراسات معمّقة في ولاية تبسة، التي طالما هُمّشت رغم أهميّة موقعها وتاريخها، وإضافة عمل أكاديمي للمكتبة العلمية الجزائرية، وخدمة علم اللهجات العربي عامّة، والتّعريف باستعمال لغويّ عربيّ جزائريّ، من خلال مقارنته جغرافيًا آنيًا وتاريخيًا، ومحاولة تسليط الصّوء على الدّراسة الجغرافيّة اللغويّة التاريخيّة، في الجزائر والعالم العربي خاصّة وأنّها لم ينلها الاهتمام حتى الآن من قِبل الباحثين العرب.

ولم تك هنالك دراسات اهتمت بتأسيس أطلس شامل للجزائر، بل كانت جهودًا متفرّقة تهتمّ باللهجات البربريّة، كمحاولة سعيد قرّاب الموسومة بـ: رسم تخطيطي لأطلس لغوي للهجات منطقة القبائل، وكذا مقالات لجون كانتينو Jean Cantineau الكثيرة في الجغرافيا اللغويّة لمختلف مناطق الوطن العربي، منها مقال: الجغرافيا اللغوية للمتكلمين العرب الجزائريين.

كما نجد جهود منّة الفقيوي في علم اللهجات والجغرافيا اللغوية، منها عدّة مقالات دولية، منها: الأطلس اللغوي لأصناف البربر بالريف، وجهود مصطفى بن عبّو في تأسيس أطلس المغرب سنة 2004م رفقة الباحث العالمي بيتر بنستيد Peter Behnstedt؛ هذا الأخير الذي أسّس أطلس شمال اليمن سنة 1985م، وأطلس مصر سنة 1985م رفقة واديش M. Woidich، وأطلس سورية سنة 1993م رفقة أرنولد Arnold. W، وقد كانت الأسبقية لبركستراسر G. Bergsträsser الذي أسّس أطلسا لسورية وفلسطين سنة 1915م.

كما ينبغي ذكر جهود صالح المجري الذي أسّس أطلسا لغويا لتونس، وكذلك جهود الطّيب بكوش وكاثرين تاين الشّيخ في علم اللهجات، أمّا بالنسبة للجغرافيا اللغوية في الجزائر، فلا نجد إلاّ جهودا متفرّقة في دراسة اللهجات والتّأصيل لها، ورسائل تخرّج كثيرة تُعنى بدراسة اللهجات في كل منطقة من الوطن، ومقالات بها جهود محمودة لتأسيس أطلس لغوية جزائرية، مثل مقال جمال الدّين بابا الموسوم ب: نحو أطلس لغوي لألفاظ الأعشاب الطّبية في منطقة تلمسان _قراءة تحليلية_.

هذه الجهود المحترمة زادت في العزيمة والرّغبة، للمضي قدما في هذا البحث، ومحاولة الإحاطة بجميع جوانبه، والوصول إلى إجابات مُرضية على تساؤلاته.

وقد اعتمد البحث على فرضيّة سلاسة اللهجة العربية التبسيّة، وأصالتها العربية وانتمائها لغويًا وجغرافيًا إلى الجزائر، الأمر الذي يمكن أن يجعل المقاربات أكثر فاعليّة للإجابة عن التساؤلات السابقة، فمناسبة العيّات المدروسة وهي المستعملون اللغويون في ولاية تبسة؛ لمتطلّبات البحث تجعل الوصول إلى الحقائق أمرا يسيرا ومتوقّعا، معتمدا على 71 أطلسا لغويًا منها 69 أطلسا لهجياّ أنياّ لولاية تبسة، وأطلسا لتوزّع لهجات بني سليم في الوطن العربي، وأطلسا تاريخيا لهجرة لهجات تبسة، إضافة إلى أربعة أطلس إثنية لسكان

ولاية تبسة، هذه الأطالس التي تُعتبر المدونة التي تتأسس عليها المقاربات المختلفة في هذا البحث.

والهدف الأساس من هذا البحث اللساني؛ هو الوقوف على حقيقة النظرية والتطبيق في علم اللغة عامّة وعلم اللغة التطبيقي خاصة، وتمكين البحث العلمي الجزائري من الحصول على معلومات دقيقة وعلمية، خاصة بالمجتمع التبسي ولغته وخصائصه الاجتماعية واللسانية.

وقد اعتمد هذا البحث على عدّة مناهج، أهمّها المنهجين الآني والتاريخي، اللذين يعتبران محوري الدراسة الجغرافية اللغوية لولاية تبسة، فالمنهج الآني يتخذ هنا عمل المنهج الوصفي، والجغرافيا اللغوية التي يعتبرها كثير من العلماء منهجا لغويا، تعتمد على المنهج التقابلي أيضا، لتمييز الاختلافات اللسانية بين بنيات اللهجات وتوزّعها الجغرافي، بالإضافة إلى المنهج المقارن الذي تحتويه المقاربة التاريخية.

وتمت هيكلة هذه الدراسة بحسب خطة بحث تتكوّن من مدخل نظري، وفصلين تطبيقيين، أمّا الفصل الأوّل فمعنون ب: الخصائص اللغوية للهجات تبسة وتوزيعها الجغرافي _دراسة آنية_، ويضمّ المباحث التالية:

1_ المستوى الصوتي.

2_ المستوى الصرفي.

3_ المستوى النحوي.

4_ المستوى المعجمي الدلالي.

وأما الفصل الثاني فعنوانه: عوامل التشكل الجغرافي اللهجي بولاية تبسة _دراسة تاريخية_، حيث ضمّ المباحث التالية:

1_ الأصول الإثنيّة وتوزّعها في ولاية تبسة.

2_ تطوّر الخصائص اللسانية للهجات تبسة.

3_ عوامل تشكّل اللهجات في ولاية تبسة وأسبابه.

وقد اعتمد البحث على مجموعة من المراجع العربية والغربية، أهمّها أمّهات الكتب ككتاب المُرّهر للسيوطي، وكتاب العبر لابن خلدون، والخصائص لابن جنّي، والأصول في النحو لابن السّراج، ومجموعة من المعاجم منها العين للخليل، ولسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزآبادي، ومجموعة من المراجع منها كتاب أسس اللغة لماريو باي، والمقتضب في لهجات العرب لرياض محمد رياض، وكتاب اللهجات العربية نشأة وتطورا لعبد الغفار حامد...

ومن الكتب الغربية كتاب علم اللهجات لشامبرز وتروودجل، وكتاب الحضارات في شمال إفريقيا بربر، عرب، أترك_ ليفيكتور بيكات، وغيرها، بالإضافة إلى مجموعة من المجالات العربية والغربية.

وقد لاقى البحث صعوبات تمثّلت في عدم توفّر التقنية التكنولوجية الحديثة لتأسيس خرائط شعاعية، وقلة المصادر والمراجع، التي تُعنى بالجغرافيا اللغوية، وقلة الدّراسات العربية المتخصّصة بالجغرافيا اللغوية من جهة، واضطراب المفاهيم بسبب فوضى المصطلحات في العالم العربي من جهة أخرى، هذا بالنسبة للصّعوبات التي تطال الجانب النظري، بينما وجد البحث صعوبات ميدانية، تمثّلت في الاستعمال الفردي الانتقائي للهجة التبسيّة، ما يشنّت تركيز البحث في عينة أو فئة لغوية تمثّل المتكلم التبسي، ما فرض على الدراسة أخذ المستوى الاستعمالي بعين الاعتبار، وهو المستوى الذي يتفق وتجتمع فيه جميع فئات المستعملين اللغويين.

وفي الأخير أشكر الأستاذ المشرف على الرسالة، الأستاذ الدكتور رزيق بوزغاية؛
شكرا جزيلا وامتنانا كبيرا، على مسانדתه وتوجيهاته الحكيمة، ومتابعته الحثيثة للبحث منذ
البداية، حتى انتهائه، وصرامته وصدقته.

مدخل نظري

تمهيد:

يدرس هذا البحث الجغرافيا اللغوية لولاية تبسة، دراسة آنية في جميع مستويات الأداء اللساني، ودراسة تاريخية تقارب العوامل الإثنية والثقافية والتاريخية أيضا، التي ساهمت في تشكّل اللهجات المتنوّعة في ولاية تبسة وتطوّرها، منذ العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي، وحتىّ العقود الأولى بعد الاستقلال، ذلك لاستحالة الوقوف على الحالة اللغوية للهجات تبسة في العهد الحفصي والعصور التي سبقته سواء الموحدّي أو الفاطمي.

وهذه الدراسة هي بحث تطبيقي ميداني، فالجغرافيا اللغوية من العلوم الميدانية التطبيقية، وهي فرع من علم اللهجات، لذا كان من الضرورة تبيان بعض المفاهيم التي طالها الإبهام في ظلّ فوضى المصطلحات، التي يعاني منها العالم العربي اليوم، بداية بالجغرافيا اللغوية نفسها، التي يتخبط مفهومها بين يدي الباحثين العرب.

فقد احتوى هذا المدخل النظري أهمّ المفاهيم والمصطلحات التي يحتاجها هذا البحث، بداية بمفهوم علم اللهجات، ثمّ مفهوم الجغرافيا اللغوية وما تحتويه من مصطلحات، وأيضا العلوم والمفاهيم التي ترتبط بالجغرافيا اللغوية في هذا البحث، ثمّ تعريف إداري وجغرافي وتاريخي لولاية تبسة، لأنها تمثّل الحيز الجغرافي المحدّد للدراسة.

وذلك حتى يتسنى للباحث والقارئ الإمام بكلّ المفاهيم، والآليات الإجرائية التي تمّ الاعتماد عليها في هذا البحث، خاصّة أنّ هذا النوع من البحوث اللغوية نادر في المكتبة العربية، ولا يخصّص له الاهتمام الكافي، وبالأخصّ في الجانب التّاريخي الذي لم تتناوله كثيرا الدراسات اللغوية في الوطن العربي، وذلك ما وجدناه بين أيدينا من دراسات جغرافية لغوية قليلة العدد.

1_ علم اللهجات:

1_1_ مفهوم اللهجة:

لغة:

ذكر الفراهيدي اللهجة قائلاً: «واللهجة: طرف اللسان، ويقال: جرس الكلام، ويقال فصيح اللهجة [واللهجة هي اللغة التي جُبِلَ عليها فاعتادها].»¹ وجاء في القاموس المحيط في مادة «لَهَجٌ»: «لَهَجٌ بِهِ، كَفَرِحَ: أُغْرِيَ بِهِ، فَثَابَرَ عَلَيْهِ. وَأَلْهَجَ زَيْدٌ: إِذَا لَهَجَتْ فَصَالَهُ بِرِضَاعِ أُمَّهَاتِهَا. وَاللَّهْجَةُ، وَيَحْرِكُ اللِّسَانَ.»² ويقول حسن ظاظا أيضاً: «كلمة لهجة فصيحة أصيلة، وهي بسكون الهاء وفتحها، وأصل معناها طرف اللسان وجرس الكلام، ولهجة الانسان لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها. قال ابن منظور واللهجة اللسان، وهو يقصد اللسان بمعنى الحديث والكلام، والدليل على ذلك استشهاده بقول رسول الله ﷺ: "ما من لهجة أصدق من أبي ذرّ" وقوله: "أصدق لهجة من أبي ذرّ".»³ فاللهجة من هذه التعاريف هي لغة الإنسان الخاصة التي وُلد بها ويتميّز باستعمالها.

اصطلاحاً:

يرى الدليمي أنّ اللهجة هي «مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.»⁴ فهي حسب قوله خصائص لغوية

¹ الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص 104-105.

² الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص 204.

³ ظاظا حسن، اللسان والانسان_مدخل إلى معرفة اللغة_، ط2، دار القلم، الدار الشامية، سورية، لبنان، 1990، ص 122-123.

⁴ الدليمي رياض عبود غوار، اللسانيات والصوتيات_جهود في اللغة والتحقيق_، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 117.

تجمعها بيئة خاصّة، قد تكون هذه البيئة جغرافيّة أو اجتماعيّة أو حتى سياسيّة واقتصاديّة، فهو لم يحدّد البيئة، وبهذا فمفهوم اللهجة عنده يعني كل تلك الخصائص والصفّات التي تميّز لغة البيئة التي تجمع أفرادا يستعملونها، بينما يرى باحثون آخرون أنّ اللهجة «طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة.»¹ فهي بهذا المفهوم طريقة استعمال وتناول لخصائص لغة ما، تختلف من بيئة إلى أخرى في مستويات الأداء اللساني.

وقد أطلق عليها بعض الأعراب قديما لفظ (اللحن)، يقول الضامن: «قال أحد الأعراب: (ليس هذا لحنِي ولا لحن قومي).»² أي: ليست هذه لهجتي ولا لهجة قومي، فاللحن يتخذ مفهوم الشكل اللغوي هنا.

ويوضّح تشامبرز J.K Chambers (1938-...)، وترودجّل P. Trudgill (1943-...) مفهومًا آخر للهجة فيقولان: «في الاستعمال الشائع بطبيعة الحال؛ فإنّ اللهجة هي شكل دون المستوى، ووضع منخفض، وغالبا ما تكون شكلا بنيويا للغة، المرتبط بصفة عامّة بالفلاحين أو الطبقة العاملة أو المجموعات الأخرى التي تفتقر إلى الرفاهية. واللهجة أيضا مصطلح يطلق غالبا على أشكال اللغة، لا سيما أولئك الذين يتحدثون في مناطق أكثر عزلة من العالم، وليس لديهم أي شكل للكتابة، وغالبا ما تعتبر اللهجات نوعا من الانحراف (غالبا ما تكون خاطئة) عن المعيار، مثل الانحراف عن الشكل الصحيح أو القياسي للغة.»³ وهذا التعريف قد يخدم نشأة اللهجة عند الغربيين، وكيف ظهر ذلك المفهوم بناء على التقسيمات الطبقيّة عندهم، بينما لا يصلح هذا التعريف بالنسبة للمجتمعات العربية وتاريخ اللهجات العربية ونشأتها.

¹ هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطورا، دار الفكر العربي، مصر، 1998، ص 26.

² الضامن حاتم صالح، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي بالموصل، العراق، 1979، ص 32.

³ Champers J.K , Trudgill Peter, Dialectology, 2nd Edition, Cambridge University, UK, 2004, P 03.

أما ماريو باي Mario Pay (1901-1978) فيرى أنّ اللهجات «تعتبر شكلا محليا للكلام يستعمل في محيط واسع.»¹ فهو يشر إلى محلية اللهجات، كشكل من أشكال الكلام، وصفة المحلية تعني الارتباط بأبعاد اجتماعية وثقافية وإثنية وأيضاً جغرافية، ثمّ يشير إلى تأثير ذلك الشكل الكلامي المحلي خارج حدوده الجغرافية، ويضيف مؤكداً على العلاقة التاريخية للهجة باللغة المعيارية، أي بذلك «المستوى الكلامي الذي له صفة الرسمية، والذي يستعمله المتعلمون تعليماً راقياً.»² فاللهجة حسب باي Pay هي «مستويات محلية للكلام تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة عن المستوى المعياري، ولكنها يمكن التعرف عليها (أحياناً بالرجوع إلى الأصول التاريخية) باعتبارها تكوّن معه كلاً موحدًا.»³ فهو يربط اللهجة باللغة تاريخياً، بينما يضعنا أمام الفروق اللغوية الواضحة بينها وبين اللغة الأم، وهذا يشير إلى الامتداد الزمني للتطور اللغوي الناشئ من اللغة المعيارية، والذي يصل بنا إلى لهجة تنتمي لغويًا وتاريخيًا إلى تلك اللغة.

وجاء في قاموس أوزو الموسوعي أنّ اللهجة «شكل إقليمي أو معيّن للغة، والذي يشكّل نظاماً لسانياً كاملاً.»⁴ وهذا المفهوم يوافق إلى حدّ كبير ما يقوله علي عبد الواحد وافي، فهو يرى أنّ «اللهجات العامية التي انشعبت عن العربية بالعراق والشّام والحجاز واليمن وبلاد المغرب ومصر والسودان، فإنّه لا يوجد بينها إلا فروق ضئيلة في نظام تكوين الجملة وتغيير البنية وقواعد الاشتقاق والجمع والتأنيث والوصف والنسب والتصغير... وما إلى ذلك.»⁵ فاللهجة إذن هي شكل من أشكال اللغة، تطوّر بفعل عدّة عوامل عبر الزّمان،

¹ باي ماريو، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، 1998، ص 69.

² المرجع نفسه، ص 138.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ Barrier Marie-Anne, et Autres, Dictionnaire encyclopédique Auzou, Edition Philippe Auzou, France, 2004, P 552.

⁵ وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، طو، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004، ص 177.

يأخذ من اللغة معظم خصائصها في مستويات الأداء اللساني، ويتخلى عن بعض منها، واللهجة صورة للمجتمع والثقافة يمكن دراستها في عدة علوم، كعلم اللغة و الأنثروبولوجيا.

1_2_ مفهوم علم اللهجات:

اهتمّ العرب القدماء بدراسة اللهجات منذ ازدهار الحضارة الإسلامية، في العهدين الأموي والعبّاسي، وصنّفوها في أطرٍ إثنائية وجغرافية أيضاً، لكن لم يُفردوا لها علوماً خاصّة بها، بل كانت دراساتهم مجمّلة في علوم اللغة ويشيرون إلى لهجات العرب إذا اقتضى الأمر، فكانوا يصفون لهجة تميم، وطيّء وسُلَيم، ولهجة بلحارث وهذيل، كما يصفون ما شدّت به ألسنة العرب فيقولون كشكشة وائل، وعننة تميم وغيرها، كما وصفوا اللهجات بأقاليمها الجغرافية فوصفوا لهجة الحجاز ولهجة نجد، ولهجة تهامة وغيرها.

لكنّ الاهتمام باللهجات في إطار علم مستقل بذاته كان من قبل الأوروبيين، الذين أسسوا له قبل قرنين من الزّمان، وأطلقوا عليه مصطلح *Dialectology* أي علم اللهجات، وهو علم «يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور الكلام في لغة من اللغات، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرّع من لغة أو لغات.»¹ فبهذا المفهوم ندرك أنه علم يتفرّع من علم اللغة العام، لأنّه يدرس اللهجات باعتبارها فروعاً من اللغات، وكذا فهو يقارب خصائص تلك اللهجات اللغوية وأيضاً أسباب تشكّلها والعوامل التي ساهمت فيها، كما يتناول «انقسام لغة ما إلى عدّة لهجات، مرتبطة بها قلّت أو كثرت، والأسباب التي تؤدّي إلى ذلك، والصلة بين اللغة الأم وبين ما تفرّع عنها من لهجات فرادى ومجمّعة، وبين كل لهجة وشقيقتها وخصائص كلّ هذه اللهجات في مستويات التحليل اللغوي، من أصوات وبنية، وتركيب، ودلالة، وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها، من قوّة أو ضعف، وانزواء وانتشار، وموت وإحياء، وما يكون من سيادة إحداها

¹ هلال عبد الغفّار حامد، ص 449.

على سائرهما كما حدث لهجة قريش_مثلا_ وبيان أسباب تلك السيادة.»¹ أي أنه علم يقارب اللهجات كما يقارب علم اللغة التطبيقي اللغات، في مستويات الأداء اللساني واصفاً ومحللاً ومقارناً ومقابلاً.

وعلم اللهجات يقوم أيضاً «بدراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجات تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها.»² هذا يعني أنّ علم اللهجات يرتبط بعلوم مختلفة، فدراسة أسباب انقسام لغة إلى لهجات وعوامله، وأسباب اختلاف اللهجات بين بعضها داخل لغة واحدة، هي مقارنة في الأبعاد التي سارت فيها مراحل ذلك التطور والتشكّل، ودراسة للسياقات الخارجيّة ممّا يجعل هذا العلم يلتقي بعلم الاجتماع بفروعه المختلفة كالأنثروبولوجيا، وعلم النفس الاجتماعي، كما يلتقي بعلم الجغرافيا بفروعه المختلفة خاصّة الجغرافيا التّاريخيّة، وأيضاً بعلم التّاريخ وعلم النفس وغيرها.

2_ الجغرافيا اللغويّة:

يدرس علم اللهجات كلّ ما يتعلّق باللهجات من حيث أنّها أنساق لغوية، وشكل من أشكال اللغة، ويصف هذا العلم اللهجات في مستويات الأداء اللغوي، صوتياً وتركيبياً ودلاليّاً ومعجمياً أيضاً، ويبحث في اقتراب أو ابتعاد اللهجة عن اللغة الأم، وأسباب تشكّل اللهجات وعوامله، والفروق اللغوية بين كلّ لهجة وأخرى، وعلم اللهجات هو «نتاج غربي حديث، أفرزه وكشف عن الحاجة إليه ذلك التقدّم الواسع الذي أحرزه الغربيون في مجال الدراسات اللغوية.»³ وهو يتشعب إلى علوم وفروع بدوره، ومن أهمّ هذه العلوم نجد الجغرافيا اللغوية.

ويخلط بعض الباحثين العرب بين مصطلحي اللسانيات الجغرافيّة والجغرافيا اللغويّة، في خضمّ فوضى المصطلحات التي يعيشها العالم العربي اليوم، لكن نجد تذبذباً آخر عند

¹ خاطر محمد أحمد، في اللهجات العربية _مقدمة للدراسة_، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، 1999، ص 05.

² وافي علي عبد الواحد، ص 07.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الباحثين الغربيين وهم أصحاب هذا العلم، وهذا التذبذب في اختيار المصطلح المناسب للمفهوم، بينما بعض الباحثين العرب يخلطون الأمرين معاً؛ المصطلح والمفهوم، فالغربيون يسمّون هذا العلم إمّا بالجغرافيا اللغوية Linguistic Geography، أو علم اللهجات الجغرافي Geolinguistic Dialectology، وكلا المصطلحين لهما مفهوم واحد.

ونجد الباحث العربي يعرّف الجغرافيا اللغوية ويقول: «ذلك التميّز الذي يظهر في اللهجات ذات العلاقة مع محليّاتها الاجتماعية والمكانية في الوقت نفسه، كما يذهب بعضهم إلى تسمية اللسانيات الجغرافية بعلم اللهجات، وقد شاعت هذه التسمية في الدراسات العربية، حتى إنّ كثيراً من الغربيين يعدّون هذا الفرع من اللسانيات خاصاً بدراسة اللهجات.»¹ وهذا القول لا يرى فرقا بين اللسانيات الجغرافية والجغرافيا اللغوية، وهذا الخلط أمر يجب التّويه إليه، وفصل المفهومين تماما، وذلك بالعودة إلى علماء الغرب، باعتبارهم أكثر أصالة في ميدان البحث بهذه العلوم والمفاهيم، حيث يقول ماريو باي Mario Pay: «ويطلق مصطلح الجغرافيا اللغوية Linguistic Geography على الدراسات اللهجية المؤسسة على الأطلس اللغوي. وهذا الاسم غير موقّق، حيث يجعل معظم الناس غير المتخصصين يظنون أنّه يعني توزيع اللغات في العالم، أو ما سميناه بعلم اللغة الجغرافي Geolinguistics.»² هنا يؤكّد باي Pay أنّ المصطلحين مختلفان، ويميّز بينهما تماما ويشير إلى أنّ الجغرافيا اللغوية خاصّة بدراسة اللهجات، بينما «الموضوعات الأساسية لعلم اللغة الجغرافي بيان عدد المتكلمين لكلّ لغة من اللغات وتوزيعها الجغرافي، ولحدّ ما وصفها، ومن هنا فإنّ علم اللغة الجغرافي يمكن أن يسير خطوة إلى الأمام، فيربط اللغات بالعوامل الاقتصادية والسياسية وغيرها، ويكون تقديرات لمدى الأهميّة الفعلية لكلّ لغة

¹ مرداسي الجودي، اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، مجلة الأثر، ع22، الجزائر، 2015، ص

26.

² باي ماريو، ص 134.

واستعمالاتها التي يمكن أن توضع فيها.¹ ويضيف قائلاً: «وعلم اللغة الجغرافي Geolinguistics يغطي بشيء من التفصيل_ الوضع الحالي للغات العالم، عاقدا المقارنة بينها على ضوء العوامل الموضوعية الحديثة مثل عدد المتكلمين، والتوزيع الجغرافي، واحتمالات الاستفادة منها، وأهميتها التجارية والعلمية والسياسية والإستراتيجية والثقافية في إطار عالما الذي نعيش فيه.»² وهنا قد فصل باي Pay تماما في مفهوم اللسانيات الجغرافية، وحدد مهامها وأولوياتها وخصوصياتها، وهي اللغات العالمية وعوامل انتشارها والفروق بينها وتوزيعها الجغرافي، وإمكانية الاستفادة منها في أبعاد مختلفة من الحياة.

أما الجغرافيا اللغوية فيقول بريتاين D.J. Britain: «بدأ علم اللهجات الجغرافي (الجغرافيا اللغوية) في رحلة منهجية على مدى 150 عاما مضت، في حين ساعدنا التقدم التكنولوجي على التغلب على بعض الصعوبات الأكثر وضوحا في جمع البيانات.»³ فالرجل يطلق على الدراسة اللغوية للهجات جغرافياً اسم Geolinguistic Dialectology لتمييز هذا العلم عن غيره ولمزيد من التدقيق أيضا، فالجغرافيا اللغوية «في أبسط غاياتها الانشغال بالبحث في اختلاف اللهجات داخل لغة واحدة كبيرة (وقد يحدث ذلك كما يلاحظ ديكرودون وعي من المستعملين) وغالبا ما ينصرف الاختلاف في نطق حرف واحد من اللغة لأسباب تعود أساسا إلى طبيعة البيئة ووعورتها وسهولتها، أو إلى اقتراب بعض مستعملي اللغة من حدود بعينها.»⁴ فهو علم يقارب اللهجات داخل لغة واحدة، ويبحث في أسباب ذلك الاختلاف وعوامله بعد وصف تلك اللهجات، فهو «إنجاز يعمل على تحديد الظواهر الأساسية في الاختلاف اللهجي، والتنوع اللغوي، وتسجيل النماذج الأدبية والفلكلورية، وقياس مدى انتشار الظواهر المختلفة، ودرجة أصحابها من الحضارة والبداءة والثقافة، وهذا الجانب

¹ المرجع السابق، ص 217.

² المرجع نفسه، ص 64.

³ Britain David John, Geographical Dialectology, Chapter October 2013, institut für Englische Sprachen and Literaturen, Universität Bern, Switzerland, 2013, P 16.

⁴ مرداسي الجودي، ص 27.

يهتمّ خاصة بالمناطق ذات التعدّد اللغوي، أو المناطق التي لها الخصوصيّات اللغويّة.¹ فالبعد الجغرافي هنا يظهر في وصف توزيع الخصائص اللغويّة لكل لهجة في الرقع الجغرافيّة والمساحات، وذلك هو الدافع لنشأة الجغرافيا اللغويّة وهو البحث في أسباب اختلاف اللهجات من منطقة إلى أخرى، دون حيّز أو حدّ واضح بين تلك المناطق، يقول بريتاين Britain: «يجب أن يكون هناك دافع واضح لهجي أو جغرافي للمواقع التي تختارها للتحليل، اسأل نفسك لماذا تختار هذا الموقع دون الموقع الآخر؟ كيف سيساعدك هذا الاختيار في الإجابة على أسئلتك الوصفية أو النظرية؟ فكّر بعمق أكثر من مجرد أماكن في فضاء، تعرّف على هذه الأماكن وتاريخها الاجتماعي والديمغرافي، وأماكنها داخل الشبكة العنكبوتية لمواقع أخرى، وما الذي يجعلها مختلفة عن الأماكن القريبة الأخرى، وكيف ينظر الناس في هذه الأماكن إلى أنفسهم وإلى الآخرين.»² فالرجل يشير هنا إلى ضرورة الاستعانة بعلوم أخرى أو مناهج أخرى، كي تكون الدراسة اللغويّة والجغرافيّة مكتملة إلى حدّ ما، كما يؤكّد على أنّ السبب في المقاربات الجغرافيّة اللغويّة؛ قد يكون لغويًا لهجيًا، كما قد يكون جغرافيًا فقط.

إنّ الإشكاليات التي يطرحها بريتاين Britain، التي يعتبرها من أولويّات التّساؤلات التي يجب أن يضعها الباحث في حسبانها، تشرح مفهوم الجغرافيا اللغويّة أكثر، أي لماذا الجغرافيا واللغة، ولماذا اللهجات وليست اللغات، فيقول بيتر جوردان Perter Jordan في هذا الأمر: «اللغة القياسية هي التي تُدوّن في القواميس والكتب النّحويّة، والتي تقوم باعتمادها الدّول أو الوحدات السياسية التي تشير وتمثّل في الغالب وحدة إدارية للدولة، وتتغيّر عادة عند حدود الدول، بينما اللهجات فهي ذات مستوى تواصل، فاللهجات توفّر سلاسة في التغيّر من مكان لآخر، لأنّها أقلّ عرضة للتنظيم ولا تُدرّس في المدارس مع تأثيرها المعياري. وبالتالي فهي تعكس الأنماط الحقيقية للتّواصل الاجتماعي، وأيضاً تعبر

¹ بلعيد صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، ط3، دار هومة، الجزائر، ص 13.

² Britain David John, p 18.

حدود الدّول، فهي إذن أدوات قيّمة لدراسة عمليات التوزّع اللغوي، يمكن للجغرافيين استخدامها كمؤشرات لانتشار الظواهر الثقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والجغرافيّة أيضا فقد تكون أيضا السبب، لماذا تمّ اختيار لهجة معينة كأساس لمعيار لغة؟ هل هي لهجة المنطقة الأساسيّة؟ منطقة العاصمة؟ المنطقة الاقتصاديّة المهيمنة في بلد معين؟ هل هي منطقة ذات موقع جيّد في شبكة النقل؟ منطقة ذات مكانة ثقافية وتاريخية؟ منطقة القبيلة الرئيسيّة للأمة؟ المنطقة حيث تنطلق الفكرة الوطنيّة أو المنطقة التي بها أكبر تجمّع سكانيّ؟¹ هذا الرأى يوضّح أهميّة اختيار اللهجة دون اللغة الأم أو اللغة المعياريّة، وهي ما تتوقّر عليه اللهجات من الخاصية التواصليّة، وسلاسة تغيّر خصائصها اللغوية من مكان إلى آخر، فهي تمثّل النمط المثالي لعملية التواصل بين أفراد المجتمع، الذي لا يعترف بالحدود السياسيّة المتواضع عليها التي تحدّد اللغات المعياريّة، ولا تستطيع احتواء اللهجات في حيّز جغرافي معيّن، فهذه الميزات التي تتحلّى بها اللهجات، تُغري الجغرافيين وتسهّل عملهم وبحثهم بشكل كبير.

كل التساؤلات التي يطرحها الباحث في الجغرافيا اللغوية، وكل المعطيات التي تتوقّر بين يديه للوصول إلى متطلبات بحثه، تحتاج إلى علوم أخرى غير علم اللغة وعلم اللهجات وعلم الجغرافيا، فالمقاربات هذه تركّز على عيّنات اجتماعية لها خصوصياتها الثقافيّة والتاريخية وحتى السياسيّة، مما يجعل الجغرافيا اللغوية تتخذ شكل المنهج أكثر منها علما، وذلك ما أكّده باحثون أمريكيون في مجلة كينساس لعلم الاجتماع، حيث جاء بها: «الجغرافيا اللغوية ليست نظرية بل طريقة استقصاء، وهي منهج يمكن استخدامه لدعم مجموعة واسعة من النظريات العامّة والحجج المعيّنة.»² وهذا طرح مقبول يظهر جليّا في الدراسة الميدانية.

¹ Jordan Peter, Thoughts on a concept of language geography, RHGT review of historical geography and toponomastics, Vol: 11, No 21-22, Romania, 2016, P 38.

² Raven. I, Mc David. JR, Raymond. K, Sociolinguistics and Linguistic geography, Kansas Journal of Sociology, USA, 1973, P 139.

ومما سبق يمكن وضع مفهوم للجغرافيا اللغوية، فهي علم يدرس اللهجات دراسة تقابل وتصف الخصائص اللغوية في مستويات الأداء اللساني، ويصف توزعها الجغرافي وبيانات المتكلمين بكل لهجة، ويعتمد على وضع أطلس لغوي يحتوي توزيع فروق الخصائص اللغوية لكل لهجة، ويكون الأطلس اللغوي بمثابة مدونة البحث، ولا يكون هذا الأطلس نتيجة للبحث كما هو بالنسبة للسانيات الجغرافية.

وتعمل الجغرافيا اللغوية عمل الرابط بين علوم مختلفة يحتاجها البحث، ويعتمد عليها الباحث حسب ضرورة الدراسة وما تتطلبه.

_ مفهوم الأطلس اللغوي:

ذكرنا آنفاً أنّ الأطلس اللغوي لا يمكن الاستغناء عنه، سواء في الجغرافيا اللغوية أو في اللسانيات الجغرافية، فهو «يقوم على عمل خرائط لبيان أصوات أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة، أو عدّة لهجات وتوضيح صلتها باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو باللهجات الأخرى»¹ وهذه الخرائط تكون نتيجة للمقاربات في اللسانيات الجغرافية وخاتمة لها، بينما هي بداية العمل في البحث الجغرافي اللغوي، وتكون تلك الخرائط جامعة للمعلومات اللغوية والجغرافية أيضاً التي يحتاجها الباحث، ويؤكد باي Pay ذلك قائلاً: «قد أُعدّ أساساً ليكون مرشداً إلى اللهجات الحية للغة ما»² وهذا فصل الأمر في وظيفة الأطلس اللغوي في الجغرافيا اللغوية، فهو يحتوي «على خرائط تبين كلّ منها المنطقة الجغرافية التي تسود فيها، سمة لغوية معيّنة من حيث النّحو أو الصّرف أو المفردات أو اللفظ، كما تبين توزيع اللهجات جغرافياً»³ وهذه الخرائط تطلّعون «على الاختلافات الصوتية، بين المناطق

¹ هلال عبد الغفار حامد، ص 461.

² باي ماريو، ص 132.

³ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية _ فرنسي- إنكليزي- عربي، ط1، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1995، ص

المختلفة؛ فقوم يجهرون أصواتا وقوم يهمسونها، وطائفة تنطق الفتحة صريحة، وأخرى تنطقها مماله، ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأول، وأخرى تنبر المقطع الأخير منها ... وهكذا، كما يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات، من حيث البنية والمترادفات المختلفة للمعنى الواحد، واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية.¹ فالأطلس اللغوي يشتمل جميع مستويات الأداء اللساني، مقارنةً وصفيةً ومقارنةً ومقابلةً.

ويرى صالح بلعيد أنه «نوع من الإنجاز الذي يعمل على تحديد الظواهر الأساسية في الاختلاف اللهجي، والتنوع اللغوي، ويقرب كثيرا من جغرافية اللهجات، إلا أنه يعمل على تسجيل كل ما له علاقة بالجزر اللغوية ذات الخصائص اللغوية.»² وهذا الإنجاز يحتاج إلى مباشرة ميدانية، حيث «يرسل جامعو المادة اللغوية المطلوبة إلى الأماكن المحلية التي يقع عليها الاختيار من إقليم ما رسمت حدوده لعمل خرائط له، من الاستعانة براو يمثل المتكلمين المحليين.»³ فدراسة اللهجات تحتاج دقة ملاحظة وجمعا للمعلومات من الأفراد مباشرة.

ومنه فإن العمل اللغوي الذي يقارب اللهجات جغرافيا، يكون بإنشاء خرائط لاختلاف الخصائص اللغوية بين كل لهجة في لغة واحدة أو تنوعها في لهجة أم واحدة، تُوزع تلك الخصائص جغرافيا بعدما يجمعها الباحث ويميز بينها في مرحلة مقارنة بينها، حتى تتم مرحلة الوصف بعدها وفقا لتلك الخرائط المصممة مسبقا.

ويكون لكل مستوى من مستويات الأداء اللساني، جملة من الخرائط تسبق الدراسة الوصفية، هذا وإن الأطلس اللغوي يمثل الدراسة الآنية لتلك اللهجات، فإذا أردنا المقاربة التاريخية فالأمر يختلف، لأن الأطالس اللغوية وجدت لتحتوي معلومات آنية يمكن تتبعها،

¹ عبد التّوّاب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، طر، مكتبة الخانجي، مصر، 1985، ص 147.

² بلعيد صالح، ص 16.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بينما الدراسة التاريخية فهي تعقب للمتغيرات اللغوية في كل مرحلة زمنية ورصد لها، ما انتقل منها تعاقبياً وما اضمحلّ وما تطوّر حسب حاجة البحث.

ورصد تلك المتغيرات اللغوية في خصائص اللهجات أو الوقوف على ما ثبت منها، يرتبط بالبعد الإثني والبعد الثقافي، فهما بعدان يحملان الخصائص الاجتماعية اللغوية، وهذا يفرض على الباحث اللغوي معرفة اجتماعية وتاريخية، وثقافة إثنولوجية تسمح بتدليل صعوبة فكّ كثير من الشيفرات الاجتماعية التي تؤثر في اللغة وتتأثر بها.

وأشهر طريقتين لتأسيس الأطالس اللغوية، هي الطريقة الألمانية والطريقة الفرنسية، فالأولى ابتكرها فخر Georg Wenker (1852-1911)؛ حيث قام بتأليف 40 جملة تمثل توقعات تشمل كلّ ما يجري على ألسنة المجتمع الألماني، حيث جعلها على صورة استمارة للبيانات، تحوي معطيات الرأوي والمسجّل اللغوي أيضاً، والمكان والزمان الذي تمّ فيه التسجيل، ثم تأتي الجمل الأربعون حيث «يقوم المسجّل اللغوي باستطلاع رأي الرأوي اللغوي، الممثل لنطق اللغة المحليّة أو اللهجة التي يراد دراستها، فيسجّل الكلمة أو العبارة أو الجملة، التي ينطقها الرّجل العادي في الشائع من الاستعمال اللغوي في الحياة العادية للمجتمع، ممّا يقابل النطق النموذجي للغة العامة.»¹ ثمّ تتمّ عملية إعداد الأطلس بعمل خريطة لكلّ كلمة، وذلك بأن تُعنى بشكل اللفظ وصيغته المتعدّدة وما رادفه على خرائط تفصيلية، تحدّد على مناطق جغرافية مختلفة، وفي الأخير يؤسس لخريطة عامّة تُبنى على تلك الخرائط التفصيلية.

وأما الطّريقة الفرنسيّة، أو ما يسمى بطريقة جليرون Gillieron (1854-1926)، فنقوم على خبرة الباحث المسجّل لغويّاً، وتشرط المعرفة الكاملة لعلم الأصوات وفروعه، ويتمّ اختيار مناطق مختلفة تمثل إلى حدّ كبير البيئة اللغوية العامّة، ثمّ يضع الباحث أسئلة عديدة

¹ هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتكورا، ط2، مكتبة وهبية، مصر، 1993، ص 402.

تصل إلى ألفي سؤال، فيما يطلق عليه اسم كتاب الأسئلة اللغوية، تركز تلك الأسئلة على المطالب المعلوماتية التي يريدها الباحث اللغوي، وبعد جمع الإجابات «تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص والسّمات للهجة أو اللهجات، التي يقصد دراستها، في مجال الأصوات وصيغ الألفاظ، أو طرق التعبير إلى غير ذلك، ثمّ تسجّل هذه النتائج على الخريطة الخاصة بها.»¹ وهي طريقة شهير ومنتشرة.

بينما اعتمد تأسيس الأطالس بهذا البحث على دمج الطريقتين معاً، فقد تمّ تسجيل ما يشيع في المجتمع التبسيّ عامّة، من الرواة مباشرة وتصنيف الخصائص المتطابقة والمختلفة، ثمّ تمّ تحضير مجموعة من الأسئلة، مبنية على أساس إثنولوجي لغوي، وتاريخي جغرافي، وتمّ تسجيل الخصائص المختلفة الشائعة على خريطة ولاية تبسة الجاهزة، التي وضعتها المصالح الإدارية لولاية تبسة في موقع ويكيبيديا، بالاعتماد على منهج الأيزوكولوس، وكذلك خريطة تبسة المصوّرة مباشرة بواسطة تقنية Google Earth بالقمر الصناعيّ.

وبالاعتماد قبل ذلك على تسجيلات صوتية مرت بعدة مراحل، حيث تمّ تسجيل مختلف الحوارات عامة التي يستخدمها المتكلم التبسي، من عينات المتكلمين الأصليين بكلّ منطقة؛ حيث اعتُمدت العينات التي تقطن بكل منطقة مدرّسة لجيلين أو ثلاث فما فوق، ثمّ تسجيل أهمّ الألفاظ والجمل المستعملة بكثرة من جهة، والتي تمثّل اختلافاً لغويًا من جهة أخرى، ثمّ تمّت عملية مونتاج لتلك التسجيلات الصوتية، بما يخدم حاجة البحث، وقد أرفقنا البحث بملحق يحتوي تلك التسجيلات الصوتية التي تعتبر هي المدوّنة الأساسيّة للبحث، والتي اعتمدت عليها الأطالس اللغوية.

وتمّت مقارنة ما اختُلف من خصائص لسانية، وتسجيلها في أطالس لهجيّة، لتسهيل دراسة الفروق اللغوية بين مختلف لهجات تبسة، وفي الوقت نفسه يمكن معرفة خصائص

¹ المرجع السابق، ص 403.

تلك اللهجات المتشابهة بمعرفة المختلف منها، حيث تمّ توضيح المتشابهات من الخصائص اللساني أثناء التحليل، لقوة تشابه لهجات تبسة ودقة اختلافاتها، وهذه الطريقة مستحدثة كي تخدم المقاربة الآنية والتاريخية في آن واحد، فاعتمد البحث على المقابلة والوصف، فمقابلة البنيات يكشف الاختلافات، مما يساعد على فرز الأسباب المساهمة في تشكّل تلك الاختلافات، وتطوّر تلك اللهجات، فلم يسبق أن وضع اللغويون أطالس تاريخية، تسجّل الطريق الجغرافي التاريخي لسيرورة اللهجات عبر الأزمنة المختلفة وتطوّرها، إلا ما تقوم بها الأبحاث في الكيان الصهيوني، من دراسات لجغرافيا اللهجات القديمة في بلاد العرب، ومحاولات جادة ومحترمة من الباحثين في الدول الإسكندنافية، لتأسيس أطالس لغوية تاريخية.

3_ دور الإثنوغرافيا اللغوية في الجغرافيا اللغوية:

3_1_ مفهوم الإثنوغرافيا اللغوية:

تقرض الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية والإثنية نفسها خلال البحث الذي يعالج اللهجات، وهذا يفتح المجال لعلم الإثنولوجيا كي يقاطع وعلم اللغة، فالإثنولوجيا تعمل في هذه الأبعاد وتسمح للباحث اللغوي بجمع أكبر كمّ وأفضل كيف من المعلومات، ويُعرّف الأنثروبولوجيون الإثنولوجيا بأنها «مرحلة تفسير العادات والمؤسسات، مرحلة التوليف الذي كثيرا ما يتمّ عن طريق المنهج المقارن.»¹ لكن لا يكون هناك تفسير دون جمع للمعطيات والمعلومات، وهنا يأتي دور الإثنوغرافيا.

فالإثنوغرافيا مرحلة تسبق الإثنولوجيا في علم الأنثروبولوجيا، وهي المرحلة التي يجب على اللغوي الباحث في اللهجات أن يعتمد عليها، وتدلّ على «مرحلة جمع المعطيات التي

¹ لومبارك جاك، مدخل إلى الإثنولوجيا، تر: حسن قببسي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 1997، ص

يتغذى منها مشروع الدراسات الأحاديّة، وتبدأ مع الإثنولوجيا الخطوات الأولى نحو الخلاصة التي يمكن توسيعها في اتجاهات متعدّدة، جغرافيّة، أو تاريخيّة، أو منظوماتيّة.¹ وهي أيضا بشكل أكثر اتّساعا «معرفة الإنسان معرفة إجماليّة تشتمل على موضوعها بكلّ اتّساعه التّاريخي والجغرافي، وتتطلّع إلى تكوين معرفة قابلة للتّطبيق على التّطوّر البشري بأسره، ولنقل منذ الإنسيين الأوائل حتى الأعراق الحديثة، وتسعى إلى استخلاص نتائج إيجابيّة أو سلبية صالحة للتّعميم على كلّ المجتمعات البشريّة ابتداء من المدينة المعاصرة الضّخمة وانتهاءً بأصغر قبيلة.»² إذن فمفهوم الإثنوغرافيا هو تلك الدراسات الوصفية لكلّ خصائص العيّنات الاجتماعيّة المحدّدة، سواء كانت بشريّة أو مؤسّسات تضمّ جماعات، حتّى تكون تلك النّتائج قاعدة لدراسة ثانية تقوم بتفسيرها ومقارنتها وتحليلها، وتلك الدراسة الثّانية هي الإثنولوجيا.

ولأنّنا في الجغرافيا اللغويّة نتحدّث عن البحث اللغوي بكلّ جوانبه وأسس منهجيّته، فإنّنا نحتاج إثنوغرافيا محدّدة ومعينة تُعنى باللغة فقط، يسميها الإثنولوجيون بإثنوغرافيا الاتّصال، حيث تعدّ «ميدانا من ميادين البحث التي جاءت نتيجة للتقاليد الأنثروبولوجية، والتي ابتدأت نقطة الانطلاق فيها من الدّراسة المقارنة لقضايا الكلام الخاصّة بكلّ مجتمع من المجتمعات، وبكل ثقافة من الثقافات. وإنّ موضوع الدراسة فيها، هو ما سمّاه هيميس "الكفاءة الاتصالية". وهذه تعني مجموع القواعد الاجتماعيّة التي تسمح باستخدام القواعد استخداما ملائما. لقد أظهرت إثنوغرافيا الاتصال تنوّع الأداء اللغوي، وتنوّع الوظائف الاجتماعيّة للكلام، كما كشفت أيضا عن المعايير الاجتماعيّة والثقافية التي تسوسها، ثمّ إنّها

¹ بونت بيار، إيزار ميشال وآخرون، معجم الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، تر: مصباح الصمد، طر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، لبنان، 2011، ص 78.

² المرجع نفسه، ص 16.

اضطلعت بوصف المدونة اللسانية لأعضاء الجماعة.¹ وهذا المفهوم من وجهة نظر علماء الاجتماع، فالباحث الأنثروبولوجي اللغوي «يتبع في ذلك الطريقة الأنثروبولوجية المتبعة في دراسة المجتمعات إلى جانب بعض الأساليب الأخرى التي تفرضها عليه الدراسات اللغوية ومناهج دراسة اللهجات»² أمّا بالنسبة للباحث اللغوي المهتمّ بمعالجة قضايا اللهجات والجغرافيا اللغوية، فهو ينطلق معتمداً على الأسس والقواعد اللغوية، مركّزا على الأنساق الداخلية للهجات، مبتعدا عن السياقات الخارجية التي تفرض نفسها كثيرا في البحوث اللهجية، فلم اللغة يؤسّس على دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، لكن يمكن الاستفادة منها في مرحلة التفسير والتحليل، كما يمكن الاعتماد عليها في مرحلة التصنيف وهي من أهمّ مراحل المنهج الوصفي أيضا، حيث تتمّ عملية تصنيف الخصائص اللغوية للهجات حسب أبعاد تفرضها السياقات الخارجية كالبعد الجغرافي والبعد الإثني والثقافي أيضا.

ويمكن وضع مفهوم للإثنوغرافيا اللغوية التي يحتاجها البحث اللغوي، بالقول بأنّها مرحلة جمع للمعلومات والمعطيات اللغوية لجماعة لغوية محدّدة، وتصنيفها ووصفها ثمّ توزيعها حسب خصائصها اللسانية الإثنية، فإن كانت لغات عالمية فتخدم هذه العملية علم اللغة الجغرافي واللسانيّات الإثنية، وإن كانت لهجات فإنّ مرحلة الإثنولوجيا هنا تنوب عنها الجغرافيا اللغوية، ويمكن القول بأنّ الإثنوغرافيا هنا تعمل عمل المنهج بآلياتها الإجرائية السلسلة، التي تخدم البحث اللهجي كثيرا، فتكون الإثنوغرافيا اللغوية منهجا يعتمد عليه الباحث في الجغرافيا اللغوية، اعتمادا أكيدا لا بدّ منه، إذ لا يُعقل أن يُدرس توزيع الخصائص اللغوية للهجات جغرافيا، دون التعلّق بمعطيات اجتماعية وإثنية وثقافية وحتى تاريخية.

3_2_ دور الإثنوغرافيا اللغوية في البحث اللهجي:

¹ ديكرو أوزوالد، سشايغر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ص 136-137.

² معاذ مها محمد فوزي، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص 152.

يدرك الباحث في علم اللهجات والمتخصّص في الجغرافيا اللغويّة، الحاجة الماسّة لتلاقي علمي الإثنولوجيا والجغرافيا اللغويّة، فأوجه التّشابه كثيرة ودقيقة بين هذين العلمين التّطبيقيين، ودرجة التّفاعل كبيرة وتخدم كليهما.

ففي البحث الإثنوغرافي نجد بداية مصطلح "الميدان" الذي يشير به الإثنولوجيون «إلى حيث يتوجّهون لمراقبة حياة مجتمع وجمع معلومات عنها يقدمها المعنيّون أنفسهم بصورة مباشرة»¹ وفي المقابل نجد الأمر نفسه في الجغرافيا اللغوية، فدراسة لهجات لغة ما، أو مقارنة تقسيم لهجات في لهجة واحدة، لا يكون إلا في مجال جغرافي محدود ومقصود، ولا يمكن للباحث في اللهجات تجاوز البعد الاجتماعي والجغرافي للأفراد المدروسين، بل تنحصر تلك الدراسة في مجال جغرافي واجتماعي محدّد ومعين، ما يجعل الحاجة ملحة إلى المعلومات الإثنوغرافية، لما توفره الإثنوغرافيا هنا من تدفق غزير للمعلومات التي يحتاجها البحث اللغوي، تحمل جوانب مختلفة وأبعاد كثيرة لحياة القوم قيد الدراسة.

لكنّ الجغرافيّ اللغوي يستخلص العوامل الاجتماعية التي ترتبط مباشرة بخصائص اللهجة المدروسة؛ الصّوتية والتّركيبية والمعجمية الدّلالية، هذا خلال الدّراسة الآنيّة، فمنهج السّنكرونيّة يفرض نفسه في الدّراسات الوصفية البنيويّة، ثمّ يتعامل الباحث مع البعد الاجتماعي وما عنده من معلومات إثنوغرافية، كعوامل تطوّر تلك اللهجات خلال دراسته التّاريخية لها، وبذلك تبرز الإثنوغرافيا العامل الاجتماعي داخل الجغرافيا اللغوية، فتساعد في المقاربات الآنيّة والتّاريخيّة.

ثمّ نجد مصطلح (الوثيقة الإثنوغرافية) التي يعتمد عليها الإثنولوجيون، وهي «كلّ مصدر معلومات متوفّر للمعرفة الإثنولوجية لمجتمع معين»² وهي بالنّسبة للإثنولوجيين معلومات تاريخيّة جدّاء، حيث إنّ دراسة أيّ مجتمع لا تكون دون الإلمام بظروف نشأته،

¹ بونت بيار، إيزار ميشال وآخرون، ص 25.

² المرجع نفسه، ص 29.

والعوامل التي ساهمت في تشكّله أولاً، قبل الولوج في دراسة ثقافته، وكذلك الأمر نفسه لدى اللغويين في دراسة اللهجات جغرافياً، فالبحث في أسباب تشكّل اللهجة وتطوّرها؛ يحتاج إلى ما يتوفّر من معلومات تاريخية حول العينة المدروسة من المجتمع، إضافة إلى تلك الحمولات الإثنية التي تزخر بها المعطيات الإثنوغرافية، والتي تساعد الباحث اللساني في مقارنته التاريخية للهجات، وأيضاً الآنية خاصّة في عملية تصنيف اللهجات وتقسيمها.

كما تعتمد الإثنوغرافيا على تأسيس (خرائط إثنوغرافية)، تجمع معلومات مختلفة، وتوزّع جغرافياً حسب أبعاد اجتماعية وإثنية وثقافية، هذا التأسيس يسهّل كثيراً عمل اللغوي في عملية تأسيس أطلس للهجات، فالأطلس هنا هو بداية العمل اللساني، فيكون توزيع الخصائص اللغوية للهجات جغرافياً، قد استفاد من الخرائط الإثنوغرافية داخل المقاربة اللسانية.

فبداية العمل الجغرافي اللغوي هو تشكيل الأطالس اللهجية، حيث يصنّف الباحث اللهجات وفق تمايزها الواضح في خصائصها اللغوية، ثمّ ينسبها ويصنّفها وهذا العمل إثنيّ جدّاً، فنسبة اللهجات كانت عادة وغالباً حسب بعدها الإثني، وإن كان البعد الجغرافي حاضراً معه كثيراً، وقد كان العرب سباقون في هذا الأمر، إذ نسبوا اللهجات العربية القديمة باختلافاتها إلى القبائل التي تستعملها، كلهجة طيء، ولهجة هذيل، ولهجة قريش، ولهجة وائل وغيرها، ولا تزال هذه النسبة تستخدم في العالم إلى الآن، فنجد لهجة الموريسكيين بإسبانيا، ولهجة الجين بالصين، ولهجة الطوارق بالجزائر وغيرها...

كما ينبغي الإشارة إلى أنّ المقاربات اللغوية بصفة عامّة، تنطلق من اللغة ذاتها إلى سياقاتها الخارجية، أي أنّ الباحث لا ينطلق من المعطيات الإثنوغرافية ليصل إلى نتائج لغوية، فهذا ليس من مبدأ علم اللغة، فمقاربة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، يفرض على الدراسة أن تكون من داخل الأنظمة اللغوية للهجات، في حضور المعلومات الإثنوغرافية

كمراً للمقارنة بين المعطيات ومقابلتها فقط، خلال وقوف الباحث على الأبعاد الاجتماعية والثقافية والإثنوية، والتاريخية والجغرافية أيضاً لتلك الأنساق اللغوية، ولا يحتاج الباحث كثيراً للإثنوغرافيا أثناء الدراسة الآنية، بينما يعتمد عليها في المقاربة التاريخية.

وتستفيد الجغرافيا اللغوية من المنهج الإثنوغرافي خلال الدراسة التاريخية، فالبعد الثقافي للمجتمع قيد الدراسة، تركّز الإثنوغرافيا عليه، وكذلك فإنّ الجغرافيا اللغوية لا تهمله أبداً، لأنّ الخصائص اللسانية لأي لهجة كانت، ترتبط بالعامل الثقافي، الذي يؤثر في تلك الخصائص بدرجة كبيرة، وهذا الأمر تبينه الوظيفة الثقافية اللغوية للإثنوغرافيا، من خلال إبراز أهمّ أشكال الثقافة اللغوية للمجتمع في مراحلها التي تدرس ثقافته عامّة، فيقف الباحث اللغوي على أهمّ الاختلافات اللغوية بين لهجة وأخرى، من خلال سيطرة البعد الثقافي على تلك الميزات في المستويات اللسانية المختلفة، وهذا الأمر يخدم الدراسة التاريخية في الجغرافيا اللغوية، وذلك من خلال ما يحمله المجتمع من أدب شعبي شفهي، فاللهجات عادة لا تدوّن حتّى تُحفظ عبر الأزمنة، لكنّها تُحفظ في قوالها الشعرية الشعبية ولا تتكسر أو تضمحلّ خصائصها اللغوية أبداً، يقول ج. كالام كريول (G. Calame-Griaule 1924-2013): «الأدب الشفهي هو الجزء من التراث الذي يتخذ شكلاً حسب شيفرة خاصّة بكلّ مجتمع وكلّ لغة، والاستناد إلى موروث ثقافي، وهو يحمل في نفس الوقت تاريخ الجماعة ومعتقداتها وتصوراتها الرمزية وأنماطها الثقافية ورؤيتها للعالم الطبيعي.»¹ هذا الرأي خاصّ بالباحث الاجتماعي وكذلك فإنّ الباحث اللغوي لا يختلف معه في هذا، فنجد دي سوسير (De saussure 1857-1913) يقول: «تعدّ النصوص الشعرية من الأدلة القيمة في دراسة اللفظ، فهي توفر لنا معلومات متعدّدة اعتماداً على أسلوب النظم، هل هو مقطعي أم كمي أم أنّه يستخدم الأصوات (كتوافق الأصوات في بداية الكلمة أو وسطها) أو في الآخر

¹ بونت بيار، إيزار ميشال وآخرون، ص 45.

(القافية)¹ وهذا يؤكد أهمية النصوص الشعرية وما تحمله وتختزنه من سمات لغوية موروثة تعاقبياً، من جيل إلى جيل من خلال اللهجة واللغة، والأشعار القديمة مجال خصب للجغرافي اللغوي خلال المقاربة التاريخية.

إنّ فالإنثوغرافيا تلعب أدواراً مهمّة خلال البحث اللغوي الذي يعنى بتوزيع اللهجات، وتتخذ أدوارها هذه في أبعاد مختلفة؛ ثقافية واجتماعية وتاريخية ودينية وإثنية وغيرها، لذا فإنّ البحث اللهجي عامّة لا ينفصل عن علم اللغة الاجتماعي، حسب ما صنّفه هاليداي Hallyday (1925-2018)، ويهتم علم اللغة الاجتماعي «بدراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ويشتمل أيضاً على كلّ ما يتعلّق بالعلائق بين اللغة والمجتمع، مُدخلاً في الاعتبار كلّ الميادين التي نعثر عليها مع علم الأعراق البشرية Ethnology، الذي يدرس اللغة لا لذاتها وإنّما باعتبارها تعبيراً عن سلاله معينة، عن شعب، وعن حضارة.»² وهذه التقاطعات إنّما تخدم العمل اللغوي المهتمّ بتوزيع اللهجات ومقاربة اختلافات خصائصها اللغوية جغرافياً.

4_ المنهجان الآني والتعاقبي:

4_1_1_4_ المنهج الآني Synchroni:

وضع دي سوسبر De Saussure بين أيدي الباحثين اللغويين مجموعة من الثنائيات، خلال تنظيره لعلم اللغة العام، ومن بين هذه الثنائيات نجد مصطلحي علم اللغة السنكروني، وعلم اللغة الدياكروني.

ونجد كثيراً من المصطلحات التي تترجم وتقابل المصطلحين السابقين، فالسنكروني يقابله التّزامني أو الآني، بينما الدياكروني يقابله التّعاقبي أو التّاريخي أو الزّمني.

¹ دي سوسير فيردينان، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، ط3، دار آفاق عربية، العراق، 1985، ص 55.

² نهر هادي، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط1، مكتبة لسان العرب، 1988، ص 24.

حيث يعرف دي سوسير De Saussure علم اللغة الآني فيقول: «سيتناول علم اللغة التزامني العلاقة المنطقية والسايكولوجية التي تربط العناصر المتزامنة وتكون نظاما في العقل الجماعي للمتكلمين.»¹ فهو يشير إلى دراسة لغوية تهتمّ بالعلاقات التي تربط البنيات في لغة ما آنيا أو لفترة زمنية محددة، وهذه مقارنة ولا يمكن أن نعطيها صفة علم، لأنّ العلم له فرضيات ونظريات ومناهج، بينما ما أراد دي سوسير De Saussure إنّما هو منهج للدراسة أو بُعد «يُعنى بدراسة المستوى اللغوي لعصر معين اعتمادا على الاستقراء الشامل للأمثلة، ويستبعد أي تفسير تاريخي للتغيرات التي تطرأ عليه.»² فهذه الدراسة إذن تُحدّد زمانيا بعصر معين، وتكون مقارنة عمودية تعتمد على الاستقراء والتصنيف والتّقييد، بعيدا عن أيّ ارتباط لأيّ عامل تاريخي بعملية التّفسير، وهذه خصائص المنهج الوصفي.

فالدراسة الآنية هي دراسة وصفية لخصائص اللغة في مرحلة ما، فهي «تعالج الموقف اللساني في لحظة بعينها من الزّمان، أي أنّها تُعنى بوصف الحالة القائمة للغة ما، وتتجلى اللغة في هذه الحالة في هيئة نظام نسقي يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع بعينه.»³ ومنه فإنّ علم اللغة الآني هو منهج لمقاربة اللغة، وصفيا وبنويًا في حالتها الثابتة، دون دراسة لتتبع مراحل تطورها تاريخيًا، وهذا المنهج يناسب أيضا الدراسات التي تُعنى بالمقارنة والتفسير والمقابلة، كالبحوث الجغرافية اللغوية، التي تهتمّ بالفروق اللغوية بين اللهجات داخل لغة واحدة، أو داخل لهجة أمّ واحدة.

إذن فالآنية أو ما يُعرف بالسّنكروني هي منهج جليّ المعالم، يحصر دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، خلال حقبة زمنية محددة، ويستقرئ خصائص اللغة ويصنّفها ويقعد لها

¹ دي سوسير فيردنان، ص 117.

² دراج أحمد عبد العزيز، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الراشد ناشرون، السعودية، 2002، ص 79-80.

³ بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، مصر، 2003، ص 80.

في مستويات الأداء اللساني، الصوتية والتركيبية والدلالية والمعجمية، دون اللجوء إلى المبررات التاريخية.

4_2_ المنهج التعاقبي (التاريخي) Diachroni:

يُعرف دي سوسير De Saussure العنصر الآخر من ثنائية السنكروني والدياكروني قائلاً: «أما علم اللغة الزمني فيدرس العلاقات التي تربط بين العناصر التي تتعاقب زمنياً ولا يدركها العقل الجماعي، وكلّ عنصر يحلّ محلّ العنصر الآخر، من غير أن تؤلّف هذه العناصر نظاماً.»¹ أي أنّ هذه المقاربة تُعنى بالتغيّرات التي تطرأ على اللغة من عصر إلى عصر يليه، والتي تتمثّل في تعاقب عناصر لغوية لا تكوّن نظاماً لغوياً، لكنها تشارك بدورها فيما ثبت من نظام اللغة الأصلي، وهذا النوع من الدراسات «هو الذي يتتبع تطوّر اللغة عبر الزمن، ويتّسم بدمج المعطيات اللغوية المختلفة دون أن يصنّفها واقعياً.»² لكن بهذا المفهوم فإنّ المقاربة التاريخية للغة ستهمّل العناصر الثابتة التي حافظت على تواجدها، والتي تمثّل الهوية الحقيقية للغة.

وفي العلوم التطبيقية كالجغرافيا اللغوية، وكلّ بحث تاريخي يهتمّ بمعالجة اللهجات، فإنّ دراسة العناصر التي حلّت مكان بعضها وإهمال العناصر الثابتة، يُعدّ تقصيراً خطيراً في عمليّة البحث، وهذا ما أشار إليه جاكوبسون R. Jakobson (1896-1982) قائلاً: «تختبر اللسانيات التعاقبية اليوم تتابع التّزامنيات الدينامية وتواجهها؛ وبهذه الطريقة تصف تطوّر اللغة بمنظور تاريخي أوسع، مع الإهتمام المناسب ليس فقط بتحوّلية النظام اللساني، بل بعناصر النظام الثابتة وغير القابلة للتحوّل، والتّركيز على النظام، وتطبيق تعاقبية

¹ دي سوسير فيردنان، ص 117.

² دراج أحمد عبد العزيز، ص 79.

المبادئ التحليلية نفسها التي استخدمت في التزامن.¹ فالعالم هنا يوضح الآلية الإجرائية للمنهج التاريخي، فهي دراسة آنية وصفية لكل مرحلة تعاقبية، دون إهمال العناصر الثابتة.

فإن كان دي سوسير De saussure صاحب الفكرة، فإنها تتضح كلما تقدّم الزمان وتقدّمت الأبحاث العلميّة، وقد انتقد جاكوبسون Jacobson المفهوم السوسيري للتّعاقبية دون أن يهدمه، بل أضاف إليه ما يخدم المقاربة التاريخية ميدانيًا، فالمقاربات التطبيقية لها القول الفصل في النظريات.

4_3_ المنهجان الآني والتاريخي في الجغرافيا اللغوية:

تعتبر الآنية والتاريخية منهجين متّبعين في الدّراسات اللغوية، وإن كانت الدّراسة الآنية أسبق ميدانيًا فلأنّ نقطة الانطلاق في الدّراسات التاريخية تبدأ من الدّراسات الوصفية الآنية، وتكون أيضا الدّراسة التاريخية وصفية إلى حدّ بعيد لما تراكم دون وعي الجماعة اللغوية، بين حقتين زمانيتين أو أحقاب عديدة، متى توقّرت السّبيل لذلك، حيث يطلق اللسانيون على الأول «اسم المنهج الوصفي أو البنيوي الذي يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن، في حين يطلق على الثاني اسم المنهج التاريخي الذي يهدف بدوره إلى البحث في العناصر المتتابعة زمانيا.»² ويوضح دي سوسير De saussure مبدأ الدّراسات الآنية فيقول: «الدّراسة التزامنية لها زاوية نظر واحدة، وهي زاوية نظر المتكلمين، والأسلوب الذي تتّبعه يتكوّن من جمع الأدلّة من المتكلمين.»³ فالرجل يحصر نظرة الباحث في التركيز على النّظام اللغوي الثابت فقط، لكنّ اللغة لا تتكوّن دائما من أنساق منتظمة يسهل تتبّعها، كما يحدث في اللهجات مثلا، وهذا ما جعل جاكوبسون Jacobson لا يرى

¹ جاكوبسون رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح، حسن ناظم، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2002، ص 37.

² بوقرة نعمان، ص 80.

³ دي سوسير فيردينان، ص 108.

بالنظرة السوسيرية، يقول: «يرغما التطور التام للجغرافيا اللسانية _ اللسانيات المساحية_ ودراسة الصّلات بين اللغات المتجاورة، على مراعاة النموذج الزمكاني للاجراءات اللفظية بوصفه الجزء المكمل لكلّ نظام "أيدوسنكرونى idiosynchronic"¹ فهو يشير إلى دراسة متعدّدة وفق منهج سنكرونى متعدّد، حسب خصائص كلّ منطقة وأهلها، فالنظام الأيدوسنكرونى هو تلك الخصائص الفكرية والثقافية والإثنية والتاريخية، والجغرافية لذلك النظام اللغوى الذى بدوره يختلف عن النظام اللغوى المجاور له، ليكون كلّ نظام مع الآخر تكاملاً، ما يوجب على الباحث فى اللهجات أن يراعى ذلك الاختلاف، دون أن يضع فى فرضياته نظاماً واحداً ونهائياً للهجة ما.

كذلك ينتقد سامسون J. Samson رأي دي سوسير ويقول: «ويتحدّث ديسوسير عن الطبيعة العشوائية للعمليات التزامنية كما لو كانت حقيقة بدهية يقبلها الناس بمجرد سماعها، لكنّ هذا يخالف الواقع، فمن الممكن أن ندرك أنّ التبدلات التاريخيّة ربّما تنجم، ولو جزئياً على الأقل، عن التأثيرات التى تتركها على النظام التزامنى، بحيث لا تحدث مثلاً تبدلات قد تؤدّي إلى قدر كبير من اللبس.»² وهذا انتقاد لمبدأ العبثية الذى يتبناه دي سوسير فى رؤيته لوجود اللغة أساساً، ويربط سامسون بين المقاربة الآنية والتاريخية من حيث العلاقة التى يكتشفها الباحث ميدانياً، بين تلك الخصائص اللغوية التى ثبتت والتي تغيّرت وكذا التى اضمحلت، وهذا يظهر جلياً خلال دراسة اللهجات تاريخياً، ويقول ليونز J. Lions: «ومبدأ أولوية الوصف التزامنى يفهم منه عادة أنّه يحمل ما يتضمن أنّه بينما يعتمد الوصف التزامنى على الوصف التاريخى، فإنّ الوصف التاريخى يقترض سلفاً التحليل التزامنى السابق للحالات المتتابعة التى تمرّ من خلال اللغة فى مجرى تطورها التاريخى، وربّما لم يكن هذا وجهة نظر سوسير، لكنه يترتب بالضرورة على ما يعد افتراضات مقبولة الآن على نطاق

¹ جاكوبيسون رومان، ص 38.

² سامسون جيفرى، مدارس اللسانيات _ التسابق والتطور_، تر: محمد زيادة كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 1998، ص 34.

واسع، حول طبيعة النظم اللغوية.¹ فدراسة اللهجات وتوزيعها آنيا هي دراسة وصفية، بغض النظر عن تراكم العناصر اللغوية بكل لهجة تاريخيا، بينما دراستها تاريخيا يحتاج إلى التأصيل Etymology وهو «مصطلح يستخدم تقليديا لدراسة أصول صيغ الكلمات ومعانيها، وبدلا من أن يأخذ التأصيل طرائقه ومناهجه من علم اللغة (وبصفة خاصة علم الدلالة) فإنه قد يبدو فرعا من علم اللغة التاريخي.»² إذن فالمقاربة الآنية في الجغرافيا اللغوية هي مقارنة بنوية، تصف خصائص كل لهجة واختلافاتها عن بعضها، وفق توزعها الجغرافي، مع مراعاة اختلاف أنظمة تلك اللهجات، دون أن ترتبط هذه الدراسة بأي عامل خارجي، بل هي دراسة لغوية تماما في مجالها التطبيقي الوصفي.

أما المقاربة التاريخية في الجغرافيا اللغوية، فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بأبعاد أخرى غير لغوية، مثل البعد الإثني والبعد الثقافي، وهنا تبرز الحاجة إلى الإثنوغرافيا اللغوية، لأن دراسة لغة ما تاريخيا خاصة إن كانت اللغة هذه معيارية، قد لا تحتاج كثيرا إلى جمع المعلومات عن المتكلمين، لأننا سنجد في كل مرحلة زمنية كثيرا من اللغة المدونة، وسنقارب هذه اللغة بسهولة ثم تتم مقارنة خصائصها في كل مرحلة.

لكن في الجغرافيا اللغوية، فإن دراسة اللهجات يصعب أن نجدها في شكلها المكتوب والمدون في كل مرحلة زمنية، ففي هذه الحالة يعتمد الباحث على المنقول والمتواتر شفاهيا من الأشعار لكل مرحلة، وتعدّ النصوص الشعرية المدونة أو المنقولة مشافهة «من الأدلة القيمة في دراسة اللفظ فهي توفر لنا معلومات متعدّدة اعتمادا على أسلوب النظم.»³ وكذلك فإنّ الأدب الشفهي هو «الجزء من التراث الذي يتخذ شكلا حسب شيفرة خاصة بكلّ مجتمع وكلّ لغة، والاستناد إلى موروث ثقافي، وهو يحمل في نفس الوقت تاريخ الجماعة ومعتقداتها

¹ ليونز جون، اللغة وعلم اللغة، تر: مصطفى التوني، ج1، ط1، دار النهضة العربية، مصر، 1987، ص 78.

² المرجع نفسه، ص 75.

³ دي سوسير فردينان، ص 55.

وتصوراتها الرمزية وأنماطها الثقافية ورؤيتها للعالم الطبيعي.¹ ويخدم هذا التصور أو الرأي تتبع تطور خصائص اللهجات في مستوياتها التركيبية والمعجمية والدلالية أيضا، بينما يظل المستوى الصوتي يعاني من النقائص، فالخصائص الصوتية لا تدرس إلا سماعا، وانتقال تلك الميزات اللسانية من فترة إلى فترة ومن جماعة إلى جماعة ومن جيل إلى جيل؛ يجعلها تفقد كثيرا من أصالتها التي كانت عليها في عصرها الأول، وهي أي الخصائص الصوتية- تعتبر أهم مستوى لغوي يمكن أن يشير إلى الانتقال الجغرافي التاريخي للهجات.

لذا سيحتاج البحث إلى الاعتماد على علم الجغرافيا التاريخية، التي يراها بعض الباحثين بأنها «دراسة ما قبل التاريخ أو دراسة جغرافية لأي فترة تاريخية أخرى تحتوي على أدلة تاريخية.»² بينما يميل آخرون إلى اعتبار أن الجغرافيا التاريخية «تهتم بدراسة تأثير البيئة الجغرافية على مجرى الحوادث التاريخية، ومثل هذا التعريف يؤكد أيضا الصلة بين الجغرافيا والتاريخ.»³ وهذا العلم يرتبط كذلك باللسانيات «وعن طريق التحليل اللغوي يتمكن دارس الجغرافيا التاريخية من التعرف على الإنسان في الفترات التاريخية المختلفة، فاللغة هي وسيلة الحفاظ على الحضارة ونقلها من جيل إلى آخر.»⁴ فحاجة اللغويين أيضا تتفق مع حاجة الدارسين في الجغرافيا التاريخية، فالباحث في الجغرافيا اللغوية لابد له من الوقوف على أهم المراحل التاريخية التي تطورت فيها اللهجات المدروسة، وتوزيعها الجغرافي في كل مرحلة، وهذا لا يتأتى إلا بالاعتماد على ما تعطيه الجغرافيا التاريخية من معلومات، خاصة في حركة الهجرات البشرية جغرافيا عبر التاريخ.

¹ بونت بيار، إيزار ميشال وآخرون، ص 45.

² محمد محمد الفتحي بكير، الجغرافيا التاريخية- دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999، ص 02-03.

³ المرجع نفسه، ص 03.

⁴ المرجع نفسه، ص 09-10.

إذن فالمقاربات التاريخية في الجغرافيا اللغوية، قد تختلف عن مثيلاتها التي تُعنى باللغات، حيث أنّ آليات المنهج التاريخي الإجرائية في دراسة توزّع اللهجات، تختلف عنها في دراسة اللغات تاريخياً، ففي الجغرافيا اللغوية يتمّ رصد المتشابهات من الخصائص اللغوية للهجات لكلّ مرحلة زمنية، في حيز جغرافيّ يتعدّى الحيز الجغرافي الذي تقيد به الباحث في مقاربتة الآنية، أي عندما ندرس توزّع لهجات ولاية تبسة آنياً، فإننا لا نخرج من حدود ولاية تبسة، لكن في الدراسة التاريخية فسنعدّ تلك الحدود إلى دول أخرى ومساحات جغرافية بعيدة، ترسمها لنا الدراسة الجغرافية التاريخية، وتحدّد ملامحها المقاربات الإثنوغرافية أيضاً، لنرسم في الأخير حركة تاريخية جغرافية لحياة مجموعة من اللهجات، ونقف على أهم أسباب وجودها وتوالدها وتوالجها وانتشارها، وأسباب اضمحلال بعض الخصائص وأسباب تطوّر أخرى منها.

5_ التعريف بولاية تبسة:

5_1_ الموقع الجغرافي:

تقع ولاية تبسة في شمال الشرق الجزائري، في أقصى شرق جبال الأوراس، يحدها شمالاً ولاية سوق أهراس، وجنوباً ولاية واد سوف، أما شرقاً فتحدها الجمهورية التونسية، ويحدها من الشمال الغربي ولاية أم البواقي، ومن الجنوب الغربي ولاية خنشلة، وتترع ولاية تبسة على مساحة تقدّر بـ 13878 كم² منذ التقسيم الإداري لسنة 1974م الذي أعلنت فيه ولاية.

5_2_ أصل التسمية:

قيل إن أصل الاسم (تبسة) هو من (thevest) الروماني، لكن اسم (تيفست) يعود إلى «الأصل البربري الأول الذي أطلقه عليها سكانها الأصليون، والذي يعتقد حسب الترجمة القديمة بأنها هي [اللبوة]، ولما دخلها القائد الإغريقي [هركيليس] شبّهها لكثرة

خيراتها بمدينة [تبيس] الفرعونية العتيقة، والمعروفة تاريخيا واليوم بـ [طيبة] أو [طابة] الفرعونية، ثم حرّف الرومان اسمها لما دخلوها عنوة فصارت تسمى مدينة [تيفيستيس] لسهولة نطقها، ومنذ ذلك التاريخ اختصرت كلّ الزيادة اللفظية منها، وصارت تعرف بـ [تيفست].¹ ثمّ تعيّر اسمها لما فتحها العرب المسلمون في بدايات القرن الثامن للميلاد الأوّل للهجرة، فصار [تَبِسَة] بفتح التاء وكسر الباء، وهذا الاسم كان يخصّ مدينة تبسة فقط عاصمة الولاية، ثمّ شمل الولاية لها إداريًا.

5_3_ التّقسيم الإداري لولاية تبسة:

تُقسّم ولاية تبسة إداريا إلى 12 دائرة و 28 بلدية كالاتي:

_ دائرة تبسة: بلدية تبسة.

_ دائرة الكويف: بلدية الكويف، بلدية بكارية، بلدية بولحاف الدير.

_ دائرة مرسط: بلدية مرسط، بلدية بئر الذهب.

_ دائرة الماء الأبيض: بلدية الماء الأبيض، بلدية الحويجات.

_ دائرة العوينات: بلدية العوينات، بلدية بوخضرة.

_ دائرة الوزنة: بلدية ونزة، بلدية المريج، بلدية عين الزرقاء.

_ دائرة بئر مقدم: بلدية بئر مقدم، بلدية الحمامات، بلدية قريقر.

_ دائرة الشريعة: بلدية الشريعة، بلدية ثليجان.

_ دائرة بئر العاتر: بلدية بئر العاتر، بلدية العقلة المالحة.

¹ عيساوي أحمد، مدينة تبسة وأعلامها _ بوابة الشرق ورنّة العروبة وأريج الحضارات_، ط1، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 24.

_ دائرة العقلة: بلدية العقلة، بلدية المزرعة، بلدية بجن، بلدية سطح قنتيس.

_ دائرة أم علي: بلدية أم علي، بلدية صفصاف الوسرة.

_ دائرة نقرين: بلدية نقرين، بلدية فركان.

5_4_ السكّان والتنوع الإثني:

بلغ تعداد سكّان ولاية تبسة حسب إحصاء سنة 2018 م حوالي 657227 نسمة، حسب ما نشره الديوان الوطني للإحصائيات في موقعه، وهذا الرقم قد ازداد منذ تلك السنة بنسبة 1.99 بالمئة.

وينقسم سكّان تبسة من الناحية الإثنية إلى عروش، والعرش بمفهومه المتداول يعني القبيلة عامّة، ويعني الحلف العشائري المتكوّن من قبائل وعمائر مختلفة الأصول بالمفهوم الأنثروبولوجي، وأكبر عرش في ولاية تبسة من حيث العدد هو كنفدرالية اللمامشة (المامشة)، الذي ينتشر في كامل الدوائر جنوب الولاية، وبالعاصمة الولاية نفسها في أحيائها الجنوبيّة بين سفوح الجبال، وهذا العرش عبارة عن حلف ضخم من قبائل عربية وقبائل بربرية وأعراق أخرى، ظهر عند دخول العثمانيين للمنطقة وبعد فشل الثورة الشّابية، وينقسم عرش اللمامشة إلى ثلاث فرق أو أحلاف كبرى وهي: حلف البرارشة، حلف العلاونة، وحلف أولاد رشاش، وهذا الأخير يستوطن ولاية خنشلة في الرّوي وبابار وتازوغارت، بينما البرارشة والেলাونة هم سكّان تبسة.

ثمّ نجد في المرتبة الثّانية عرش أولاد يحيى بن طالب، الذي يهيمن على الدّوائر الشّمالية للولاية، وينتشر أيضا شمال عاصمة الولاية بأحيائها المنبسطة، وهذا العرش بدوره عبارة عن حلف عربي بربري، ظهر تزامنا مع ظهور حلف اللمامشة والحراكتة وغيرهم.

كما نجد قبائل ذات أهميّة مثل قبيلة أولاد عبيد الشّريف، وهي قبيلة عربية أصيلة تنسب إلى عبيد الله بن خضير الإدريسي العلوي الهاشمي باتفاق النسّابة، يهيمنون على أكثر من نصف بلدية بئر العائر تعدادا ومساحة، كما ينتشرون بالعوينات وونزة بكثرة. كما نجد عرش الفراشيش أيضا الذي يتواجد في دائرة أم علي كلّها، وهم حلف من هواره وبني زعب السّلميين، ونجد كذلك قبيلة الرّغالمة الهوارية المستعربة في الحويجبات، أمّا في أقصى الجنوب فنجد التّقارنية وهم من أقدم سكان دائرة نقرين وهم بربر مستعربة، كما يقطن بالولاية إثنيات قليلة مثل أولاد درّاج الهلاليين، وأولاد ملول الأوريغيين، وعوائل عثمانية تقطن عاصمة الولاية منذ الوجود العثماني بتبسة وتعود أصولهم إلى سگان شرق أوروبا.

الفصل الأول

الخصائص اللغوية للهجات تبسة
وتوزيعها الجغرافي _دراسة آنية_

1_ المستوى الصوتي.

2_ المستوى الصرفي.

3_ المستوى النحوي.

4_ المستوى المعجمي الدلالي.

تمهيد:

تنقسم اللهجات في ولاية تبسة من حيث خصائصها اللغوية؛ إلى لهجتين أساسيتين متميزتين وواضحتين، يمكنك تصنيفهما جغرافياً إلى لهجة الشمال، التي تنتشر في الدوائر والبلديات شمال عاصمة الولاية تبسة، وهي: بولحاف الدير، الكويف، ونزة، عين الزرقاء، المريج، العوينات، بوخضرة، مرسط، بئر الذهب، هذه البلديات التي يسيطر عليها عرش أولاد يحيى بن طالب من الناحية الإثنية والاجتماعية، لذا فالأنسب أن تصنف هذه اللهجة إثنياً، فتكون لهجة قبيلة أولاد يحيى.

ثم نجد لهجة الجنوب، التي تنتشر في باقي بلديات الولاية من: تبسة، بكارية، الحمامات، بئر مقدم، قريقر، صفصاف الوسرة، الماء الأبيض، الحويجبات، بئر العاتر، العقلة المالحة، الشريعة، ثليجان، نقرين، فركان، العقلة، المزرعة، بجن، سطح قنتيس، أم علي، وكلها تقريبا تخضع لنفوذ عرش اللمامشة بالرغم من وجود قبائل أخرى تتقاسم معهم تلك المناطق، كقبيلة أولاد عبيد الشريف، والفراشيش، لكن المكون الإثني في هذه المناطق يستعمل اللهجة نفسها، والتي يشتهر بها عرش اللمامشة، لذا يمكن تصنيف هذه اللهجة إثنياً إلى لهجة اللمامشة.

وعلى ضوء الأطلس اللهجي الذي يقسم لهجات تبسة إلى لهجتين عربيّتين أساسيتين هما: لهجة أولاد يحيى، ولهجة اللمامشة، ستكون المقاربة اللسانية لجغرافيا اللهجات العربيّة بالولاية، مع الأخذ بعين الاعتبار انقسام تلك اللهجتين إلى قسمين بكلّ لهجة وهما: لهجة الحضر وهي اللهجة المستعملة في الحواضر والمدن، ولهجة البدو وهي اللهجة التي تستخدم في البوادي والمداشر والقرى.

وقد اعتمد هذا البحث على الألفبائية الصّوتية العالمية (IPA) في الكتابة الفونيتيكية بهذا البحث، التي وضعتها الجمعية الصّوتية الدّولية حسب تعديل سنة 1996 م.

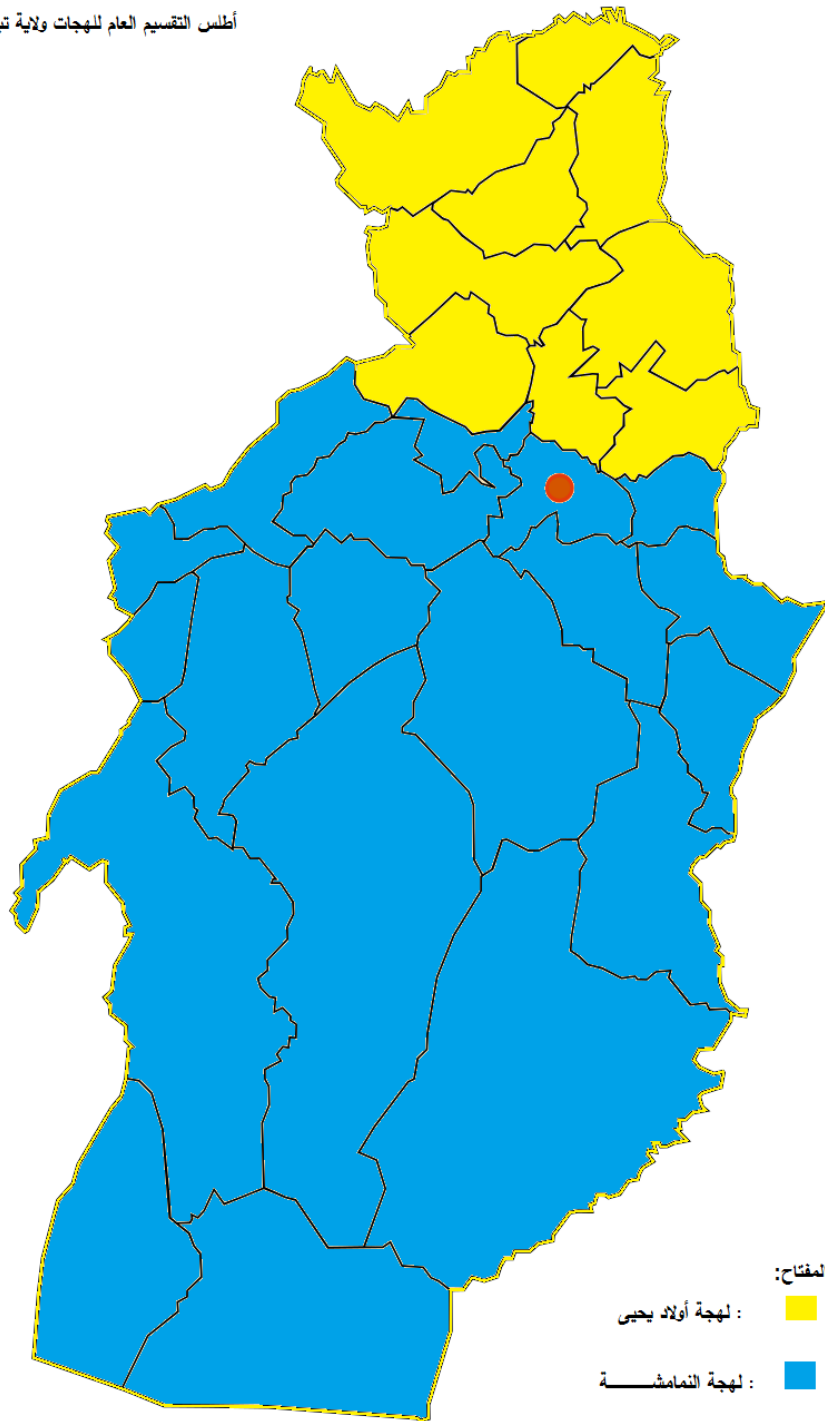
1_ المستوى

الصوتي

الأطالس

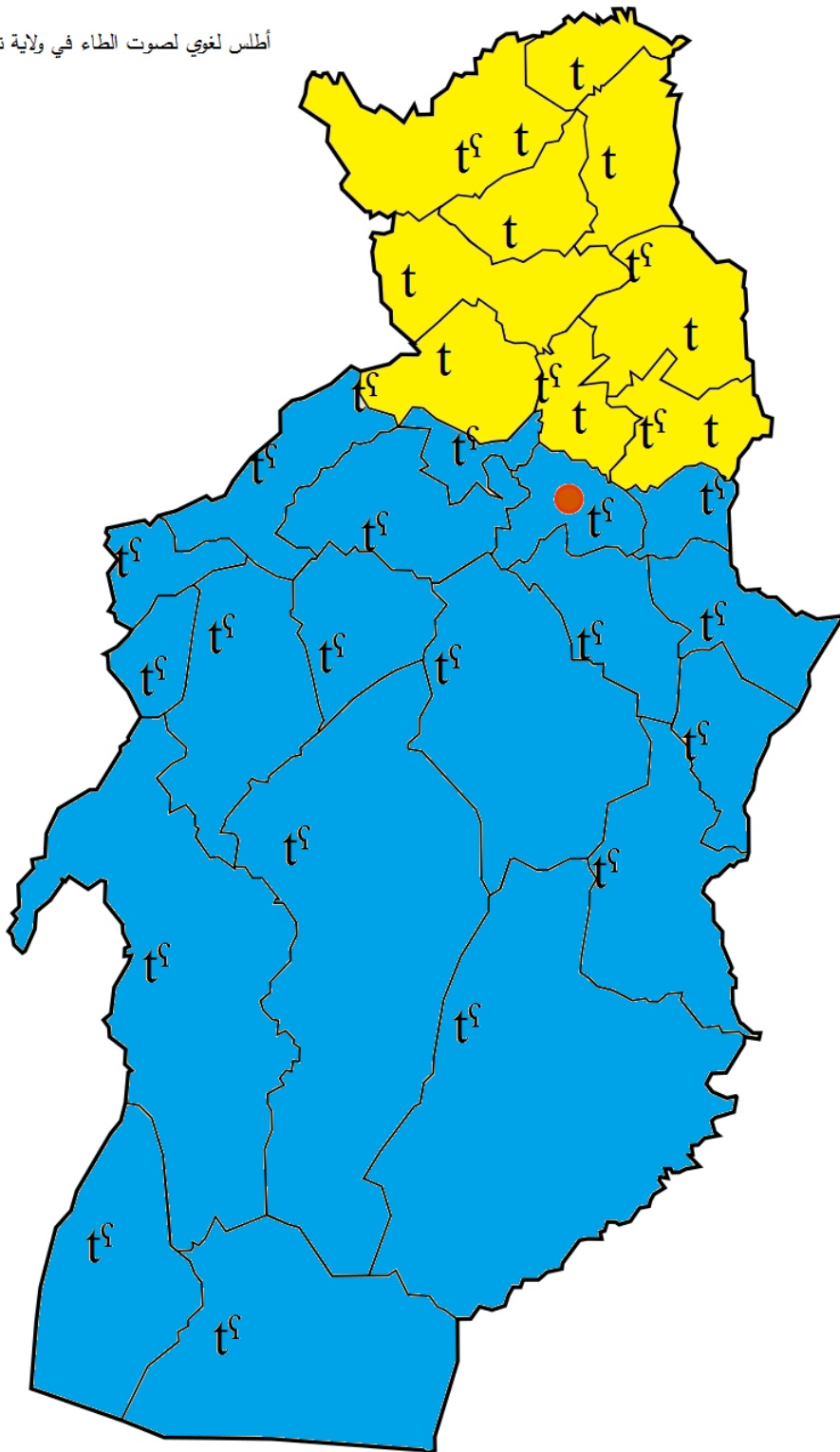
اللغويّة

أطلس التقسيم العام للهجات ولاية تبسة



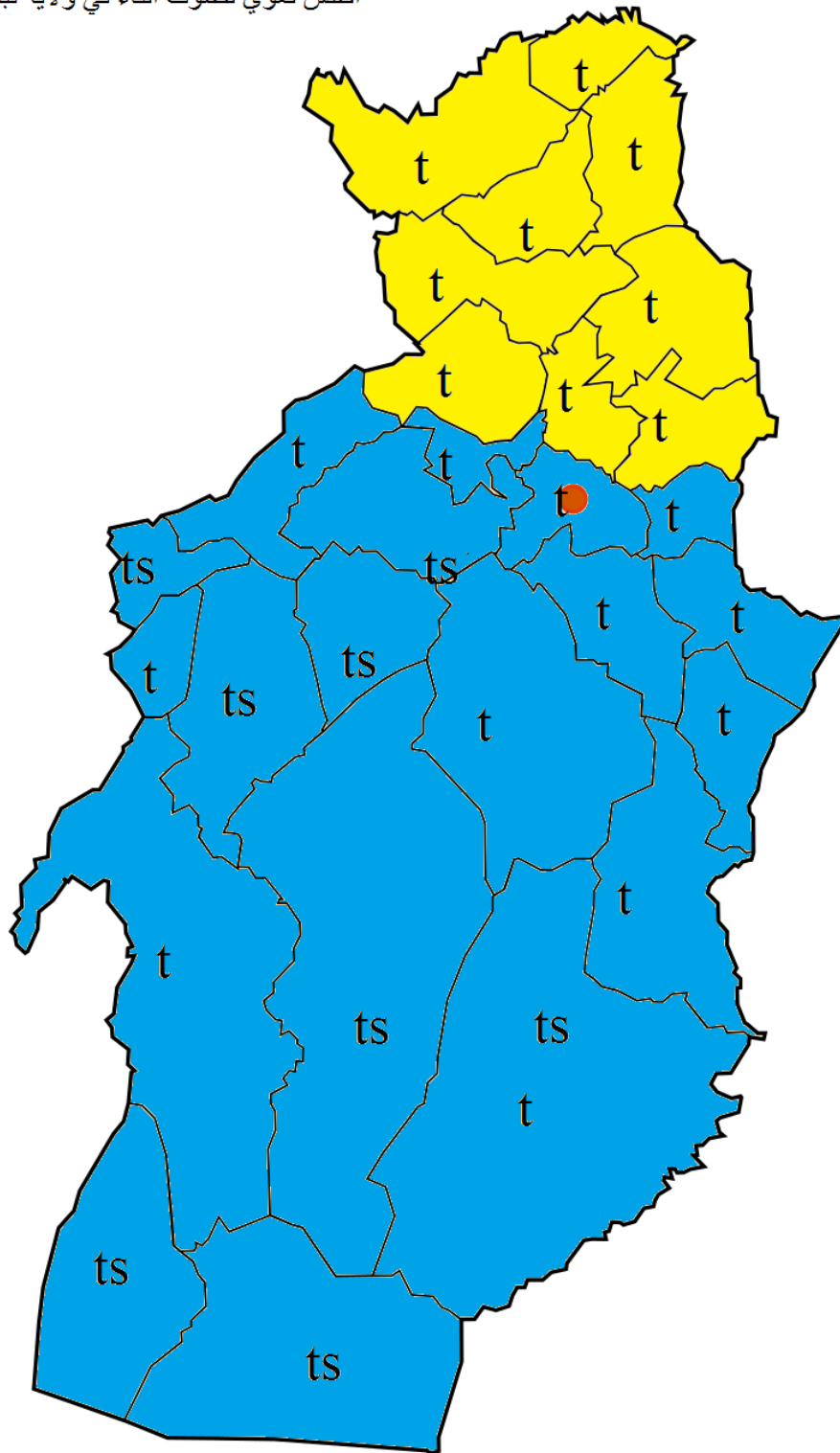
أطلس لغوي رقم 01

أطلس لغوي لصوت الطاء في ولاية تبسة



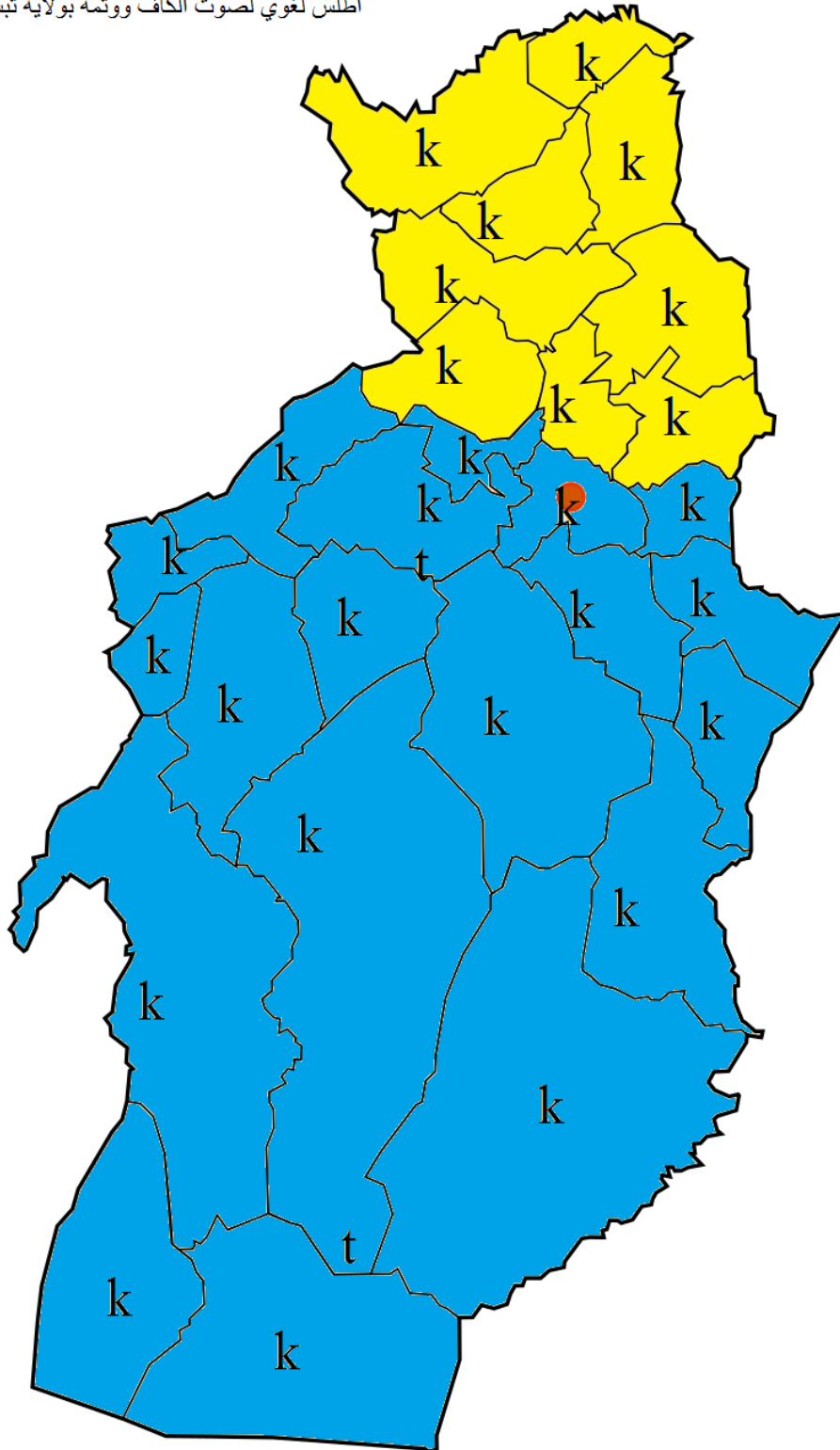
أطلس لغوي رقم 02

أطلس لغوي لصوت التاء في ولاية تبسة



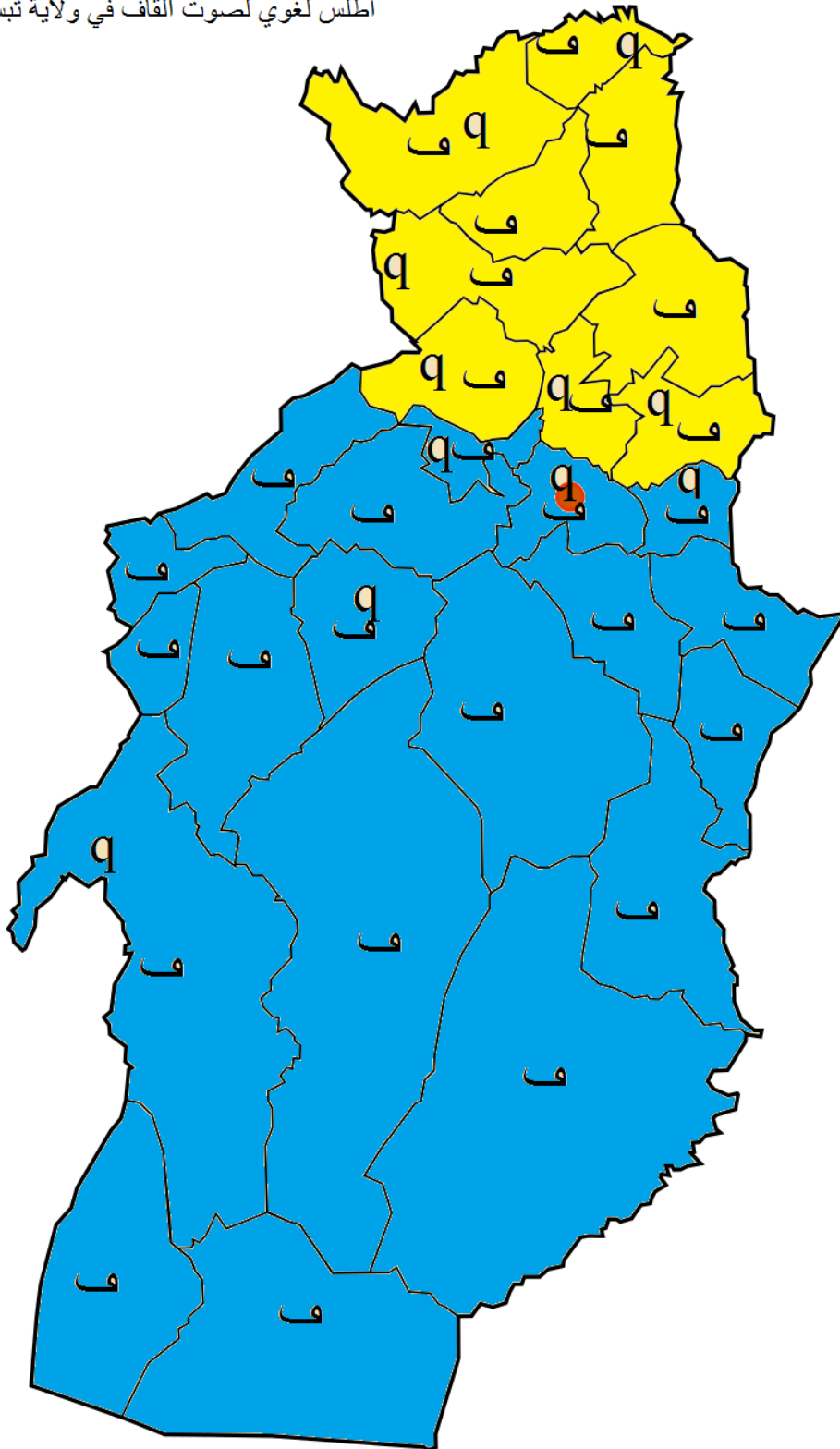
أطلس لغوي رقم 03

أطلس لغوي لصوت الكاف ووثمه بولاية تبسة



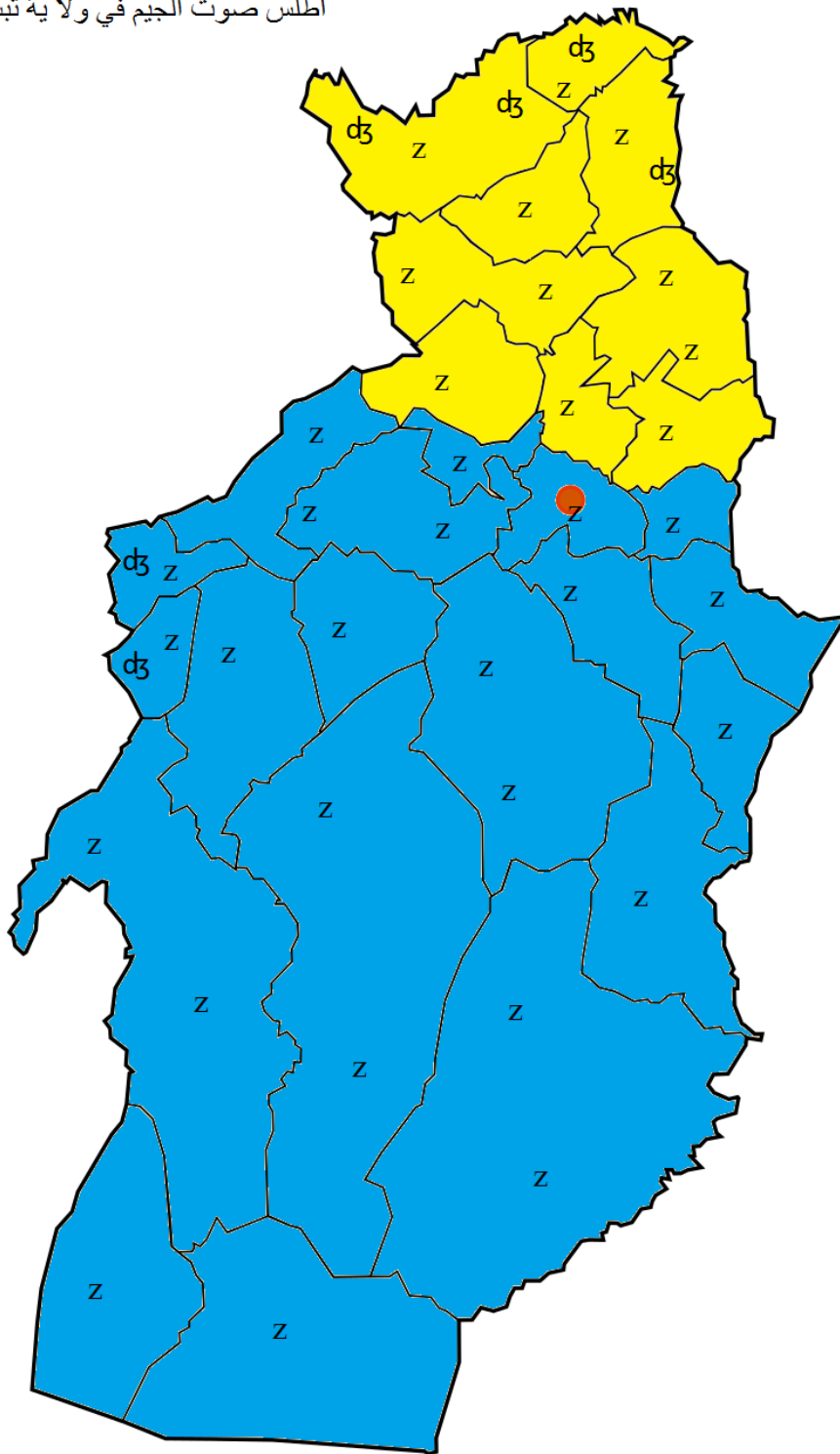
أطلس لغوي رقم 04

أطلس لغوي لصوت القاف في ولاية تبسة



أطلس لغوي رقم 05

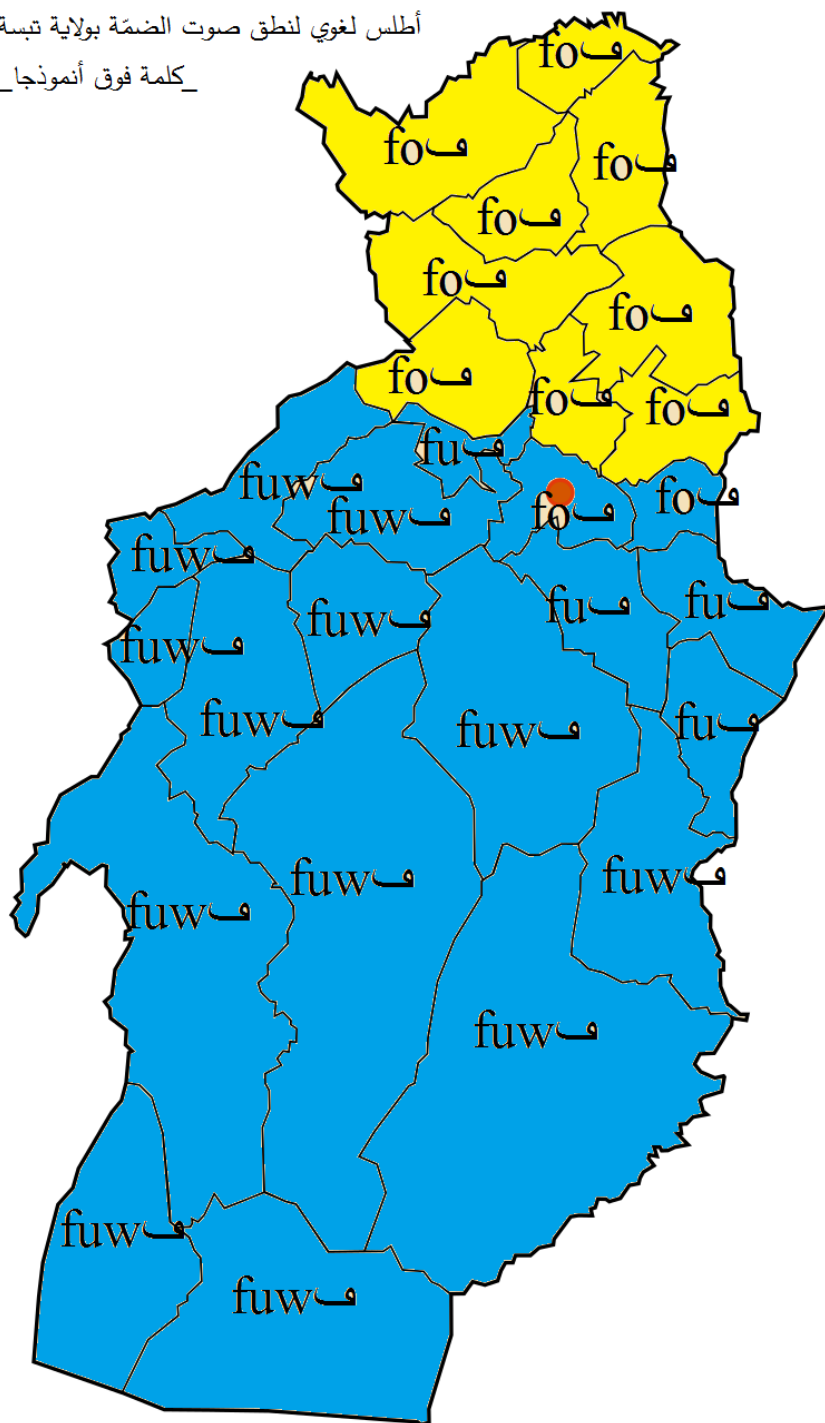
أطلس صوت الجيم في ولاية تبسة



أطلس لغوي رقم 06

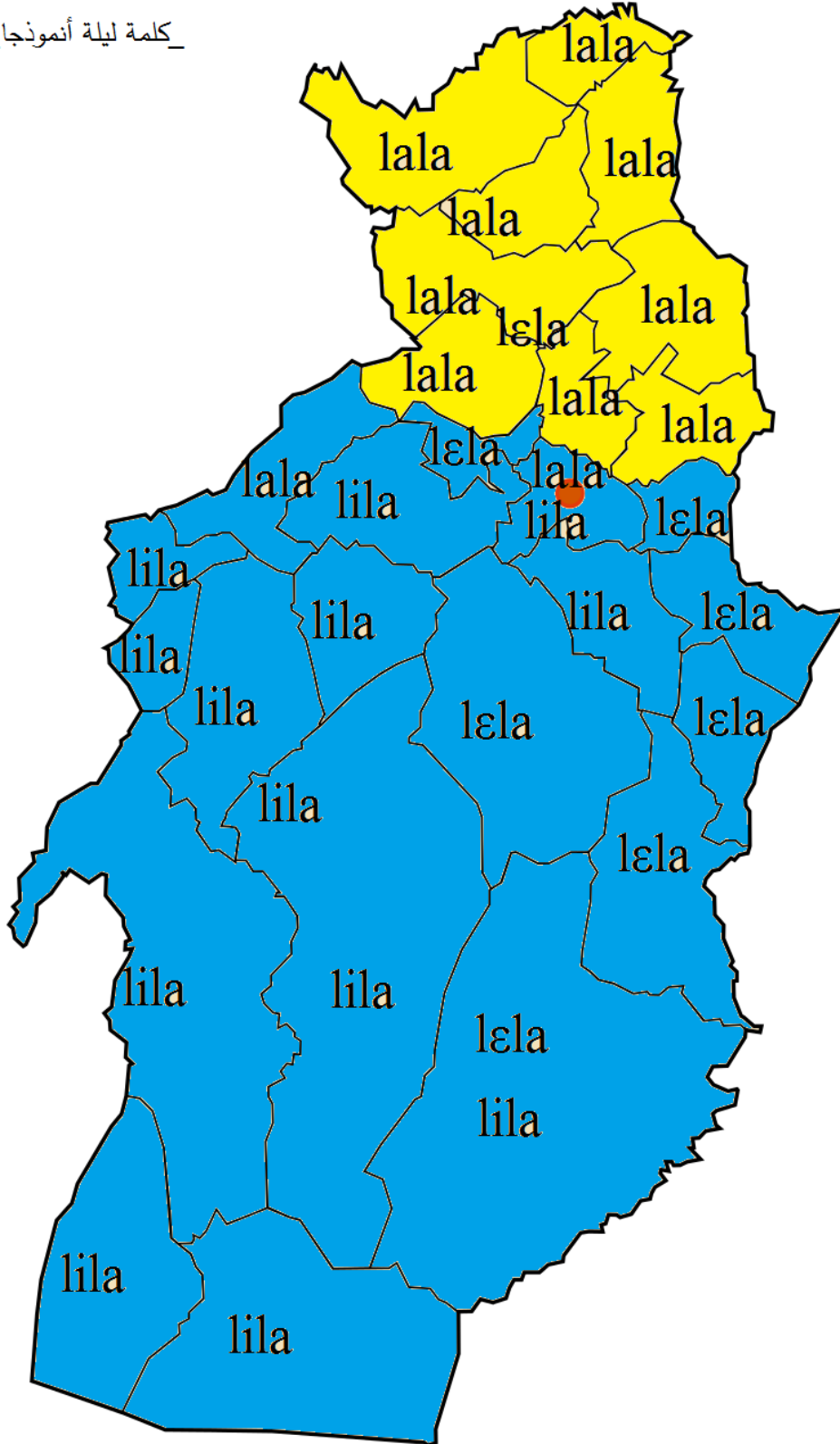
أطلس لغوي لنطق صوت الضمة بولاية تبسة

كلمة فوق أنموذجاً



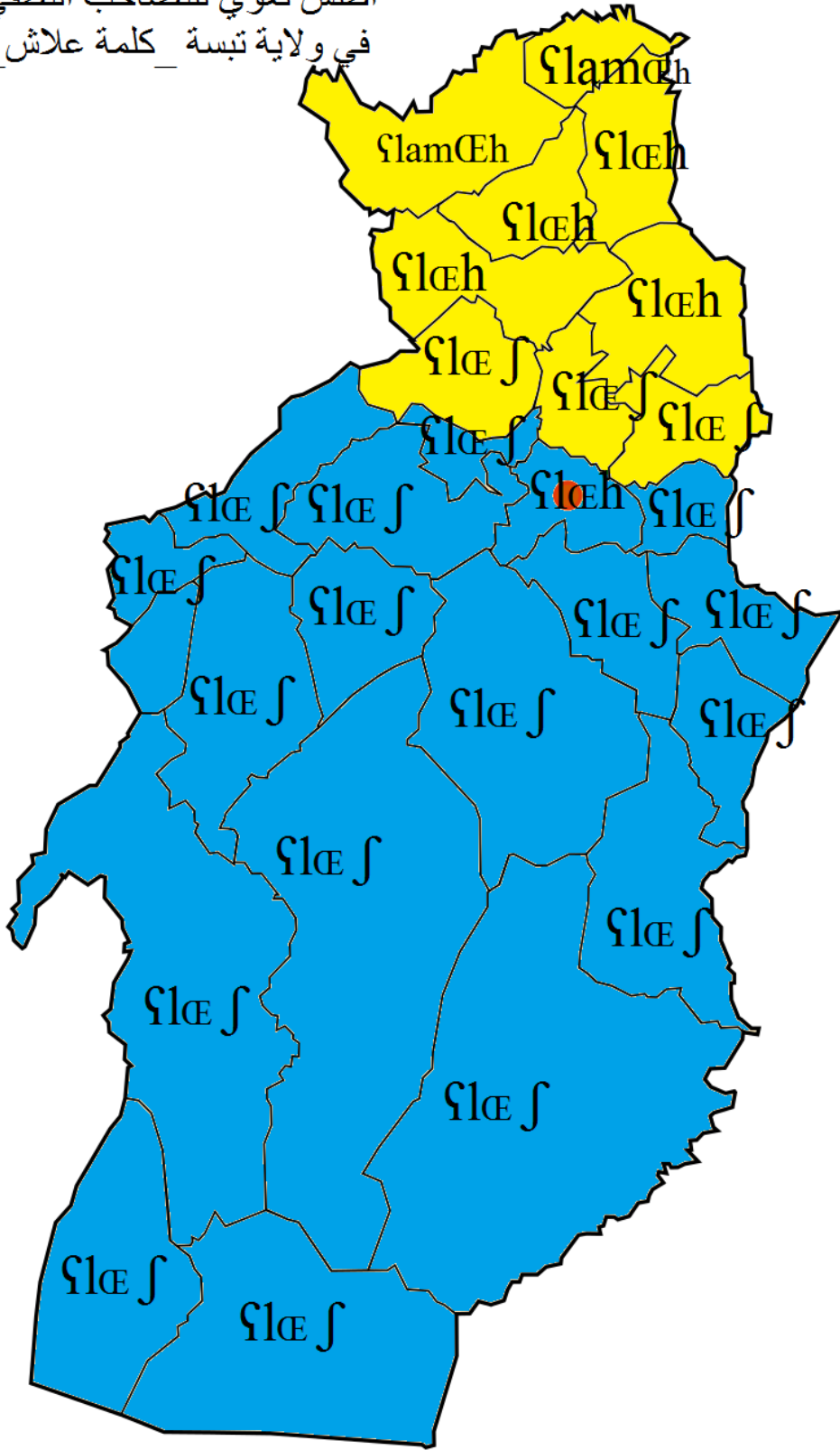
أطلس لغوي رقم 07

أطلس لغوي لنطق صوت اللين الياء بولاية تبسة
 كلمة ليلة أنموذجاً



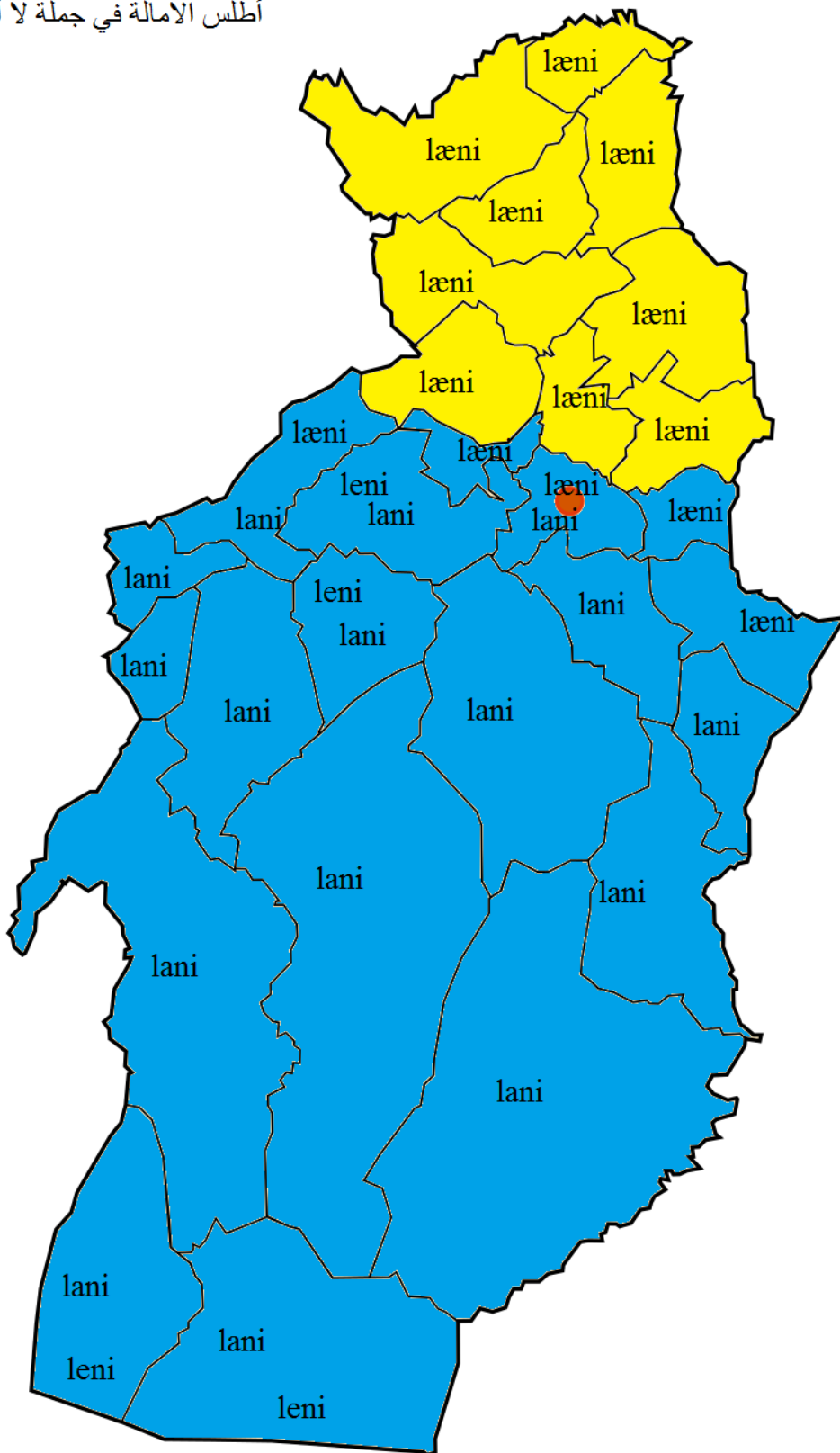
أطلس لغوي رقم 08

أطلس لغوي للتصاحب النطقي
في ولاية تبسة _ كلمة علاش_



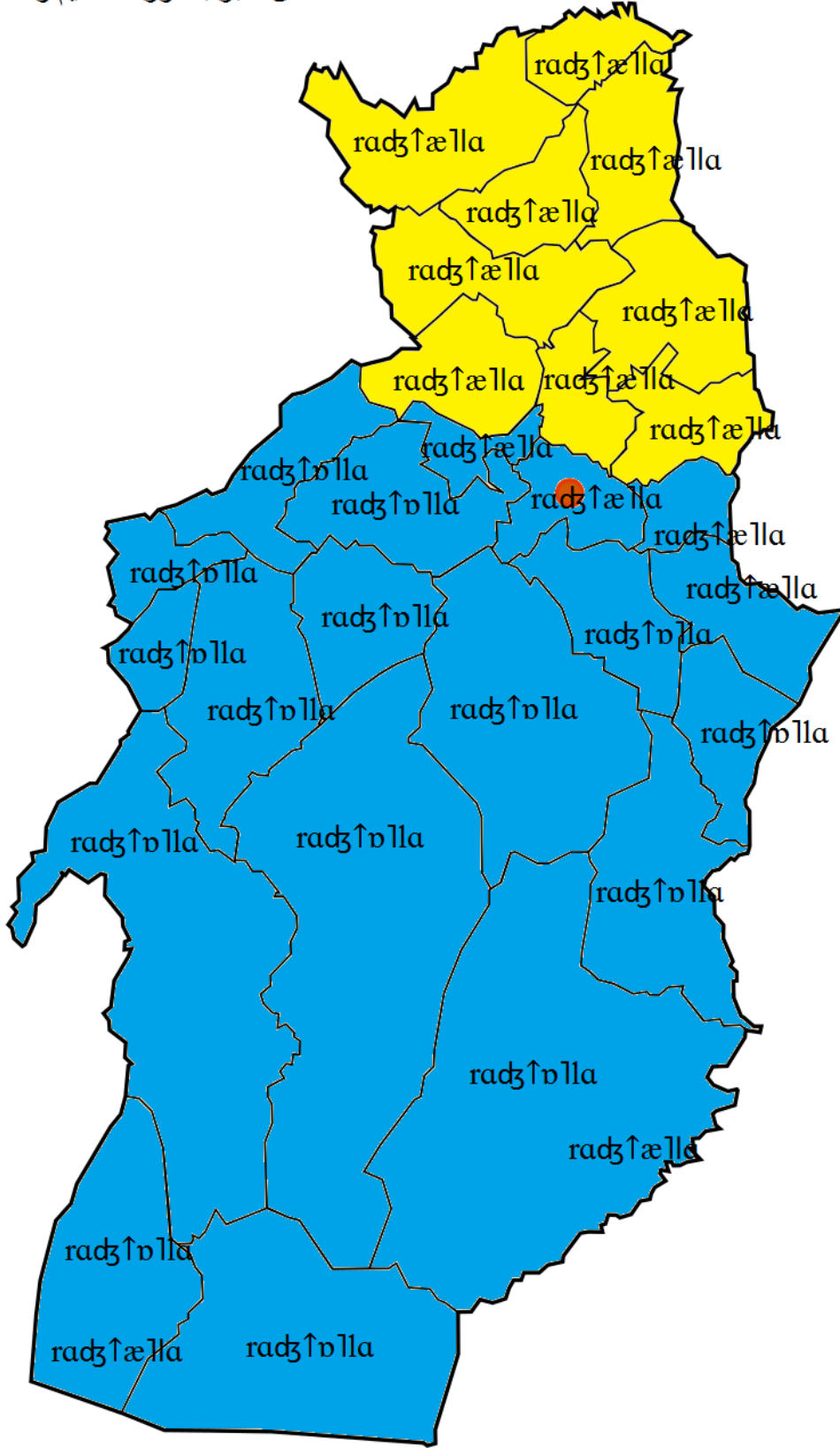
أطلس لغوي رقم 09

أطلس الامالة في جملة لا أنا



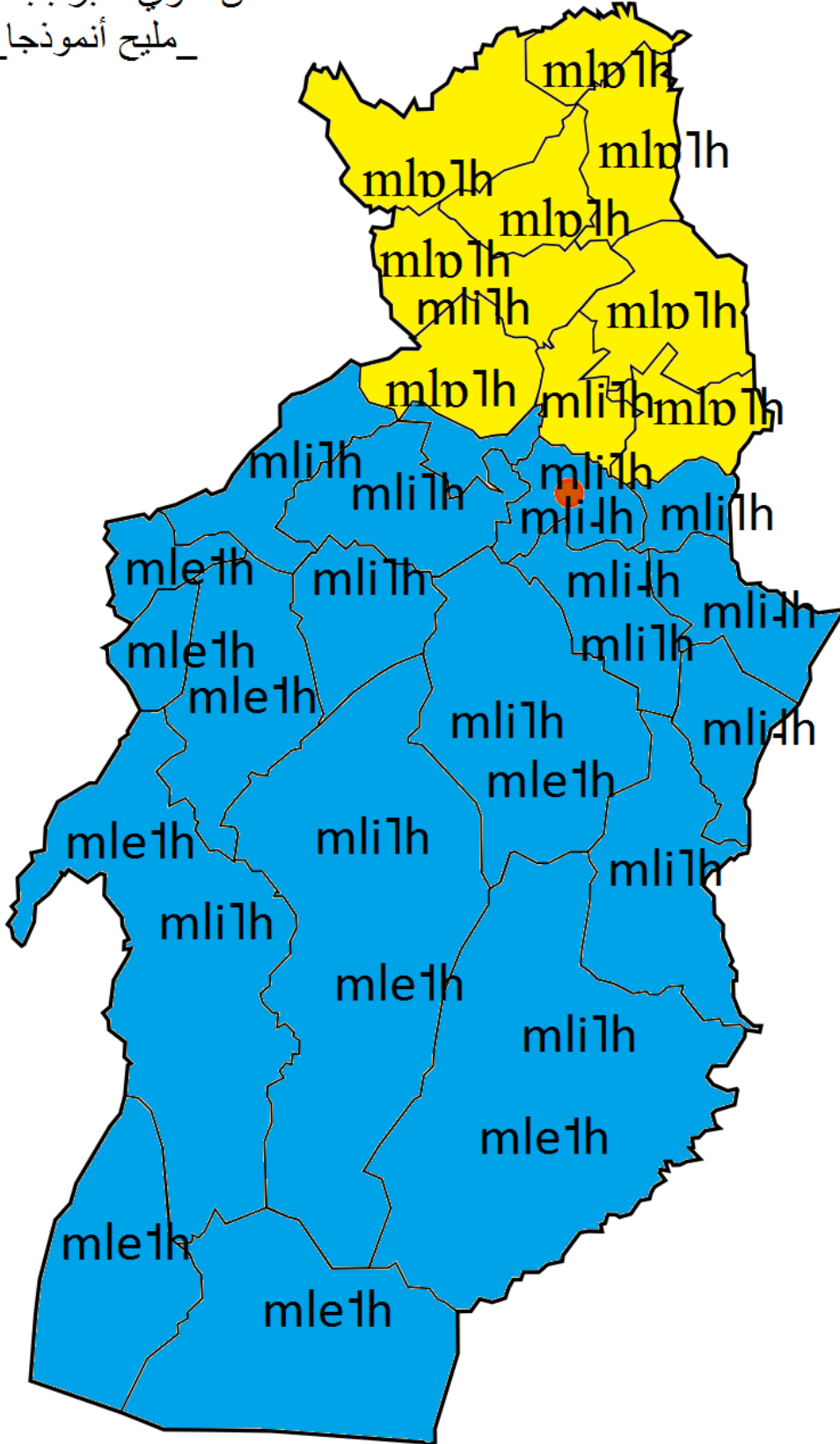
أطلس لغوي رقم 10

أطلس النبر بصورة التفخيم والامالة



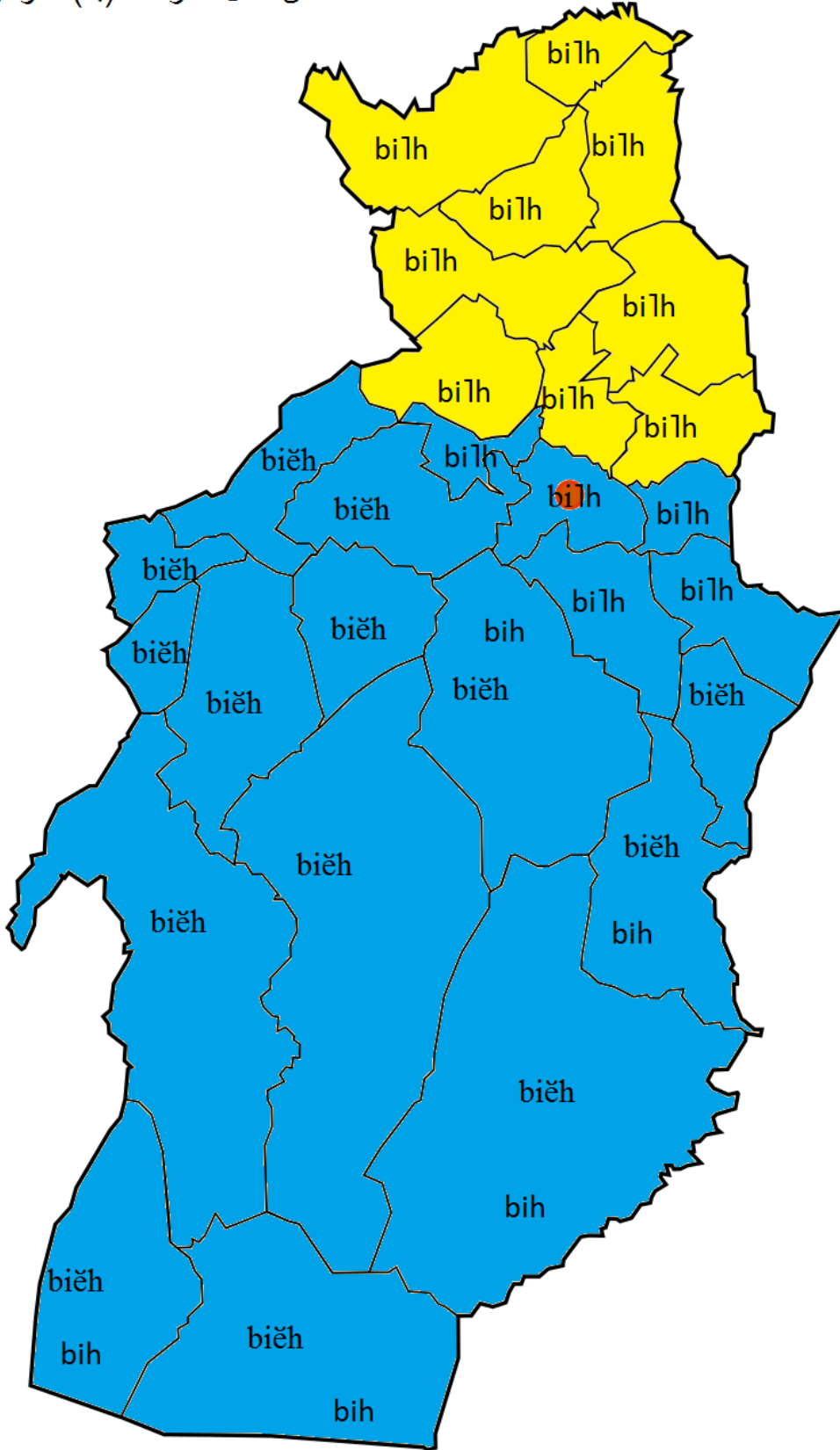
أطلس لغوي رقم 11

أطلس لغوي للنبر بتبسة
مليح أنموذجا



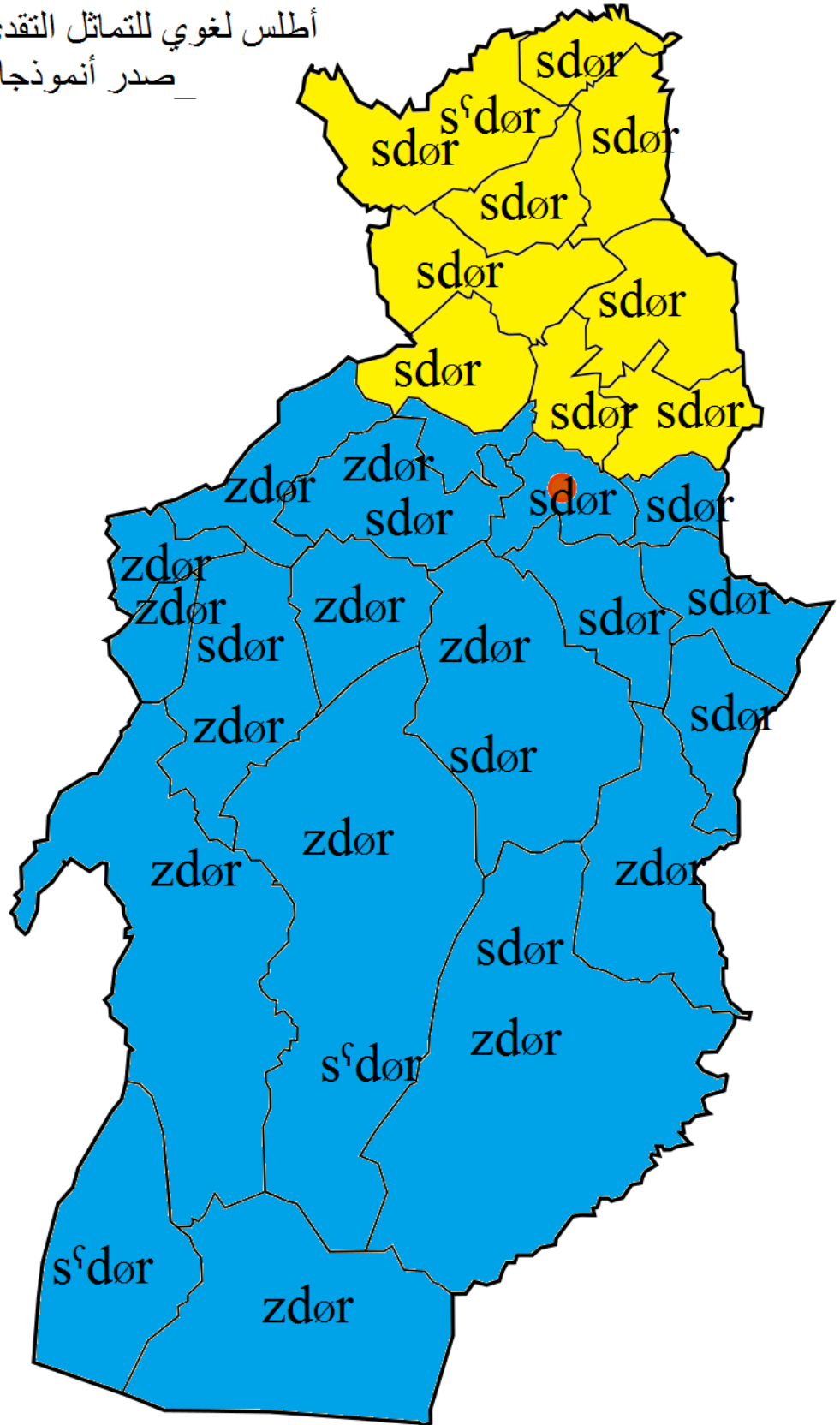
أطلس لغوي رقم 12

أطلس مظل الحركات (به) أنموذجا



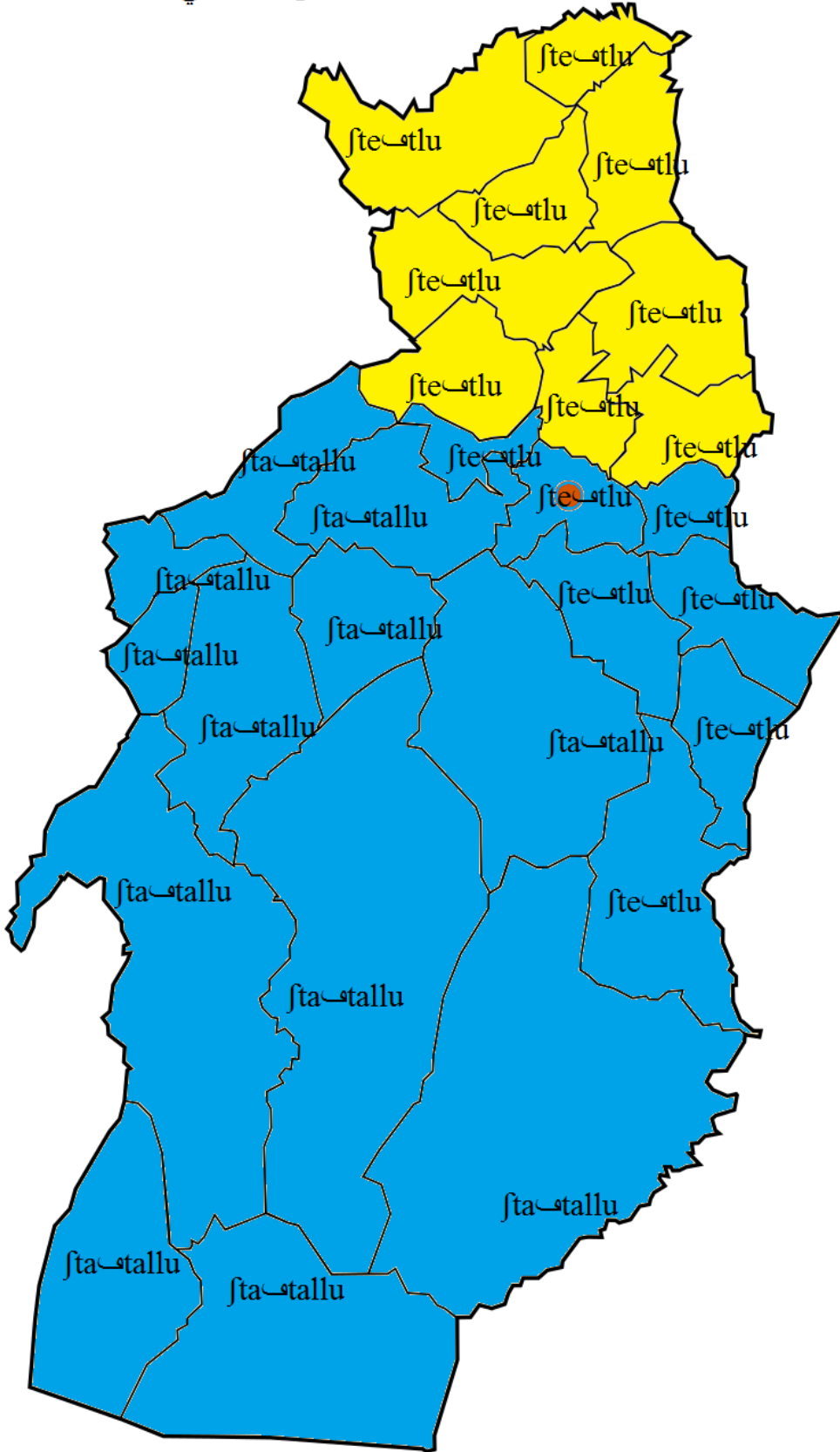
أطلس لغوي رقم 13

أطلس لغوي للتماثل التقدي
صدر أنموذجا



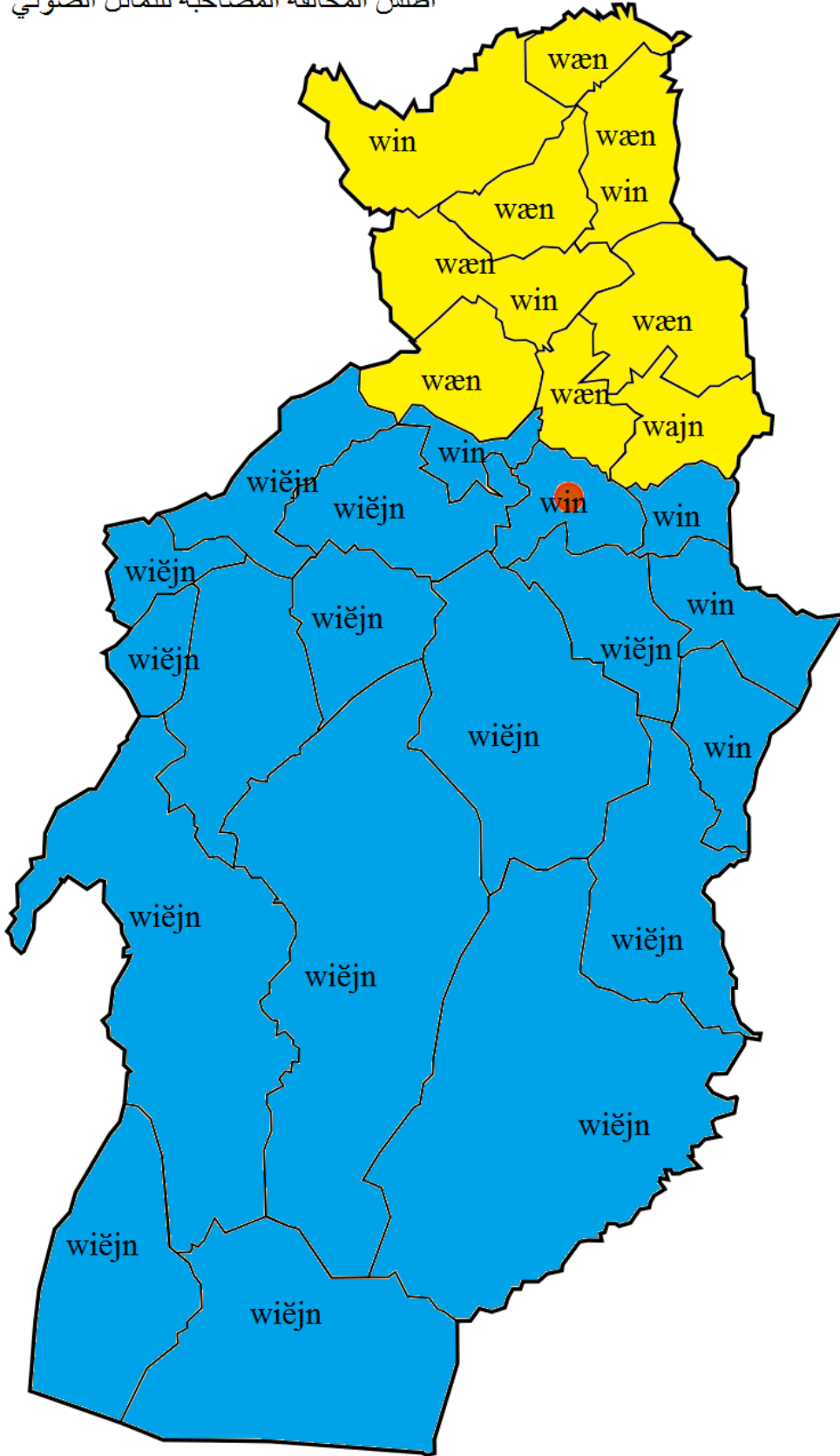
أطلس لغوي رقم 14

أطلس التماثل في حالة الانفصال



أطلس لغوي رقم 15

أطلس المخالفة المصاحبة للتماثل الصوتي



أطلس لغوي رقم 16

1_1_1 مخارج الأصوات:

لا يختلف نطق سگان ولاية تبسة لأصوات اللغة العربية عما هو عند العرب القدماء، وكما بينها اللغويون القدماء والمحدثون، إلا أنّ الاختلاف في مخارج الأصوات الذي يظهر جلياً من لهجة إلى أخرى، نجده خلال استعمال الأصوات التّالية: الطّاء، التّاء، القاف، حيث يكمن الاختلاف الصّوتي لمخارج هذه الأصوات؛ في استعمالاتها في كلمات معيّنة بحدّ ذاتها، كما نجد في صوت الطّاء الذي ينطقه من يتكلّمون بلهجة قبيلة أولاد يحيى تاءً في كلمة [طفل]، وهذا الاستعمال نجده في معظم لهجتهم البدويّة في حين أنّه يختفي في الحواضر، فصوت الطّاء انفجاري لثوي مجهور، وهو يتّصف بأنّه صوت شديد مقلقل، مستعلٍ ومطبق، فأهل البادية في بولحاف الدّير وبئر الذهب، والكويف وبوخضرة، وكذا في المريج وعين الزرقاء وونزة، و جنوب شرق العوينات ومرسط، يقبلون الطّاء تاءً في كلمة [طفل]، وصوت التّاء يشترك في خصائص كثيرة مع صوت الطّاء، فهما صوتان لثويّان شديدان، لكنّ التّاء صوت مهموس لا إطباق به، ولا قلقلة ولا استعلاء.

بينما ينطق اللمامشة ومن كان في عدادهم من الإثنيات الأخرى، صوت الطّاء كما هو عند العرب صحيحاً، أي: طفُل = [tʰfol] وينطقه بدو أولاد يحيى هكذا: تَقَل = [tʰfal].¹

لكن نجد عند اللمامشة من ينطق صوت التّاء على غير صحّة نطقه، فيجعلون فيه زيادة قليلة جدّاً من الصّفير، بإضافة صوت السّين المخفّف المختلس، أي من التّاء [t] إلى [ts] وهذا نجده في: بئر مقدم، الشّريعة، قريقر، بئر العاتر، ثليجان، نقرين، وفركان، العقلة، المزرة، بجنّ، وسطح قنتيس، ويظهر هذا النّطق جلياً عند قبائل معيّنة وهي قبائل الجلامدة وأولاد حميدة، وكذلك أولاد مسعود وأولاد عبيد الشّريف قاطني البوادي.²

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 02، والتسجيلان الصوتيان رقم 01 و02.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 03.

كما نجد ظاهرة الوتم عند قبيلة من قبائل اللمامشة؛ وهي قبيلة التكاكة، والوتم هو أن «تكون التاء مبدلة عن السين في نطق بعض القبائل اليمينية فيما يعرف في اللهجات القديمة»¹ وهذا الاستعمال ليس شائعا، بل يقتصر على فئة اجتماعية محدّدة من قبيلة التكاكة، وهم البدو نصف الرّحل، الذين يظعنون بين سفوح تازينت ببلدية بئر مقدم، وبوموسى والمرموثية ببلديتي ثليجان وبئر العاتر، ولعلّ ما يشيع عندهم أيضا وعند إخوانهم أولاد بوقصّة، إبدال الكاف تاء²، فالكاف صوت شديد مهموس بينما التاء شديد مجهور، وهذا القلب ليس عامّا في استعمالاتهم لكنه يتّضح للباحث اللغوي مباشرة عند أوّل مقابلة بهم، وهو استعمال فردي اجتماعي أي نجده عند أفراد أحيانا ونجده عند عمائر أو بطون منهم أحيانا أخرى.

ثمّ نجد أنّ استعمال صوت القاف في جميع أنحاء ولاية تبسة لا يمكن التّعقيد له، فالقاف عندهم تتخذ مخرج الجيم المصرية و G الإنجليزية، فلا ينطقونها كما تنطق في العربية الفصحى، بل يجعلونها بين الكاف والغين، فالقاف صوت لهوي شديد مهموس ومنفتح، بينما يتمّ استعماله في ولاية تبسة بجعله صوتا طبقيًا رخوا مهموسا ومنفتحا، لكن يستثنى سگان الولاية بعض الكلمات فينطقون صوت القاف فيها صحيحا كما هو العربية الفصيحة، مثل كلمة: بقى = [baqa] وكل ما يأتي من هذا الفعل من صيغ: يبقى، يبقوا، نبقى، الباقي...

ويزيد أهل الشريعة فعلا آخر في محافظتهم على مخرج صوت القاف وهو فعل: لاقى = [laqa]، لاقيثو = [laqitu]، ودون ذلك من الكلمات فهو استعمال ذاتي، أي أنّ سگان

¹ عبد الله رمضان، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ط1، مكتبة بستان المعرفة، ليبيا، 2006، ص 114.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 04، والتسجيل الصوتي رقم 03.

ولاية تبسة من الشمال إلى الجنوب ينطقون صوت القاف حسب الهوى الفردي لكل شخص، فإن أراد نطقه كما هو في الفصحى وإلا نطقه كالجيم المصرية أي: [ف].¹

أما صوت الجيم عند جميع سكان ولاية تبسة، فيقلبونه زيا² إذا كان بالكلمة صوتا أسنانيا لثويا مثل: السنين، الصاد والزاي، وصوت الجيم أيضا، كالكلمات: زُوج = [zudʒ] تصبح: زُوز = [zuz]، وإنجاص = [indʒasʔ] تصبح: أنزأس = [anzas]، وتزوّج = [tzawadʒ] تكون: تزوّز = [tzawaz]، جنس = [dʒins] تصير: زئس = [zins] ...

ومع ذلك فصوت الجيم التبسية عند جميع سكان الولاية دون استثناء، تنطق جيما معطشة، كما ينطقها جميع سكان الشرق الجزائري خاصة الولايات الحدودية، وكما ينطقها شعب تونس وليبيا وسورية ولبنان، والتي تشبه في نطقها ز الفرنسية في كلمة jour.

أما صوت الجيم في العربية الفصحى وكما يكون مخرجه عند القراء في القراءات القرآنية، فإنه «صوت صامت غاري مزدوج (انفجاري-احتكاكي) مجهور.»³ بينما الجيم المعطشة فهي صوت غاري رخو ومهموس، منفتح ليس مركبا.

وأما بقیة الأصوات الصّامته في لهجات تبسة، فهي تنطق كما هي في العربية الفصحى، ومنها صوت الصاد الذي ينطق كما وصفه علماء القراءات، في الأرياف والبوادي الجنوبية النائية عند بعض الجلامدة وأولاد حميدة وأولاد عبيد الشريف، فهو صوت أسناني لثوي انفجاري مجهور مفخم، بيد أنّ بعض سكان الحواضر ينطقونه دون إطباق فيكون قريبا من صوت الظاء إلى حدّ كبير.

بالنسبة للأصوات الصّائتة فإنّ أبرز ما يميّز اللهجات في بلديات تبسة، هو اختلاس الحركات ويعني «تقليل كمية الحركة القصيرة عن القدر المعتاد، وهو القدر الذي يجري به

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 05.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 06.

³ عبد الله رمضان، ص 91.

لسان العرب عادة. وقد ذكر سيبويه أن العرب كانوا يختلسون الحركة اختلاسا.¹ ويقال اختلاس الحركات كلما اتجهنا جنوب الولاية نحو واد سوف، ويزداد في الحواضر الشمالية، وللاختلاس داع سمّاه اللغويون القدماء بالاستتقال، وهو «من العلل التي احتجّ بها العرب في تعليل أغلب ظواهرهم النطقية والتركيبية، بحيث يجعلون من النّقل مسوّغا لانحراف النّطق أو الانزياح عن قواعد الصّوغ العربي أو العدول عن قوانين التّركيب المعياري، فيلجؤون إلى ذلك الخرق لما هو سائد ومطلوب ويسمّونه بـ (الاستخفاف).»² ومن أهم ما يمسّ البنية فتتغيّر شكلا، هو اختلاس الصّوائت، الأصوات مادّة البنية المورفولوجية والتركيبية والمعجمية وكذا الدّلالية، وأيّ طارئ عليها فهو طارئ على بقية مستويات الأداء اللساني، بيد أن العرب حافظوا على الدّلالة رغم الاختلاس.

والاختلاس عند أهل تبسة قويّ جدّا، لا يمكن تبيّنه إلا إذا درسنا اللهجات البدوية، خاصة عند قبيلة أولاد عبّيد الشّريف في دائرة بئر العاتر بمنطقة المرموثية أو العرعور، ونجد عندهم اختلاسا خفيفا يكاد يتطابق مع الاختلاس في اللهجة الليبية، كما يقلّ الاختلاس بمنطقة الطّويلة عند قبيلة أولاد مسعود، ومثيلتها قبية أولاد حميدة في الغنجاية والدرمون، بينما نجد الاختلاس يكاد يختفي تماما عند قبيلة التكاكة في بئر مقدم والحمامات وعاصمة الولاية تبسة، خاصة في استخداماتهم اللغوية المنغلقة اجتماعيا أي بين بعضهم بعضا.

1_2_ وضعيّة أعضاء النّطق:

يظهر التّفخيم في لهجات تبسة بشكل واضح، في مناطق معينة جنوب الولاية، وعند قبائل معينة من حلف اللمامشة، وفي بطون عديدة من قبيلة أولاد عبّيد الشّريف، ونجد صورة

¹ أستيتيه سمير شريف، علم الأصوات النحوي _ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة_، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2012، ص 181.

² عباس مشتاق، المعجم المفصّل في فقه اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001، ص 39.

واحدة للتفخيم في تبسة كلّها، وهي التّغوير فهو «إحداث تقعر في اللسان مقابل الغار.»¹ وهذا في صوت الرّاء فقط بينما يرغب سگان تبسة كلّهم عن تفخيم صوت اللّام، لما لهم من رغبة في الإمالة حيث أنّ الإمالة تغالب التّفخيم عندهم، ونجد تفخيم الرّاء في كلمات عديدة مثل: فراق، ريت، رَوْح وغيرها، وعادة ما تُفخّم الرّاء إذا لم تُختلس حركتها وتلاها صوت مدّ، أو سبقتها الغين في حالتها المفخّمة ككلمة: غرّعة.

وهذا النوع من التّفخيم تزداد حدّته في بلديّات الجنوب: بئر مقدم، الشّريعة، ثليجان، نقرين، فركان، العقلة، المزرعة وغيرها، حيث يكون قوياّ جدّا إذا سبقت الرّاء خاءً أو غين، في البوادي النّائية التي يقطنها الأعراب من قبيلة أولاد عبيد الشّريف، وأعراب أولاد حميدة، والجلامدة، وكذلك أولاد بلحارث وشنينة من قبيلة أولاد مسعود.

بينما يختفي التّفخيم بكلّ صوره في بلديّات الشّمال عند قبيلة أولاد يحيى بن طالب، ويقابله التّرقيق فيما فخمه المستعملون اللغويون جنوب الولاية، فهم يرقّقون صوت الرّاء في جميع المواضع، إلّا من يقطن بتبسة وضواحيها منهم فلا ينحو هذا المنحى بل يتكلّم مثل ما تكلم اللمامشة.

أمّا تفخيم الحركات فيكون جليّا في مواضع لا يمكن حصرها، أو التّفخيم لها، لكن بصفة عامّة نجد تفخيم الضّمة ومدّها في تبسة البلديّة وصولا إلى ونزة والعيونات، مثل كلمة: فوّق، إذ يقبلون فتحة الفاء ضمة لخفتها وتناسبها مع الواو، فتصبح: فوّق، وتفخيم حركة الضّمة لتصبح: [fɔ]، ويتّسع هذا التّفخيم في بلدية ونزة.²

بينما من بلدية الحمامات حتّى نقرين وبئر العاتر وفركان جنوبا؛ فالنّطق يختلف، ويصير بين: [fu] و [fuw] بإضافة (واو) مختلصة عند أهل بئر مقدم، الشّريعة، بئر العاتر، نقرين، المزرعة، العقلة، سطح قنّيس، قريقر، بجّن، الماء الأبيض، وكذا في أم علي

¹ أستيتية سمير شريف، ص 187.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 07، والتسجيل الصوتي رقم 04.

عند قبيلة الفراشيش، ويشتدّ هذا الاستعمال عند الأعراب القاطنين بالققارات¹، وهو الأمر نفسه الذي نجده في نطقهم لكلمة: شُوف = [ʃuf] فمن تبسة إلى أقصى الشمال تنطق: شُوف = [ʃof] بتفخيم واضح للضمّة، ومن الحمامات إلى باقي بلديات الجنوب والشرق والغرب تنطق: شُوف = [ʃuwf].

1_3_ مقاييس أصوات اللين:

تتميّز لهجات تبسة بكل بلدياتها ومداشرها بالإمالة، وتسمى أيضا «الكسر والبطح والإضجاع»؛ لأنها اصطلاحاً: تميل الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء كما في الشّرح فكأنك بطحتها أي رميتها، وأضجعتها إليها.² ويرى ابن جني من قبل أن «ألف الإمالة تجدها بين الألف والياء نحو قوله في عالمٍ وخاتمٍ: عالمٍ، خاتمٍ.»³ وتنقسم الإمالة إلى كبرى، وهي التي «تنحني بالفتحة نحو الكسرة فتميل الكسرة انتحاءً خفيفاً، كأنه واسطة بين الفتحة والكسرة فتميل الألف من أجل ذلك نحو الياء، ولا تستعلي كما كانت تستعلي من قبل إمالتك الفتحة قبلها نحو الكسرة.»⁴ وأما الإمالة الصّغرى فهي «ما بين الفتحة والإمالة الكبرى وتسمّى التقليل وبين بين، أي بين لفظي الفتح والإمالة الكبرى.»⁵ أما اللغويون المحدثون، فإنّ إبراهيم أنيس يقول: «واللسان مع الفتح يكاد يكون مستويا في قاع الفم، فإذا أخذ في الصّعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذي يسمّى بالإمالة، وأقصى ما يصل إليه أوّل اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، هو ذلك المقياس الذي يسمّى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة، فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر، لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك

¹ ينظر التسجيل الصوتي رقم 05.

² الخضري محمد الشافعي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج1، ط1، دار الفكر، لبنان، 2003، ص 874.

³ ابن جني أبو الفتح عثمان، سر صناعة الاعراب، تح: حسن هنداي، ج1، ط2، دار القلم، سورية، 1993، ص 54.

⁴ الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي، الاقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيدي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999، ص 127.

⁵ القاضي عبد الفتاح عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، طه، مكتبة السوادي، السعودية، 1999، ص 140.

كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة.¹ فالإمالة عندهم «عدول بالألف عن استوائه وجنوحُ به إلى الياء، فيصير مخرجه بين الألف المفخمة وبين مخرج الياء.»² فهي ظاهرة صوتية، تقع على الأصوات الصائتة دون الصامتة منها، فيماثل الكسر الفتح للتخفيف وتسهيل النطق، وللحاجة البيئية التي تؤثر في الخصائص اللسانية لكل استعمال، وقد اشتهر بها العرب منذ قديم الزمان، فكانت قبائل نجد أشهر من يستخدم الإمالة، وقد عدّها بعض اللغويين القدماء انزياح عن الصحيح من النطق، لكن القرآن الكريم وثّقها وأقرّها في قراءات عديدة نجدها في رواية ورش وحمزة وقالون وحتى في مواضع في رواية حفص، فهي إذن من فنون الفصاحة العربية وليست عيباً صوتياً أو نطقياً.

ونجد في مختلف بلديات ولاية تبسة أنّ استعمال الإمالة ظاهر جداً، فكلّ سكّان تبسة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها، بمختلف إثنيّاتهم وطبقاتهم الاجتماعية وثقافتهم، يُميلون ألف المدّ في كل مدّ دون قاعدة تحكم ذلك، فتكون إمالة ألف المدّ خفيفة، وكذلك إمالة الألف المقصورة، كقولهم: نسي ومشى، بإمالة معتدلة.

بينما نجد أنّ الإمالة تشتدّ عند البدو بشكل واضح جداً، سواء في اللهجة اليعاوية أو اللموشية، بيد أنّ أعراب قبيلة أولاد مسعود في الطويلة وقريقر وبعض أعمال الشريعة، يتفنّنون في الإمالة، فيستخدمونها في كلّ ألف مدّ، وكلّ ألف مقصورة، وفي هاء التأنيث، ونجد الأمر نفسه عند أولاد حميدة، وأولاد عبيد الشريف.

كذلك نجد إمالة مختلفة تظهر في الأداء اللغوي لدى أهل تبسة، وهي إمالة الياء نحو الألف، فمثلاً نجد كلمة: لَيْلَة، قد قُلبت فتحة اللام الأولى إلى كسرة لتتاسبها مع الياء، لكن تنطق: لَيْلَة = [ɛla] بألف مائلة بدل الياء، وتشتدّ هذه الإمالة حتى تقارب الفتح المرقّق كلما

¹ أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ط8، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1996، ص 64-65.

² إبراهيم رجب عبد الجواد، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، مصر، 2003، ص 35.

اتجهنا نحو ونزة وشمال الولاية، وتخفّ كلما اتجهنا جنوبا في بلاد اللمامشة حتى تصيرا كسرا واضحا.¹

ومثل هذا الاستعمال نجده في كلمات عديدة مثل: عَلِيَّهَا = عَلَاهَا، فِيهَا = فَاهَا، وغيرها من الألفاظ، وقد اشتهرت به قبيلة بلحارث بن كعب منذ الجاهلية، وقد ذكره ابن جني في مسألة قلب الياء ألفا إذا جاء في الخصائص: «فلما كان الأكثر هذا شاع على أسماع بلحارث، فراعوه، وصنعوا لغتهم فيه.»² وإنما ذُكر هذا الضرب من الاستعمالات اللغوية، إلا لأنّ فيه إمالة، فكانت هذه الخاصية الصّرفية تحمل خاصية صوتية أيضا تتمثل في الإمالة فوجب ذكرها.

والإمالة بصفة عامّة في ولاية تبسة هي بالقدر الذي تكون عليه الإمالة في القراءة القرآنية برواية ورش عن نافع، ولا تشتدّ فتزيد عن ذلك إلا في مناطق نائية يقطنها بعض عمائر قبيلة أولاد عبيد الشّريف، جنوب الولاية بأعمال بئر العاتر، وكذا نجدها عند عمائر بلحارث وأولاد مسعود بقريقر والطويلة، كما يستخدم الجلامدة في مداشرهم الإمالة الشديدة، خاصّة أولاد بوقصّة وأولاد موسى، وكذلك عند بعض البطون في قبيلة أولاد حميدة في الشريعة وثليجان، أمّا شمالا فنجدها شديدة في بوادي المغارسية والعبادنة، والطوابية والسّحايرية في حلف أولاد يحيى بن طالب، كما نجدها في أقصى الحدود التونسية عند الزّغالمة بالحويجيات والفراشيش في صفاصاف الوسرة وأم علي، وهذه الإمالة الكبرى تطابق بقدرها ما هي في القراءات القرآنية برواية حمزة بن حبيب الزّيّات.

ثمّ إنّ بعض مظاهر الإمالة في لهجات تبسة تحمل تصاحبا نطقيا، وهو «الذي يُعرف بأنّه تداخل العمليّات النّطقية في أثناء انجاز سلسلة أصوات في الخطاب

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 08، والتسجيلان الصوتيان رقم 06 و07.

² ابن جني أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداي، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001، ص 402.

المسترسل.¹ وهذا شائع جدًا في لهجات الولاية، فنجد على سبيل المثال كلمة: (لين)، وأصلها: (إلى أن)، ولما تداخلتا صارت (الان)، لكن أصل ألف المدّ ألفا مقصورة، والألف المقصورة عند العرب تميل إلى الياء، فصارت: (لين) بعد حذف الألف الأولى وقلب فتحة اللام كسرة لتمائل الياء، وتتطق الياء مائلة نحو الألف عند أولاد يحيى كلهم شمال الولاية، ويشاركونهم في هذا النطق جنوبا قبيلة أولاد مسعود المقيمين بقريقر والطويلة والشريعة وتبسة، وكذلك قبيلة أولاد عبيد الشريف في العوينات وبوادي بئر العاتر والمرموثية، وينطقونها هكذا: لين = [læɛn].

ونجد الأمر نفسه في الكلمات: غَلاش، لَاش، كِيفاش، وقتاش، وأصلها: على أيّ شيء، لأيّ شيء، كيف الشيء، وقت أي شيء، ولاختصارها كان التصاحب النطقي هو الحلّ، ثم نُقلب ياء (أيّ) ألفا، فتكون الإمالة واجبة لأنّ الألف هذه أصلها ياء.²

كما تميل الألف اللينة لتصبح ياءً، فتقلب حركة ما قبلها من الفتح كسرا، وذلك ما نجده في قولهم: لاني = [lani] وأصلها: لا أنا، فمدّ فتحة النون صار إلى إمالة كبرى، فقلبت النون كسرة لتمائل الإمالة التي قبلها والتي وقعت في ألف مدّ اللام، فصارت: أني = [ani].³

1_4_ التباين في النغمة الموسيقية:

نجد التّبر في لهجات ولاية تبسة بشكل واضح عند البدو في المداشر، خاصة في أعمال بئر مقدم والشريعة والعقلة والمزرعة، وكذا نفرين وبئر العاتر وثليجان، ونجده أيضا في مدينة تبسة بأحيائها القديمة، وينتشر بين الشباب فقط في المستوى الكلامي المعروف بمصطلح Slang، الذي يشير إلى «المستوى الكلامي غير الرفيع الذي تستعمله الطبقات

¹ نهر هادي، علم الأصوات النطقي _دراسة وصفية تطبيقية_، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 151.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 09.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 10، والتسجيل الصوتي رقم 08.

التي يقلّ مستوى تعليمها وقد تكون واسعة الانتشار، أو حتى على مستوى الوطن كلّها.¹ وهو ما يسمّيه العامّة بلكنة القومان.

كما يستخدم أهل أم علي وصفصاف الوسرة النّبر في الكلام، بشكل أقلّ منه عند أهل جنوب الولاية، والنّبر هو «مقدار ضغط الهواء على مقطع من المقاطع؛ فهو بذلك مفهوم فيزيائي كمّي». ² وهو كذلك «الكلمات التي نطق بها من أصوات متتابعة متفاوتة قوتها وضعفها بحسب موقع الصّوت، وكون الصّوت من أصوات الكلمة أقوى من بقيّة الأصوات». ³ وهذا الاستعمال اللغوي يظهر في صورة التّفخيم أيضا، في بئر مقدم وبئر العائر والشّريعة، بينما يظهر في صورة الإمالة الكبرى، بزيادة في كمّ تلك الإمالة من الهواء في ونزة وعين الزّرقاء والمريج.⁴

فكلمة: رجّالة، في بئر مقدم والشّريعة والعقلة، تُفخّم فيها الجيم بنبرها فتكون: رجّالة = [radʒ↑nlla]⁵، بينما نجدها شمالا في ونزة والمريج وغيرها من مناطق انتشار أولاد يحيى ومن معهم من قبائل أولاد عبيد الشّريف والحناشنة وبعض أولاد خيار، ينطقونها بترقيق الجيم وإمالة مدّها هكذا: رجّالة = [radʒ↑œlla]، وتشتدّ الإمالة ونبرها كلما زادت البداوة وابتعدا عن الحواضر.

أمّا بالنسبة لمدينة تبسة فالنّبر له غرض الاستظهار، أي التّباهي وادّعاء التّمذّن والتّحصّر، ويستعمل رفقة التّنغيم بقوة لدى الشّباب، بينما يأنف من هذا الاستعمال اللغوي العقلاء والشّيوخ، ويسمّيه سگان تبسة بمصطلح القومان كما أشرنا آنفا (Gouméne)، نسبة إلى القومية أي من غيرّ لسانه لاختلاطه بالفرنسيين، في إشارة واضحة إلى الحركى في

¹ باي ماريو، ص 138.

² أستيتية سمير شريف، ص 36.

³ عبد الله رمضان، ص 40.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 11.

⁵ ينظر التجيل الصوتي رقم 09.

عصر الاحتلال الفرنسي، فوجد مثلا كلمة: مليح = [mlih] فينطقها هؤلاء الشباب هكذا: [mlœ↑h]، وهذه الظاهرة منتشرة بقوة أيضا في ونزة¹، وسبب ذلك هو تأثر الشباب بلهجة عنابة، ومحاولة تقليدها تشبها منهم بأهل عنابة باعتبارها بؤرة التأثير اللغوي.

واستخدام النبر معروف عند العرب منذ الجاهلية، وقد عبرت عنه اللغة العربية «بمسميات مختلفة، الهمز، العلو، الرفع، مثل الحركات، الارتكاز، الإشباع، المد، التوتر، التضعيف، وكلها تُقضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي.»² وقد ذكرت بعض المعاجم أنّ العرب «سوى أهل الحجاز يحققون الهمز وينبرون، أما أهل الحجاز فيلينون ويسهلون.»³ فأما الهمز فجميع سكان تبسة في مختلف دوائرها وبلدياتها لا يهمزون أبدا، فلا ينطقون الهمزة كقولهم: (مومنين) بدلا من (مؤمنين)، إلا في قبيلة التكاكة فهم يزيدون الهمز تقننا من عندهم فقط.

وأما مثل الحركات فهو من مميزات وخصائص اللهجات التبسية، لكن باستعمال يختلف من الشمال إلى الجنوب، وقد ذكر ابن جنّي أنّ «الحركات عند التذّكر يمطن، وذلك كقولهم عند التذّكر مع الفتحة في فُمْتُ فُمْتًا ومع الكسرة: أنتي، أي: أنتِ ومع الضمة فُمْتُو في فُمْتُ.»⁴ وهذا الاستخدام اللغوي عند حلف أولاد يحيى بالونزة والمريج وعين الزرقاء، وكذلك برووس العيون ومرسط والعوينات، ويكون بزيادة كمية النبر، وتزداد كلما اتجهنا نحو تونس عند الزغالمة والفراشيش شرق الولاية في الحويجبات وأم علي، ونجدها في عاصمة الولاية وحاضرة الكويف أيضا، بينما تتناقص كلما ذهبنا جنوبا بين قبائل اللمامشة وأولاد عبيد الشّريف ومن كان ضمنهم من الإثنيات الأخرى.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 12.

² عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص 241.

³ جمران محمد أديب عبد الواحد، معجم الفصح في اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2000، ص 17.

⁴ عبد الجليل عبد القادر، ص 241.

ومطل الحركات بصفة عامّة يستعمله كلّ سگان ولاية تبسة، خاصّة في الكلمات: به، له، خُدْ، قُمْ وما شابهها، فتصير: بيه = [bi|h]، لو = [lu]، خُود = [χu|ð]، قُوم = [qu|m].¹ وهذا استعمال شائع جدّا، إلّا في الضمائر الغائبة المتّصلة فينطقها سگان أقصى الجنوب بفركان ونقرين ممن يظعنون أو يقيمون في الحدود الولايتية مع ولاية الوادي؛ هكذا: له = [la] تماما كأهل سوف وليبيا.

كذلك فإنّ أهمّ ما يميّز لهجات تبسة خاصية التّغيم، وهو «ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام وربّما كان له وظيفة كونيّة هي تحديد الإثبات والنّفي في جملة لم تستغل فيها أداة الاستفهام.»² وهذا الاستعمال الصّوتي يُوظّف كثيرا في الاستفهام والتّعجب والتّعبير عن الرّضا والسّخط أيضا، كما نجده أيضا يلزم النّطق التبسي عامّة، ويختلف التّغيم استعمالا وموسيقى من منطقة إلى أخرى، فهو أيضا «الكيفيّة التي يُودّي بها المعنى.»³ ونجد أكثر من طريقة لاستعمال التّغيم؛ فعند حلف أولاد يحيى ومن كان ضمنهم من القبائل شمال الولاية، خاصّة عند البدو في مداشر عين الزرقاء، الكويف، ونزة، المريج، بوخضرة، بولحاف الدّير، العوينات، بئر الذهب، وكلّ أعمالها نلاحظ أنّ التّغيم يقع في أوسط مقطع من كلّ كلمة وفي آخر المقطع الأخير من كلّ كلمة، بموسيقى واضحة يظنّها السامع للوهلة الأولى ذات دلالات استهزائيّة، لكنّ هذا التّغيم من أبرز الخصائص الصّوتية للهجة اليحياوية، خاصّة إذا احتوت الألفاظ على الإمالة، بينما تخفّ شدة التّغيم في حواضرهم.

أمّا بالنسبة للهجة اللمامشة، فالتّغيم ظاهرة شائعة عند البدو منهم، ليس لها غرض محدّد بل صارت سمة فطريّة في خصائص لهجتهم، فنجدهم يرفعون ويخفضون متى شأؤوا باستعمال ذاتي ليس بجماعي يمكن التّعميم له، خاصّة في الشريعة، قريقر، بئر مقدم، بجنّ، المزرعة، فركان، العقلة، الماء الأبيض، الرّق، صفصاف الوسرة، وبئر العاتر، وقد يكون

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 13.

² عبد الله رمضان، ص 42.

³ أستيتية سمير شريف، ص 37.

سبب هذا التذبذب والذاتية في استعمال التنغيم، هو وجود كثير من قبائل البربر المحافظة على لسانها الأعجمي، وتعربها بنسبة لا تكفي.

1_5_ دراسة قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة:

تتفاعل الأصوات المتجاورة في لهجات تبسة بشكل واضح، فنجد هذا التفاعل بكلّ بلديات الولاية وعند جميع الفئات العمرية والاجتماعية، فنجد التماثل الصوتي وهو «تأثير خواص صوتية عند النطق في الأخرى، ولذلك تصبح الأصوات أكثر تشابها أو تماثلا»¹ ويسمى أيضا المماثلة وهي «تغير ملمح أو أكثر في صوت معين ليمائل صوتا مجاورا، يأتي قبله أو بعده، وقد تكون مجاورته له مباشرة بحيث لا يكون بينهما فاصل، أو غير مباشرة بحيث يكون بينهما فاصل»² فنجد من حيث مرتبة الصوت المؤثر في البنية اللغوية، التماثل التقدّمي وهو أن «يتغير الصوت اللاحق في الكلمة ليمائل الصوت السابق»³ فنجد مثلا كلمة (صدّر) التي ينطقها سكان الحواضر الشمالية من الولاية، إضافة إلى سكان بلدية تبسة، الحمامات وبكارية، صفصاف الوسرة، الحويجبات شرقا والشريعة ونقرين، بهذا الشكل: سَدَر = [sdər] باختلاس في فتحة السين، وهذا تماثل تقدّمي في الأصوات الصائتة دون الصامتة، فسكون الدال قلبت فتحة لتماثل انقلاب الصاد إلى سين، ذلك أنّ الصاد صوت أسناني لثوي، رخو مهموس ومطبق، بينما السين صوت يشابه الصاد في كلّ خصائصه، إلا الإطباق فإنّ السين منفتح، فكانت الفتحة على الدال أنسب لانفتاح السين.

لكنّ الأعراب في البوادي بأغلب البلديات الجنوبية المتبقية، تنطق الكلمة هكذا: زَدَر = [zədr]، ولأنّ الزاي رخو ومجهور منفتح، كانت السكون أنسب للجهر⁴، وهذا التماثل في

¹ نهر هادي، ص 145.

² أستيتية سمير شريف، ص 201.

³ المرجع السابق، ص 155.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 14، والتسجيلان الصوتيان رقم 10 و 11.

هذه الحالة هو تماثل رجعي بالنسبة إلى الأصوات الصامتة، فقلب الصاد سينا أو زيا هو «تغيّر الصوت السابق في الكلمة ليمائل الصوت اللاحق»¹ ونجده أيضا في كلمة (صَدَم) التي تُنطق (زِدَم) باختلاس كسرة الزاي اختلاسا كبيرا، وهذه الكلمة تستعمل بهذه الصيغة الصوتية نفسها في كامل تراب الولاية.

أما من حيث درجة التأثير؛ فنجد التماثل الكلي وهو «تغيّر صوت ليمائل صوتا آخر بشكل تام»² وهذا ينتشر استعماله بشكل جليّ جدّا في ولاية تبسة، في الكلمات التي يلتقي فيها صوت الجيم وصوت الزاي، فالجيم المعطشة هي صوت غاري رخو ومهموس منفتح ليس بمركّب، والزاي صوت أسناني لثوي، رخو ومجهور منفتح، فيقلب أهل تبسة الجيم زيا في كل كلمة جمعت الصوتين مثل: زُوج = زُوز، الجازية = الزازية، زُجاج = قِزاز = [zaz] وفيها قلب الزاي (ف) أي جيما مصرية، لتسهيل النطق، وهذا عامّ عند جميع سكّان ولاية تبسة، فهم يتجنّبون التقاء أصوات الصّفير الأسنانية السين والصاد والزاي وحتىّ الشين، مع صوت الجيم فمباشرة يقلبون الجيم زيا لتسهيل النطق.

ومن حيث المجاورة نجد في حالة الاتصال؛ تماثل التّجاور حيث «يتغير صوت ليمائل صوتا آخر يجاوره تماما»³ مثل جملة: مِنْ بَعْدَ = مِمْبَعْدَ، وهذا في ونزة، المريج، مرسط، بوخضرة، الكويف، العوينات، بينما ينطقها البقية: مِبَعْدَ، بحذف النون وتشديد العين، أي أنّ العين أخذت مكان صوت النون بعد حذفها، ليكون هذا تماثلا في حالة الانفصال، ونجده في جملة: (علاه)، وأصلها: (علاش) وأصلها الفصيح: على أي شيء.

¹ نهر هادي، ص 155.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 156.

فكلمة: (علاه) في تبسة، بولحاف، الكويف، المريج، بكارية، مرسط والعوينات، ويزيد الشّباب في ونزة لتكون: (عَلاماه) وأصلها: عَلامَ الفصيحة، أمّا (علاش) فنجدها أكثر في بقية البلديات، كما يستعملها أيضا سكان شمال الولاية من حين لآخر.

ولأنّ الخصائص الصوتية بصفة عامّة في لهجات تبسة، هي ذات استعمال فردي ذاتي وانتقائي، فيصعب التّحديد لها، لأنّ تصنيفها أيضا هو عمل يستحيل في ظلّ التّذبذب الشّديد في الاستعمال اللغوي، الذي توتّر فيه بؤر تأثير لغوي كثيرة مثل عنابة والجزائر العاصمة من جهة، وقفصة التّونسية وواد سوف من جهة أخرى.

كذلك نجد تماثلا في حالة الانفصال، لوجود «حاجز أو حاجزين بين الصوتين (المؤثّر والمتأثّر)، قد يكون صوتا صائتا أو صامتا»¹ وهذا التّماثل نجده في الصّيغ التي تتصل ب: له، لهم وغيرها، فيقولون: مِشيتلُو = [meʃitellu] وأصلها: (مِشيت له)، بزيادة نون التّوكيد، أو في الصّيغ الحاملة للتّوين مثل: مِشْتاق له، فتتطق: مِشْتاقْلُه، فالتّوين ونون التّوكيد يجعلان شدة في حركة الصّوت الذي يلي الكلمة أي: له، خاصّة وأنّ التّوين عبارة عن صوتين صامت وصائت (حركة وحرف النون)، ولا نجد هذا النّطق إلّا في قبيلة الجلامدة ببئر مقدم، ثليجان، المزرعة، العقلة، نقرين، بئر العاتر، الحمامات، وكذا في تبسة، وقد أخذها منهم أولاد مسعود وأولاد حميدة، كما تشاركهم بعض عمائر أولاد عبيد الشّريف هذا الاستعمال، لارتباطهم التّاريخي والجغرافي والاجتماعي بالجلامدة.²

ومن أبرز مشاهد التّماثل لهذا النّوع، ما نجده عامّة عند أهل المغرب العربي، وغرب مصر في مرسى مطروح والبحيرة والإسكندرية، باتخاذهم صفة جمع المتكلم للمفرد المتكلم في الأفعال المضارعة، فيقولون مثلا: نُوكِل، نُروح، نُقعد، نِمشي، وغيرها، وأصلها: أنا آكل، أنا أروح، أنا أقعد، فنون (أنا) تغيّرت حركتها من الفتح الممدود إلى الصّمة الخفيفة المختلصة

¹ المرجع السابق، ص 156.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 15، والتسجيل الصوتي رقم 12.

تارة، وإلى الكسرة المختلطة تارة أخرى، لوجودها بين ألفين، ولأنّ أهل هذه المناطق لا يهمزون فلا ينطقون الهمزة، ولا يطبقون استعمالها ثقلاً، فقد كانت هذه النون لمماثلة حركة الوقف أي السكون، لاجتماع همزتين منفصلتين.

وهذا الأمر قد حدده قانون موريس جرامونت (Maurice Grammont 1866-1946) إذ قال: «حينما يؤثر صوت في آخر فإنّ الأضعف (بموقعه في المقطع، أو بامتداده النطقي...) هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر».¹ وهذا يتضح في استعمال النون بدلا من ألف المضارعة للمفرد المتكلم.

أما بالنسبة للمخالفة الصوتية وهي «تحوّل صوت إلى صوت آخر، أو فقدانه لبعض سماته النطقية لمخالفة صوت مماثل له في النطق، مجاور له في الموقع».² فتظهر جلية في الأداء اللغوي العام بكلّ تراب الولاية، في كلمة: (أنهض) التي تُنطق: أنوض = [ennuʒʔ]، فقد حدث بها تماثل كلي ومخالفة متباعدة، وهي «التي تقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر، غير مناظر».³ فالتماثل الكلي يقع لأنّ لسان العرب عادة، يضمّ ألف فعل الأمر في بعض الأفعال مثل: أقعد، أنظر وما شابهها، فكان سكان المغرب العربي يضمّون ألف الأمر في الفعل (نهض)، أي: أنهض، فقلبوا الهاء واوا ليمائل الصامت (الواو) الصائت (الضمّة)، وهذه مقابلة فطرية في لغة العرب، فالضمّة يقابلها الواو، والكسرة تقابلها الياء، والفتحة يقابلها الألف، وبذلك كان المدّ في أصوات العربية.

أما المخالفة المتباعدة، فلوجود النون المضمومة دلالة على أنّ النون الساكنة في أصل الفعل، كانت حاجزا بين الألف والهاء، وقد تعيّر الوقف إلى صائت ضمّ لتقع المخالفة قبل المماثلة.

¹ عمر أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، 1997، ص 372.

² أستيتية سمير شريف، ص 210.

³ عبد الجليل عبد القادر، ص 149.

وعادة ما تصاحب المخالفة تماثلا صوتيًا، مثلما نجده في كلمة: وين، التي أصلها: وأين؟ والتي ينطقها أهل الكويف وأكثر ونزة: (واين)، فقد تركوها كما هي مع عدم همزها، بينما باقي المناطق قلبوا فتحة الواو كسرة ليماثلوا الياء التي تقابلها الكسرة عند العرب، بينما حذفوا الألف لمخالفته التّغيير، فقد كان مماثلا للفتحة الخاصّة بالواو، والتي تركها أهل الكويف كما هي¹.

وأما الزيادة الكميّة للصّوت في التّركيب، فلا نجد اختلافًا في استعمالها بين سگان ولاية تبسة، مثل كلمة: معاك، التي يزيدون في كميّة صوت الفتحة فينطقونها: معاك، والأمر نفسه في تقليل كميّة الصّوت في التّركيب، فلا يختلف أهل الولاية جميعًا في هذا الاستعمال الصّوتي، مثل حرف الجرّ (في)، الذي يقللون الجهد في نطق كسرتة فيقولون: (فـ) دون مدّ، إلّا إذا اتصل بضمير مثل: فيه، فيك، فيهم وغيرها.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 16، والتسجيل الصوتي رقم 13.

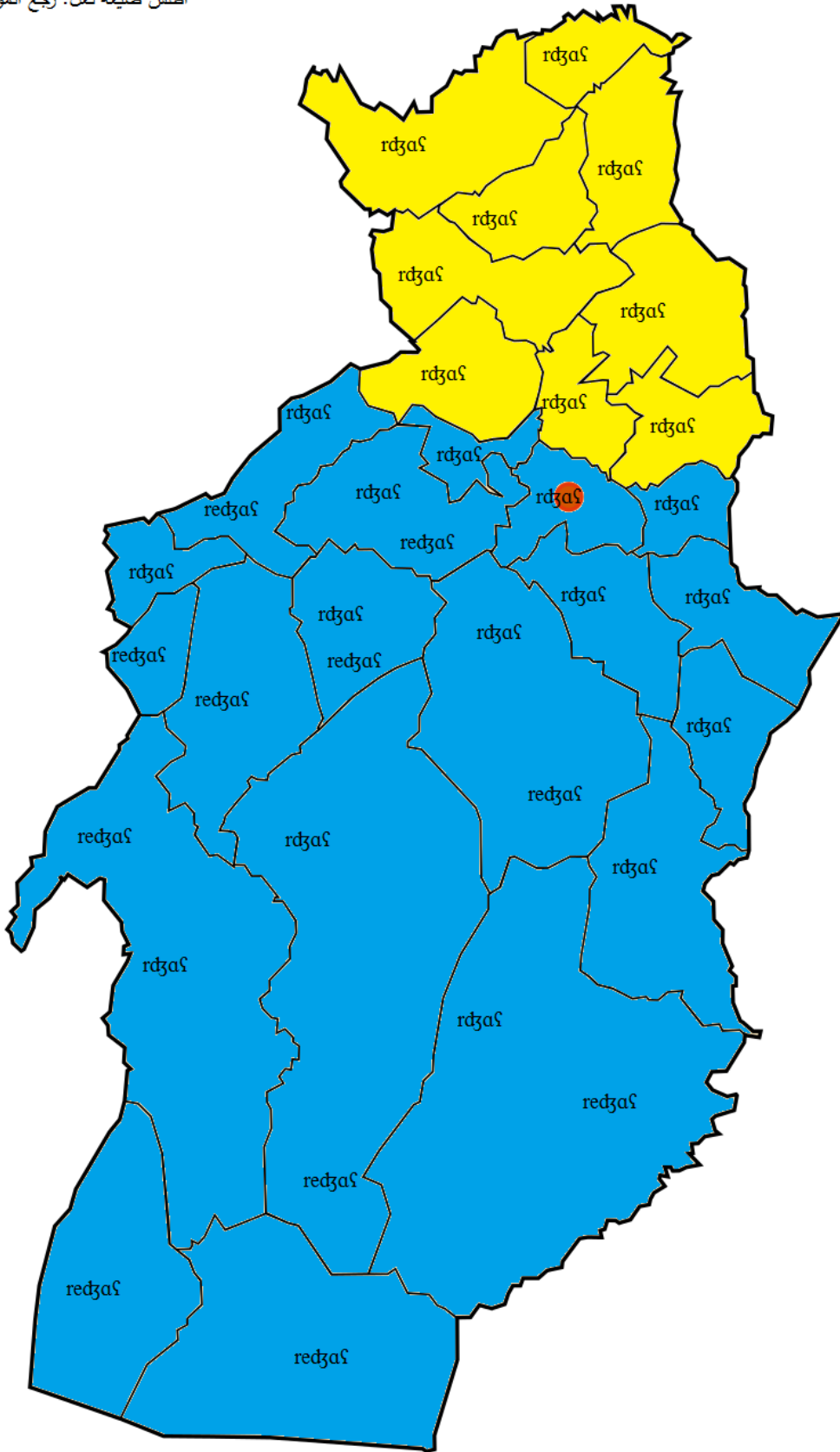
2_ المستوى

الصَّرْفِي

الأطالس

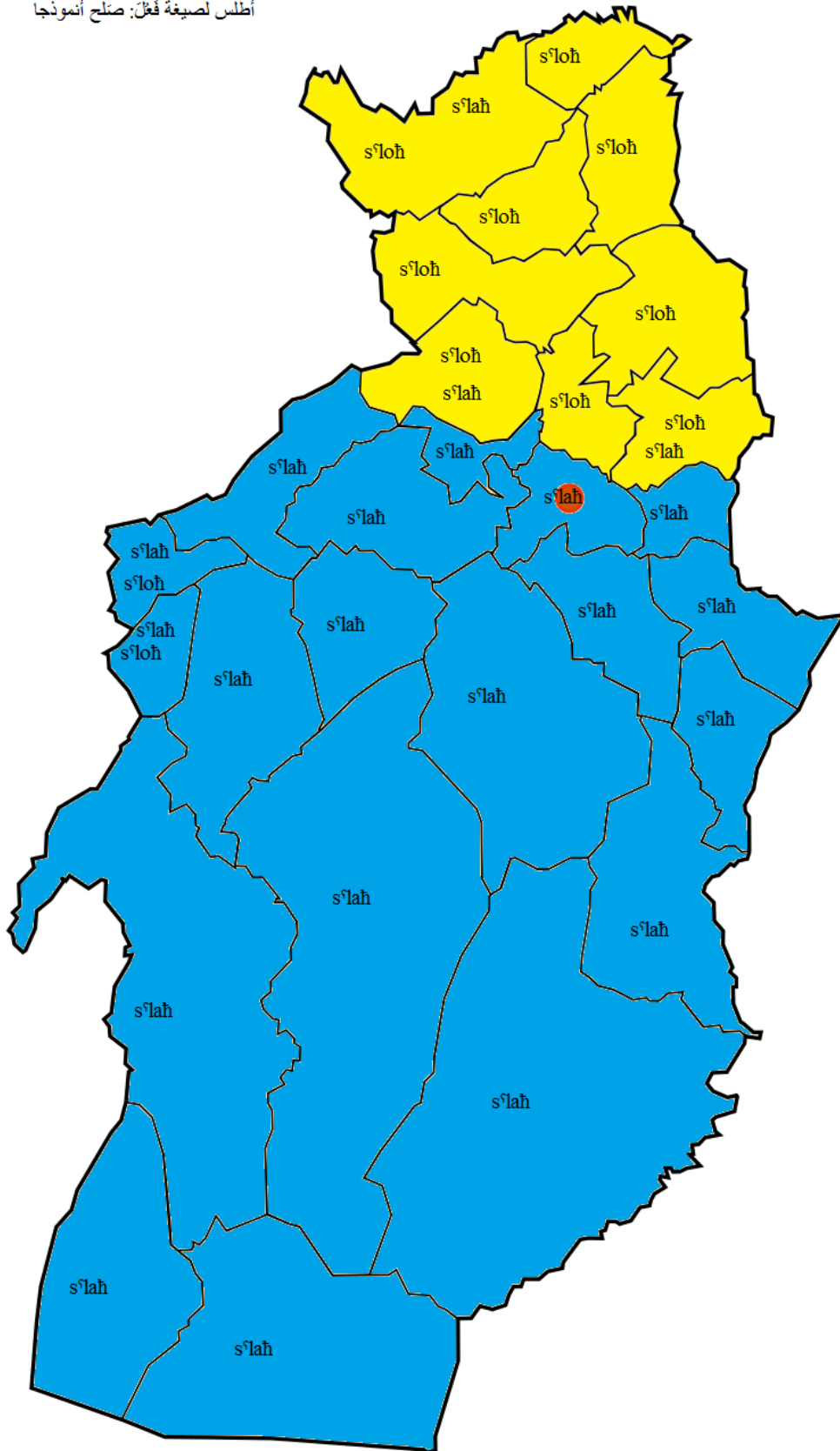
اللغويّة

أطلس صيغة فعل: زحغ أنموذجا



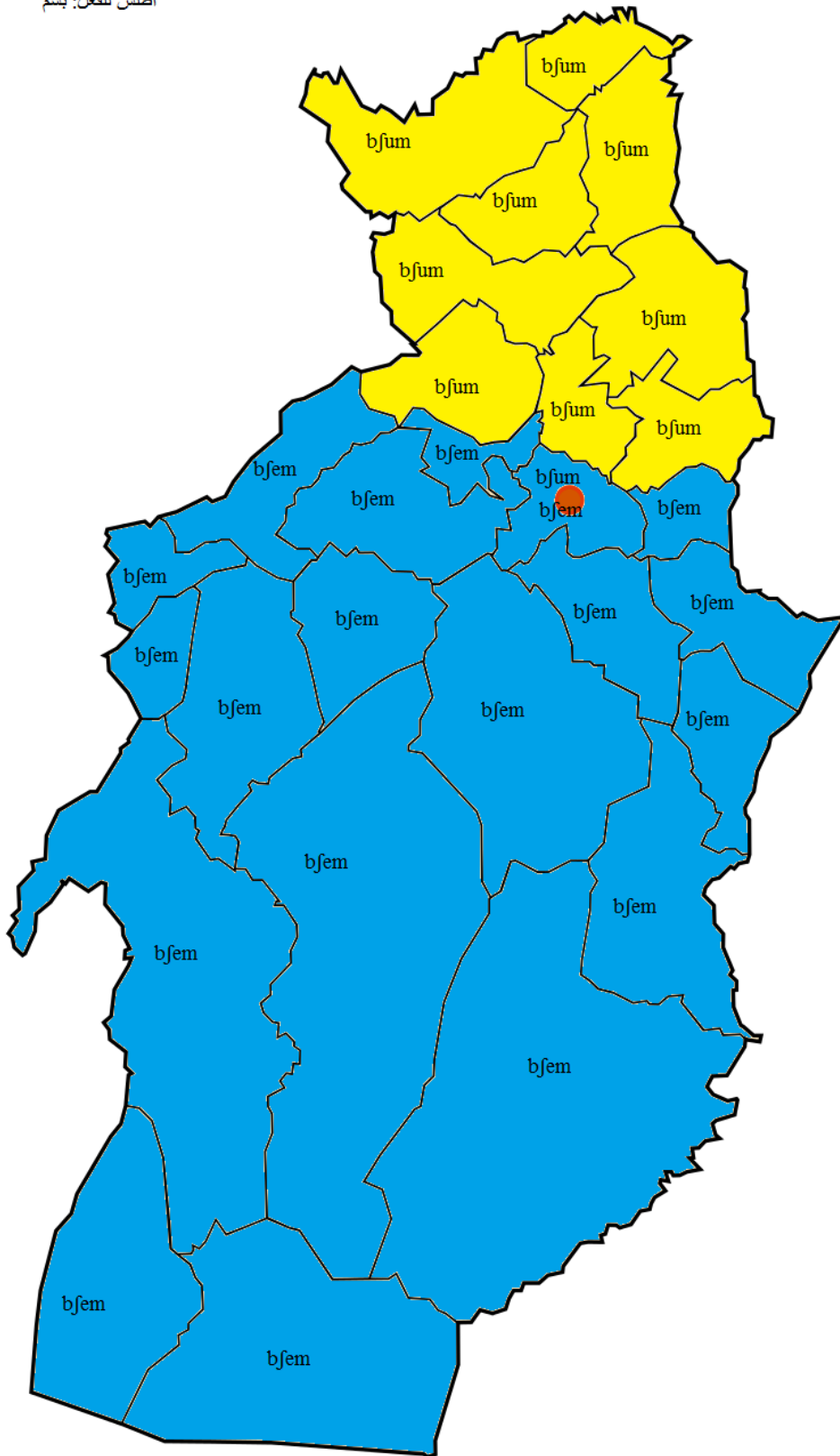
أطلس لغوي رقم 17

أطلس لصيغة فعل: صلح أنموذجا



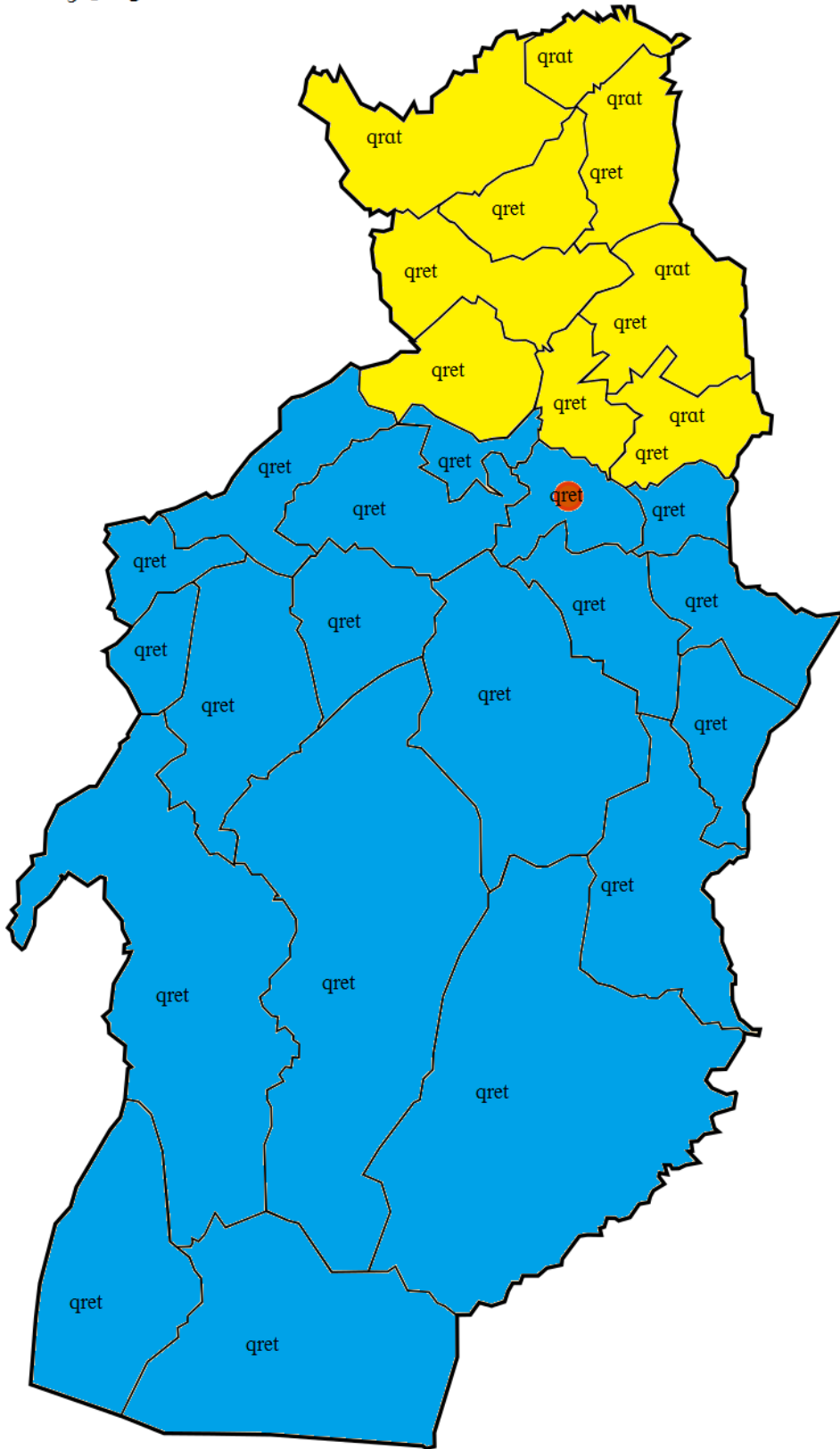
أطلس لغوي رقم 18

أطلس للفعل: بَشَم



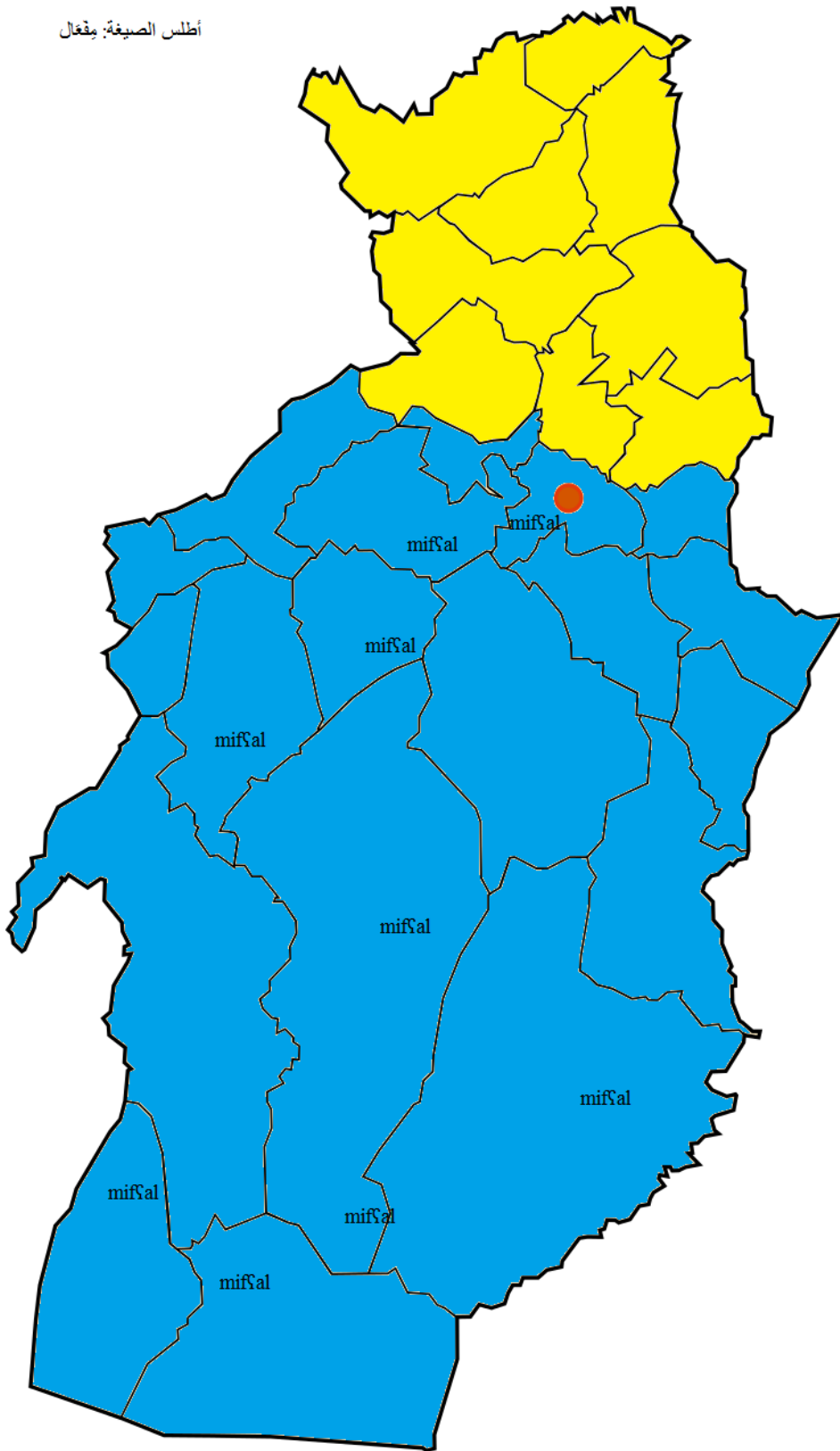
أطلس لغوي رقم 19

أطلس الفعل قرأت



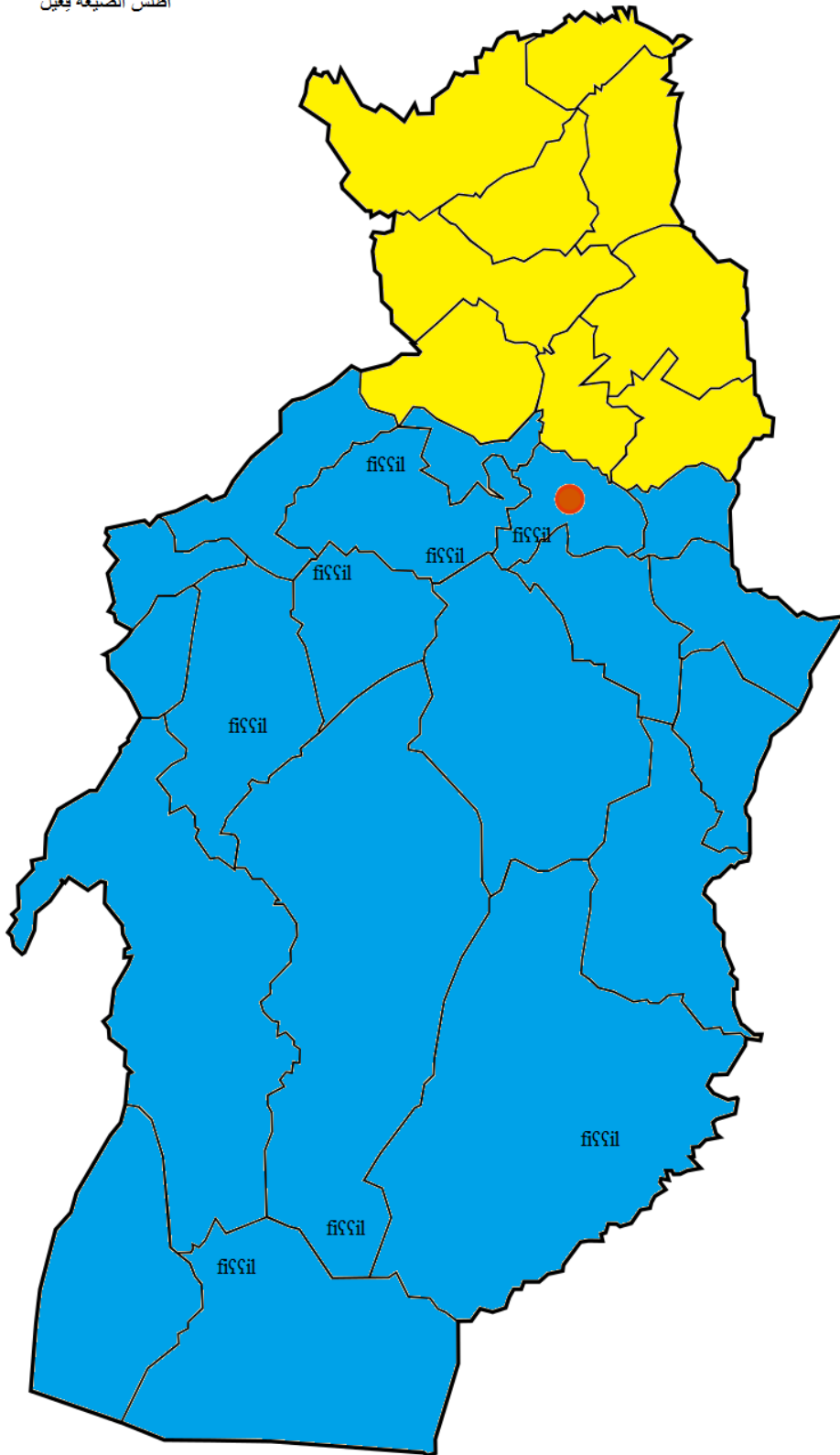
أطلس لغوي رقم 20

أطلس الصيغة: مفعال



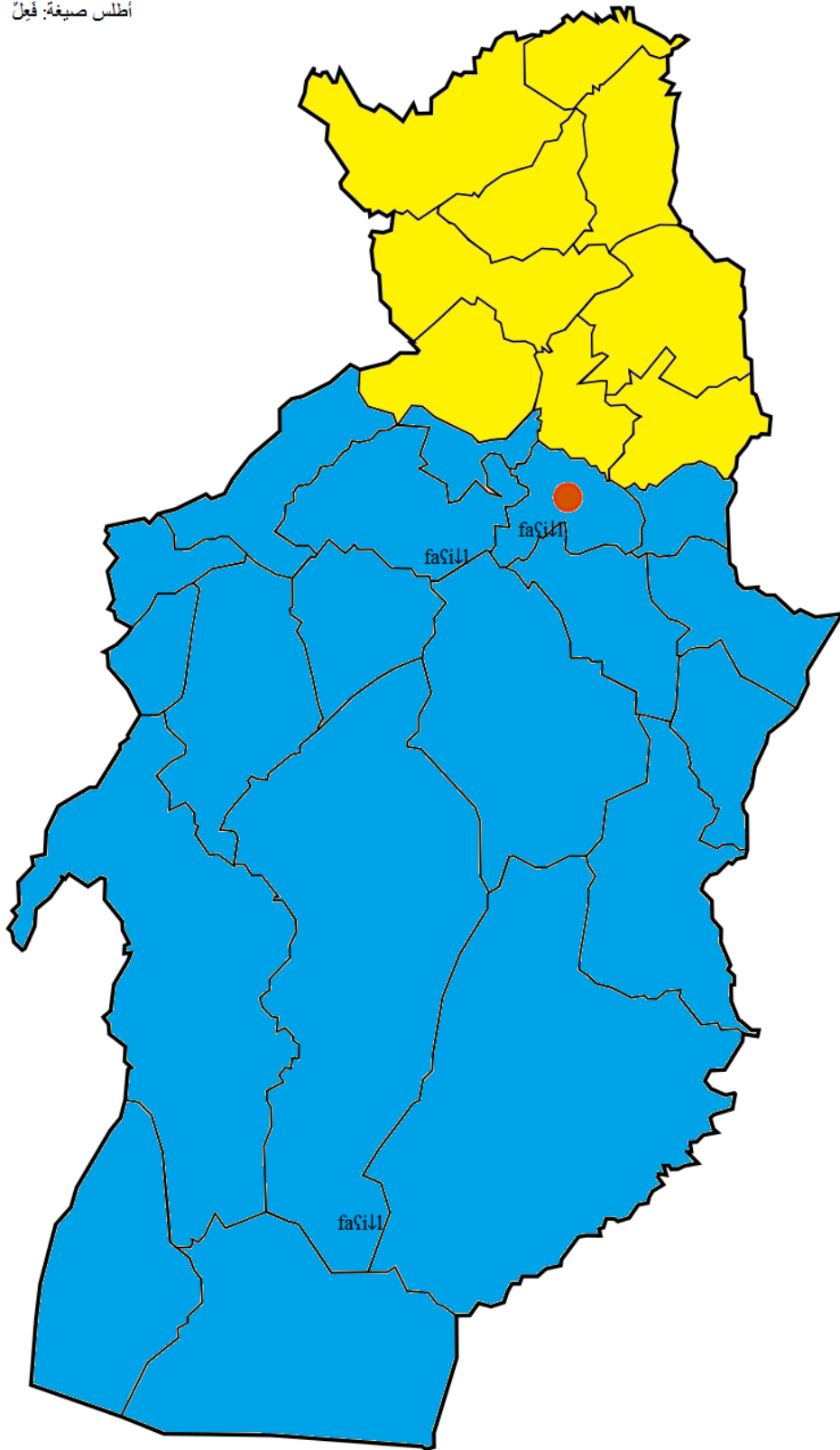
أطلس لغوي رقم 21

أطلس الصبغة فغعل



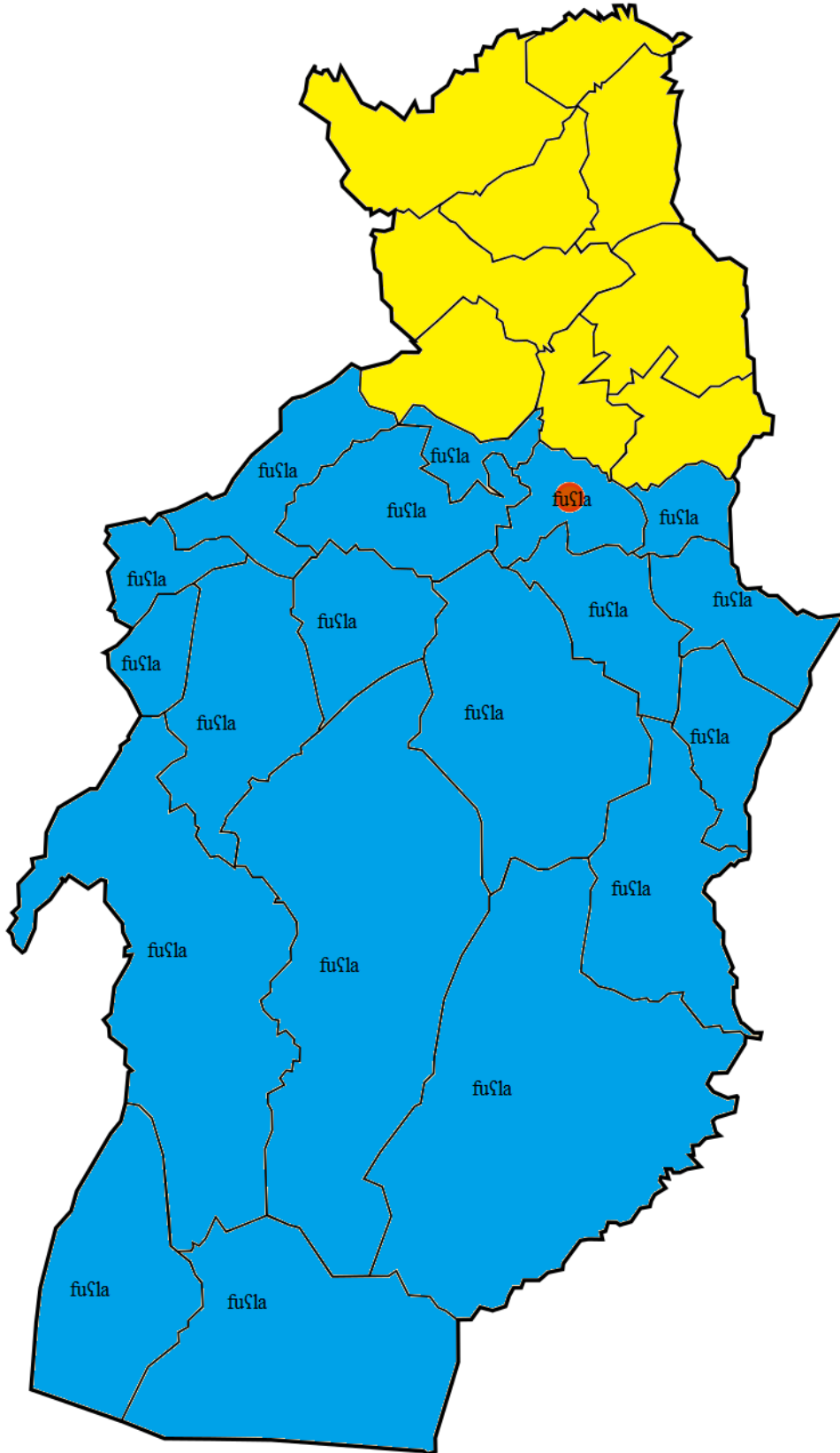
أطلس لغوي رقم 22

أطلس صيغة: فيول



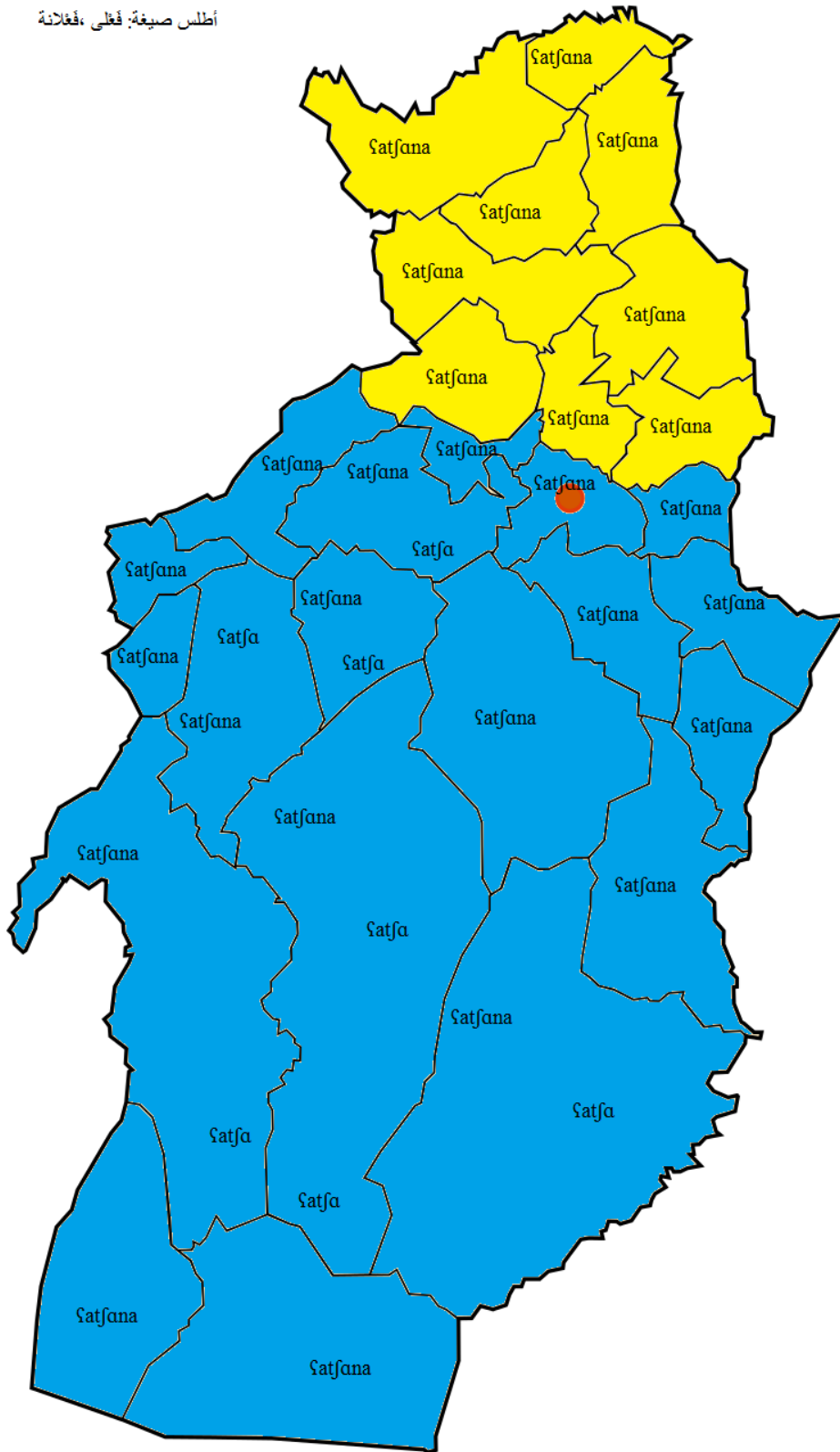
أطلس لغوي رقم 23

أطلس الصيغة: فحلة



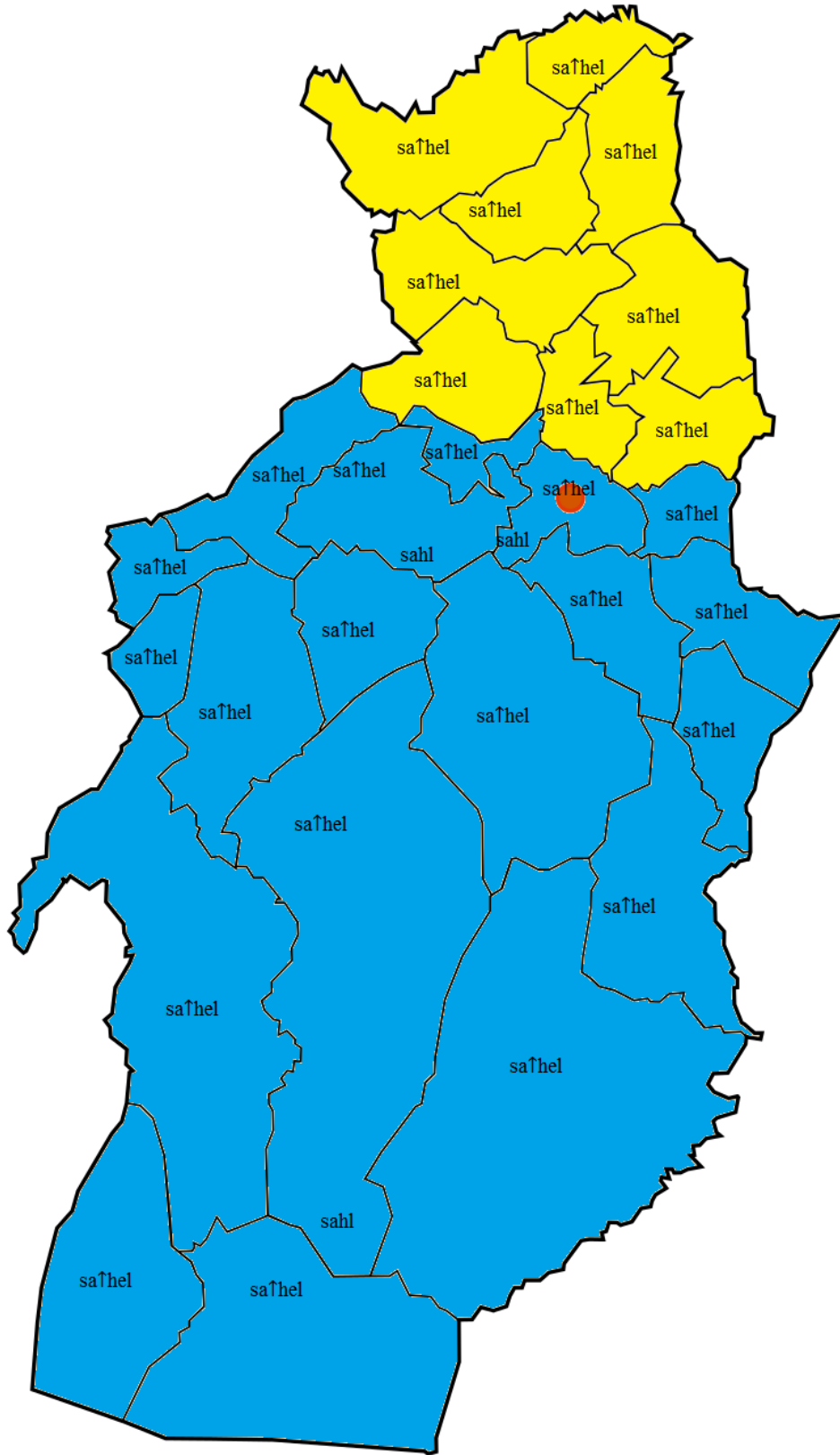
أطلس لغوي رقم 24

أطلس صيغة: فغلى، فغلانة



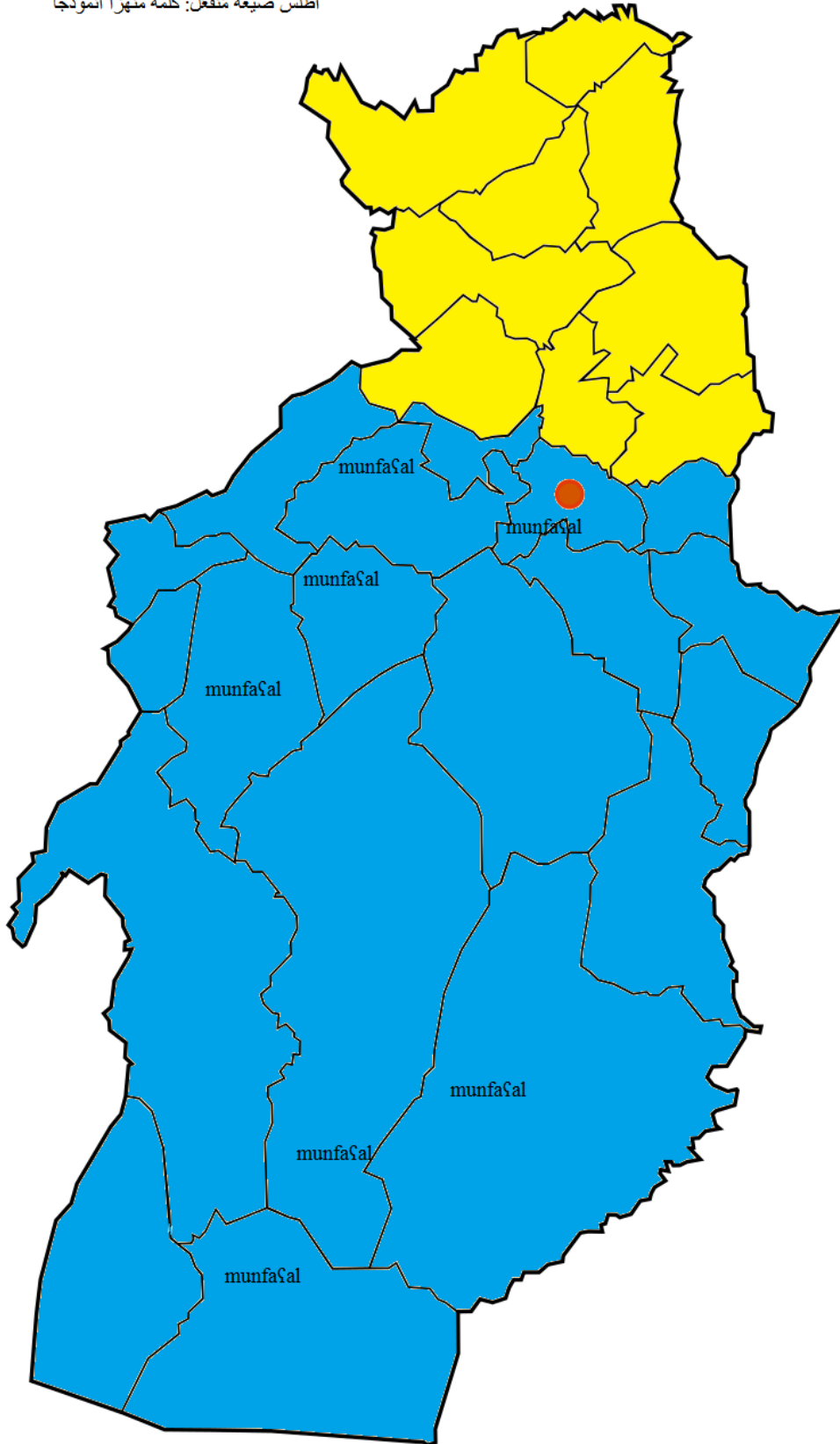
أطلس لغوي رقم 25

أطلس صيغة فعل: كلمة سَهْل أنموذجا



أطلس لغوي رقم 26

أطلس صيغة مُنْقَعَلٌ: كلمة منهزا أنموذجا



أطلس لغوي رقم 27

تمهيد:

تُعرف لغة العرب بصرفها وتقن أهلها في قوانين التصريف، منذ نشأة الأجيال الأولى من العرب، ولهجات تبسة إنما هي من لهجة أم عربية الأصل رغم تلاقحها بالبربرية والتركية وحتى الفرنسية، ولا نجد اختلافات كثيرة بينها من منطقة إلى أخرى، بل يكاد مستوى الأداء الصرفي في هذه اللهجات أن يكون واحداً، والجغرافيا اللغوية تسلط الضوء على الاختلافات التي تطال الخصائص اللغوية في مستويات الأداء اللساني، ومن خلال تلك الاختلافات يظهر التوزع الجغرافي، الذي يساهم في الكشف عن أسباب تشكّل خصائص اللهجات وعوامله، ولا يندهش الباحث إذا لم يجد اختلافات بين اللهجات التي تنتمي لل لهجة أم واحدة، في المستوى الصرفي، فالصرف كالعمود الفقري لبنية اللهجة الأم، وإذا اختلفت اللهجات الفرعية كثيراً في مستواها الصرفي، فهي لا تنتسب لل لهجة واحد بل لعديد اللهجات الأم، وفي حالة لهجات تبسة فإن الاختلاف نادر جداً بينها في هذا المستوى اللغوي، إلا ما انفردت به بعض اللهجات ذات الخصوصية البيئية والإثنية، التي تبتعد عن التجمعات الحضرية، والتي يعيش أهلها على تربية الماشية والظعن والتّرحال من التلّ إلى الصّحراء، أي من جبال وسفوح الأوراس الشّرقية، إلى صحاري ثليجان ونقرين التي تتاخم الحدود التونسية بالمرموثية والولجات وغيرها.

فكان من الواجب التّنويه لهذا الأمر في تمهيد خاصّ بهذا المبحث، كما وجب الوقوف على مفهوم الصرف في لغة العرب، وهو موضوع هذا المبحث الوصفي، للخصائص الصرفية للهجات ولاية تبسة آنياً، وقد اشتقّ اللغويون اسم علم الصرف من الفعل صرّف، واصطلحوا على مفهومه من خلال لسان العرب القدماء، فكان مفهوم الصّرف:

لغة: من صَرَفَ: «صَرَفًا: رَدّه عن وجهه. ويقال صَرَفَ الأجير من العمل، والغلام من المكتب: خَلَى سبيله. و_ المال: أنفقَه. و_ النقد بمثله: بَدَلَه.»¹ وبصفه عامّة فمعناه: غَيَّرَه.

اصطلاحاً: هو علم «تُعرف به أبنية الكلمات العربية وأحوالها التي تعرض لها وليست إعراباً ولا بناءً؛ أي أنه العلم الذي يتناول دراسة أبنية الكلمة وما يكون لحروفها من أصالة، أو زيادة، أو صحّة أو إعلال، أو إبدال، أو حذف، أو قلب، أو إدغام أو إمالة، وما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء كالوقف والتقاء الساكنين.»² كما يختصّ علم الصّرف بدراسة «الاسم المتمكّن _ أي المعرب _ الذي يمكن تصريفه واشتقاقه، والفعل المتصرّف المشتقّ هو ما اختلفت صورته لاختلاف زمانه.»³ فعلم الصّرف يعنى بأحوال الكلمة ولا يقارب الجمل، ويهتمّ بأبنية الكلمات من خلال «صيغها الأصلية والعارضة، وما يلبسها من تغيّر معنوي في مدلولها، مصدره البناء المحدث، بالتصغير، أو بالنسبة، أو بالتثنية، أو الجمع، أو التأنيث، في الأسماء، والتحويل إلى الماضي والمضارع والأمر، في الأفعال، ومن تغيّر صوتي في بنيتها، مصدره الظواهر التصريفية، كالتجريد، والزيادة، والحذف، والإبدال، والإعلال، والإدغام، والقلب المكاني، والإمالة، والتّحريك والتّسكين للإبتداء، والوقف، والتّخفيف والتّثقل. أمّا التّصريف فقد لمسنا أبعاده في الأسطر المتقدّمة، وهو تحويل الكلمة من بنية إلى أخرى بالزيادة، والحذف، وتغيير الحركات، والإبدال، والإعلال...»⁴ ويضيف عبد القادر عبد الجليل في حدّ هذا المفهوم، بأنّه «العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلوناتها، على وجوه وأشكال عدّة، وبما يكون لأصواتنا من الأصالة، والزيادة والحذف، والصّحة والإعلال، والإدغام، والإمالة، وبما يعرض لتواليها من

¹ مصطفى إبراهيم، الزيات أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ص 513.

² محمد عاطف فضل، الصرف الوظيفي، ط1، دار المسيرة للنشر والطباعة، الأردن، 2011، ص 23.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ قبّابة فخر الدين، تصريف الأسماء والأفعال، ط2، مكتبة المعارف، لبنان، 1988، ص 13.

التغيرات مما يفيد معان مختلفة»¹ وهنا يظهر الفرق بين علم الصّرف وهو مقارنة أبنية الكلمات وما يطرأ عليها من تغيرات صوتية، وبين التّصريف وهو تلك التّغيرات الصّوتية التي تُستخدم لتحويل أبنية الكلمة، حسب غرض المستعمل.

وللصّرف والتّصريف أهمّية بالغة في علوم اللغة، لأنّ «من فاته علمه فإته فاته المعظم؛ لأتأ نقول: وَجَدَ، وهي كلمة مبهمة، فإذا صُرّفت أفصحت؛ فقلت في المال: وَجَدًا، وفي الصّالة: وَجَدَانًا، وفي الغضب: مَوْجِدَةً، وفي الحزن: وَجَدًا»² ويضيف السيوطي أنّ «من سنن العرب الزّيادة في حروف الاسم؛ إمّا للمبالغة، وإمّا للتّسوية والتّقبيح؛ نحو رعرش للذي يرتعش، وزرُقُم للشّديد الزّرق»³ وهذا القول بالنّسبة للغة المعيارية، وهي «ذلك المستوى الكلامي الذي له صفة رسميّة، والذي يستعمله المتعلّمون تعليماً راقياً»⁴ وفي هذه الحالة فهي اللغة العربية الفصحى، وقد حظيت بالقسط الوافر من الدّراسات اللغوية، منذ قرون إلى هذا العهد من الزّمان، بينما لم تحظ اللهجات بذلك القدر من الاهتمام.

فإن كان المستوى الصّرفي لهجة ما، لا يختلف كثيرا عن نظيره الذي يؤدّي لسانيا في العربية الفصحى، فعندئذ يمكن وصف تلك اللهجة بأنّها من لهجات اللغة العربية، وإن كان الاختلاف كبيرا، فعندها لا يمكننا أن ننسب تلك اللهجة إلى لغة العرب أبداً، حتى وإن كانت جميع الأصوات المستعملة بهذه اللهجة، تطابق ما يكون في اللغة العربية، كلغة البربر الشاوية الزّناتية في تبسة مثلاً، فهي تتمتع بالخصائص الصّوتية التي في لغة العرب كلّها، لكنّها تختلف كثيرا في الخصائص الصّرفية التي تميل كثيرا إلى لسان حمير وظفار، وما هما من الفصحى كما أكّد اللغويون القدماء ذلك، أمّا لهجات تبسة العربية كلّها دون استثناء؛

¹ عبد الجليل عبد القادر، علم الصّرف الصوتي، ط8، سلسلة الدراسات اللغوية، 1998، ص 37.

² السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تع: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم، ج1، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، 1986، ص 330.

³ المرجع نفسه، ص 332.

⁴ باي ماريو، ص 138.

فهي تحافظ على الخصائص الصّرفية العربية، لكن بتغيّرات صوتيّة تختلف من منطقة إلى أخرى، ومن إثنيّة إلى أخرى.

1_2_ تصريف الأفعال:

1_1_2_ المجرد والمزيد:

أ_ **الفعل المجرد**: يأتي الفعل المجرد في لغة العرب على ثلاث صيغ هي: فَعَلَ، فَعِلَ، فَعِلْ، وتستعمل هذه الصيغ الثلاث بكل لهجات تبسة، لكن باختلاس واضح للحركات فنجد:

_ صيغة فَعَلَ: تُختلس حركة فتح الفاء اختلاسا متوسطا عند البدو، واختلاسا كبيرا عند أهل الحضر، مثل الأفعال: ذَهَبَ = ذَهَبَ، قَعَدَ = قَعَدَ، رَجَعَ = رَجَعَ، بينما نجد حالات خاصة جدا تنطق فيها فاء الفعل مكسورة أي: ذَهَبَ، قَعَدَ، رَجَعَ¹، وهذا عند أهل القفار من عرب الجلامدة، وأولاد بلحارث، وكذا في عميرة أولاد عبد الله من أولاد حميدة.

_ صيغة فَعِلْ: يحدث لحركة فاء الفعل بهذه الصيغة ما حدث للصيغة التي قبلها، أي أنّها تختلس اختلاسا كبيرا عند جميع مستعملي هذه الصيغة في كل تراب تبسة، مثل: كُرْمَ = كُرْمَ، صَلْحَ = صَلْحَ عند أولاد يحيى شمال الولاية، بينما عند اللمامشة جنوبا فتتطق: صَلْحَ بفتح عين الفعل²، ويكسرون عين الفعل في مواضع أخرى مثل فعل: بَشْمَ بمعنى شَبَع، فتصير: بَشْمَ عند غالبية اللمامشة ومن كان ضمنهم من أولاد عبيد الشريف والنقارنية، وبَشْمَ في المناطق التي يكثر فيها المستعربة الذين يتكلمون لغة البربر الشاوية أيضا³.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 17.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 18.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 19، والتسجيل الصوتي رقم 14.

_ صيغة فَعِلَ: تُختلس حركة الفاء وتُقلب حركة العين من الكسر إلى الفتح، وهذا الاستعمال عامّ وواحد عند جميع سگان تبسة دون تمييز، مثل الأفعال: عَلِمَ = عَلِمَ، فَهَمَ = فَهَمَ، سَمِعَ = سَمِعَ.

ب_ الفعل المزيد:

_ المزيد بحرف واحد: والذي يكون على صيغته الثلاث: أَفْعَلْ، فَعَّلَ، فَاعَلَ، فإنّ هذه الصيغ تستعمل كما هي عند جميع سگان ولاية تبسة، ولا نجد أي اختلاف في خصائص لهجات تبسة الصّرفية يمكن تدوينه ورسم توزّعه الجغرافي، ولا نجد أي اختلاس للحركات في نطق الأفعال، ولا نجد قلبا أو حذفًا أو إبدالًا، مثل: أَبْهَرَ، أَنْعَمَ، جَرَّبَ، عَدَّبَ، عَارَكَ، بَادَرَ وغيرها من الأفعال التي تصاغ على هذه الموازين، بينما يجد الإشارة إلى أنّ المتكلم التبسيّ عامة يستعمل الوقف، وهذا استعمال عند جميع العرب قديما وحديثا.

_ المزيد بحرفين: فإنّ الصيغة (انْفَعَلَ) تصير إلى الصيغة (تَفَعَّلَ) مثل: انْقَطَعَ = تَقَطَّعَ، انْفَجَرَ = تَفَجَّرَ، مع اختلاس في فتحة التاء، ثمّ إنّ الصيغة تبقى كما هي في بعض الأفعال مثل: انْسَلَخَ = انْتَسَلَخَ، ويستخدمون أيضا (تَسَلَخَ) بوزن (تَفَعَّلَ) وهذا استعمال شامل في كامل تراب الولاية.

كما يحوّل جميع سگان تبسة الصيغة (افْتَعَلَ) إلى الصيغة (فَعَّلَ) مثل: اقْتَرَبَ = قَرَّبَ، ويحوّلونها إلى صيغة (تَفَعَّلَ) مثل الفعل: انْتَفَخَ = تِنْفَخَ، وصيغة (تَفَعَّلَ) للفعل نفسه أي: انْتَفَخَ = تِنْفَخَ، ويبقون الصيغة على حالها في أفعال كثيرة لا يمكن حصرها، مثل: اعْتَرَفَ، اكْتَرَتْ، اجْتَهَدَ...

ويبقى جميع سگان ولاية تبسة الصيغة (تَفَاعَلَ) على حالها، فلا يطرأ تغيير عليها مثل: تَظَاهَرَ، تَكَالَبَ، تَرَافَقَ وغيرها، دون اختلاس حتّى، بينما يبدّلون الصيغة (افْعَلَ) بالصيغة (افْعَالًا) مثل: اخْضَرَ = اخْضَارًا.

_ المزيد بثلاث حروف: فنجد استعماله على الصيغ التالية: صيغة (استفعل) تستعمل استعمالاً محتشماً، في بعض الأفعال مثل: استعلم، استنبط، استعمل... وغيرها، بينما أغلب الأفعال بهذه الصيغة تُبدل إلى صيغة (فعل) مثل: استخرج = حرج، استظهر = ظهر...
كما نجد الصيغة (أفعل) قد صارت (أفعال) مثل: أخضض = أخضار، أخشوشن = أخشان، أما الصيغة (أفعال) فاستعمالها لا يكون عادة إلا مكان بعض الصيغ الأخرى، ولا نجدها إلا في الأفعال الدالة على اللون مثل: اصفار، احمار، اكدال وغيرها، أما الصيغة (أفعل) فلا استعمال لها مطلقاً في ولاية تبسة.

_ المزيد بأربعة حروف: بصيغتيه (تفعل) التي يُبقيا جميع الناطقين بتبسة من شمالها إلى جنوبها كما هي، مثل: تشبشب، تصضع، تغرغر... والصيغة (أفعل) فلا استخدام لها في الولاية.

2_1_2_ الأفعال من حيث زمنها:

_ **الفعل الماضي:** تبقى صيغ الأفعال الصحيحة والمعتلة كما هي، لصيغة الغائب المذكور في جميع لهجات تبسة، مثل: ضرب، نجح، رقد، وغيرها، لكن باختلاس حركة فاء الفعل دوماً، بينما صيغ الغائبة المؤنث والغائبات فيقع التغيير، فأما في المعتل الناقص مثل الفعل: قرأت = قرئت بحذف الألف تماماً¹، و: قرأت بمدّ فتح الراء في ونزة والعوينات والمريج وبعض الكويف وعين الزرقاء²، وأما الغائبات فجميع الاستعمال الصرفي لهنّ يكون بصيغة جمع المذكور السالم، مثل: قرآن = قرؤوا، جلسن = جلسوا وغيرها.

بينما يُغير أهل تبسة بعض الأصوات في صيغة المتكلم المذكور المفرد والجمع، في المعتل الناقص مثل: قرأت = قرئت، وهذا بسبب الإمالة، فهم يميلون ألف (قرأت) وهم لا

¹ ينظر التسجيل الصوتي رقم 15.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 20.

يهمزون كما أشرنا سابقاً، وهذه الإمالة شُبِّعت حتى صارت ياء لمدّ الكسر لفاء الفعل، ولا نجد اختلافاً في استعمالات الأفعال للزّمان الماضي عند جميع أهل تبسة، إلا في حالة شاذة هي لغة التّكاكة، التي يستخدم أصحابها اللسان الفصيح، فيبقون الأبنية والأصوات كما هي في الفصحى، وهي استعمال شهير في الولاية اختصّت به هذه القبيلة، في بئر مقدم والحمّامات وعاصمة الولاية تبسة بحيتها الجنوبي.

ويجدر الإشارة إلى أنّ المتكلم التّبسي لا يهمز مهما كان موضع الهمزة، حتى ولو كان أول الفعل مثل: (أَكَلَ) فتكون: (كَلَا) بقلب مكان الألف دون همزها، وللمتكلم المفرد: (كَلَيْت) و (كَلَيْتًا) للجمع بإبدال الألف ياء لاشباع الإمالة.

ب_ الفعل المضارع: وأمّا استعمال الأبنية في هذا الزّمان، فإنّ حرف المضارعة (ء) للمتكلم المفرد غير موجود، واستبدله أهل تبسة جميعاً بنون المضارعة المستخدمة للجمع، وهذا استعمال شائع في كامل المغرب العربي والإسكندرية وغرب مصر، وهو إمّا استبدل بصيغة الجمع للتّعظيم، أو أنّه إدغام ضمير المتكلم (أنا) بالفعل مباشرة وحذف ألف (أنا) الأولى والثّانية.

ويستعمل جميع أهل تبسة أبنية الأفعال المضارعة كما هي في العربية الفصحى، إلا بعض الصّيغ التي تطرأ عليها تغييرات بسبب الإمالة أو التّفخيم، مثل فعل: (يَأْكُل) الذي يصير: (يُوكُل)، وذلك بسبب التّفخيم الذي وقع على الألف، والتي لا تُهمز في هذه اللهجات، فكان الواو أنسب ما يقابل الصّمة التي كانت فتحة فانقلبت إلى ما هي عليه من الصّمة لمماثلة التّفخيم الذي صار واوا.

ويحذفون في مواضع أخرى مثل الفعل: (يُؤدّي) الذي يصير: (يُدّي)، فقد مرّ الفعل بمراحل من (يُؤدّي) إلى (يؤدّي) بكسر ياء المضارعة نحو لغة تميم من قبل، ثمّ صار (يُدّي) بحذف الواو للتّفخيم ومناسبة الكسر للكسر.

وبصفة عامّة فكلّ أفعال المضارع في لهجات تبسة، تخضع للاستعمال اللهجي التّيمي، حيث يكسرون حروف المضارعة، ويختلسون تلك الكسرة ولا تظهر إلّا إذا لم يسمع المتلقّي كلام المتكلّم، فيعيد لفظ الفعل بإثبات الكسرة التي اختلسها من قبل، وحروف المضارعة المعروفة (ء، ن، ي، ت) مثبتة جميعها في الأداء الصّرفي للهجات تبسة دون أي اختلاف بينها، إلّا الهمزة للمتكلّم فيستبدلونّها نونا.

جـ_ فعل الأمر: لا نجد اختلافا بين المستعملين اللغويين في جميع بلديات تبسة، وكلهم يستخدمون الأبنية الصّحيحة كما في اللغة العربية، في الأفعال الصّحيحة السّالمة والمضعّفة، مثل قولهم: اذْهَبْ، اُكْتُبْ، اُشْرَبْ، اُقْعُدْ، اشدِّ، زَلْزِلْ، عَمِّرْ وغيرها، بينما يطرأ التّغيير على بعض الأفعال المهموزة والمعتّلة، مثل: خُذْ = خُوذْ، رُحْ = رُوْحْ، قُلْ = قُولْ، بَعْ = بِيْعْ، حيث يميلون إلى مطل الحركات وإشباع مطلقها، بينما في أفعال أخرى مثل: عَدْ = أُوْعِدْ، جِدْ = أُوْجِدْ، باستعمال الصيغة (افْعِل) وتطبيق قانون المماثلة عليها في حالة الواو والضّمّ، وهذا عند جميع العرب المعاصرين من المحيط إلى الخليج.

د_ الفعل المبني للمجهول: وهو «ما حذف فاعله وجُعِل المفعول به نائبا عنه.»¹ وصيغه كالتّالي:

فُعِلَ = تَفَعَّلَ، مثل: قُتِلَ = تَقَتَّلَ، ضُبِطَ = تَضَبَّطَ، فُتِحَ = تَفَتَّحَ وغيرها من الأفعال.

فُعِلَ = تَفَعَّلَ، مثل: رُتِبَ = تَرَتَّبَ، عُمِّرَ = تَعَمَّرَ وغيرها.

أُسْتُفْعِلَ تبقى هذه الصيغة كما هي مثل فعل: أُسْتُخْرِجَ، أُسْتُعْمَلِ وغيرها.

فُوعِلَ = نُفُوعِلَ، نحو: رُوقِبَ = نُرُوقِبَ وغيرها.

¹ محمد عاطف فضل، ص 56.

وأما صيغ الافتعال والانفعال في الماضي المبني للمجهول، فتبقي كما هي في الأداء الصّرفي التبسيّ عامّة، مثل: أكتُشِف، أنتُهَي... بيد أنّ هاتين الصيغتين أي (أُتْعَل) و(أُنْفَعَل) تستبدل أيضا بالصيغة (يُفْعَل)، وهي صيغة يستعملها أهل تبسة جميعا بدلا من صيغ كثيرة، مثل صيغة (أُفْعَل) كقولهم بدلا من: أُضْرِم، تَضْرِم، وكذا الصيغة (تُفْعَل) كقولهم بدلا من: نُقْبَل، يُقْبَل.

وبالتسبة للأفعال المعتلة كأجوف في فعل: (قِيلَ) مثلا، فإنّه يصبح: (انْقَالَ) على وزن (انْفَعَل)، وعلى هذا الوزن تأتي جميع الأفعال التي مثل (قال)، وبصفة عامّة فإنّ صيغة المبني للمجهول، قد ضاعت في الأداء الصّرفي عند جميع العرب، بينما تُحافظ قبيلة التكاكة على أبنية الفعل الماضي المبني للمجهول كما هي، في استعمالاتهم الخاصّة والتميّزة للغة العربية الفصحى.

وأما الفعل المضارع المبني للمجهول، فإنّ أهل تبسة جميعا يضيفون حروف المضارعة على الصيغة: يُفْعَل = يَفْعَل، مثل قولهم: يَتَكَل، يَتَشْرَب وغيرها، بينما تبقى الصيغة: يُسْتَفْعَل كما هي مثل قولهم: يُسْتَحْرَج، ولا نجد أي اختلاف بين لهجات تبسة في هذا الأداء الصّرفي، والأمر نفسه فإنّ قبيلة التكاكة تحافظ على أبنية المضارع المجهول، في استعمالها اللغوي المنفرد للفصحى.

2_2_ المصادر:

يُعرّف المصدر بأنّه «ما يدلّ على حدث (فعل)، ولكنّه لا يدلّ على زمن حدوثه.»¹ وجميع أنواع المصادر في لهجات تبسة، تستعمل استعمالا واحدة دون أي اختلاف بين كل لهجة وأخرى، ولا تتغيّر أبنية المصادر عمّا هي عليه في اللغة العربية الفصحى.

¹ المرجع السابق، ص 125.

فالمصادر الصريحة الثلاثية والرباعية والخماسية والسداسية، كما هي في العربية الفصحى، كقولهم: جَلَسَ جُلُوسًا، قَطَفَ قَطْفًا، فَرِحَ فَرَحًا، فَهِمَ فَهْمًا، حَمَضَ حُمُوضَةً، نَبَهَهُ، صَنَعَ صِنَاعَةً، سَعَلَ سُعَالًا، زَارَ زَيْرًا، بَكَى بُكَاءً، رَحَلَ رَحِيلًا، حَمَرَ حُمْرَةً، عَرَجَ عَرَجًا، قَدِمَ قُدْمًا... وغيرها من الأمثلة عن المصدر الثلاثي، وكقولهم: دَحْرَجَةً، زَلْزَلَةً، إِكْرَامًا، إِقَامَةً، تَكْبِيرًا، تَرْبِيَةً، تَبْرِينًا وَتَبْرِينَةً، اسْتِخْرَاجًا، تَبَعُثْرًا وغيرها من المصادر الرباعية والخماسية والسداسية.

كما لا نجد تغيرًا في مصدر المرة كقولهم: ضَرَبَةً، حَطْرَةً، دَوْرَةً... وغيرها من الأمثلة، والأمر نفسه في مصدر الهيئة كقولهم: مَشِيَّةً، رُقْدَةً، أَكْلَةً... وغيرها، ولا يتغير المصدر الصناعي أيضا في لهجات تبسة، كقولهم: عالمية، وطنية، سلفية... وغيرها، وحتى المصدر الميمي فهو نفسه كما في اللغة العربية الفصحى لا يطرأ عليه تغيير، كقولهم: مَوْعِدٌ، مَوْقِفٌ، مَنَظَرٌ... وغيرها من الأمثلة، ولم تسجل الدراسة الميدانية أي اختلافات في كامل تراب الولاية.

2_3_ المشتقات:

تميز العرب منذ قديم الأزل بقدرتهم على الاشتقاق، وقد ورد تعريفه لغةً في لسان العرب في قول ابن منظور: «شَقَّقَ. الشَّقُّ: مصدر قولك شققت العود شقًّا، والشَّقُّ: الصدع البائن»¹ ومن هذا التعريف اللغوي وضع اللغويون القدماء حدًا لمفهوم الاشتقاق اصطلاحًا، حيث يرى ابن جنِّي أن «تأخذ أصلا من الأصول فتتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغته ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه؛ نحو سلم ويسلم وسالم، وسلمان»² ويضيف السيوطي فيرى أنه «أخذ صيغة من اخرى مع اتفاقهما

¹ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر، باب (شَقَّقَ)، ص 2300.

² ابن جنِّي أبي الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج2، دار الكتب المصرية، مصر، ص 134.

معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ كضاربٍ من ضَرَبَ، وحَذِرٍ من حَذَرَ.¹ وهذا القول يفيد بأن الاشتقاق «أن يُؤخذ من لفظة كلمة أو أكثر مع التّناسب في المعنى بين المشتقّ وما أُخذ منه، والاختلاف في اللفظ.»² فهو إذن آليّة لغويّة تحويليّة توليديّة، تستعمل اللفظ كمادة خام لإنتاج ألفاظ متشابهة شكلاً؛ لها معانٍ مختلفة سياقاً، ومقاربة دلاليّة، ونجد منها الصّيع المشتقة الآتية:

2_3_1_ اسم الفاعل:

يحافظ سگان ولاية تبسة على أبنية اسم الفاعل، فلا تختلف عمّا هي في اللغة العربية الفصحى، غير أنّهم يتحاشون نطق أحرف العلة إذا أتت أول الفعل، فتكون أول اسم فاعله مثل: أكل، آكل، فتصير: ماكل، وأصلها: مؤاكلٌ فمائلت حركة الميم حركة الهمزة فانقلبت فتحة.

ولا نجد اختلافاً بين مستعملي اللهجات في تبسة، فكلهم يستخدمون أداءً صرفياً واحداً لاسم الفاعل، وهو نفسه الذي في العربية الفصحى، إلا ببعض الاختلاس في الحركات كعادة العرب.

2_3_2 اسم المفعول:

هو صيغة «مشتقة من الفعل المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الحدث.»³ وحاله في الاستعمال اللهجي في ولاية تبسة، كحال اسم الفاعل، أي أنّ سگان الولاية يحافظون على أبنيته كما هي في العربية الفصحى، خلال أدائهم الصّرفي اللغوي، فيقولون:

¹ السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، ص 346.

² نهر هادي، الصّرف الوافي_دراسات وصفية تطبيقية_، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص 51.

³ محمد عاطف فاضل، ص 154.

ممدود، مشروب، مبيوع، مسعي، مقضي، مستخرج، مكذب وغيرها من أسماء المفعول، ولا توجد أي اختلافات يمكن رصدها وتسجيلها بين مختلف مناطق ولاية تبسة.

2_3_3_ صيغة المبالغة:

تُستعمل هذه الصيغة عند كافة العرب، وهي صيغة «مشتقة تدلّ على الحدث ومن وقع منه أو اتّصف به على وجه المبالغة، أي أنّها تدلّ على ما دلّ عليه اسم الفاعل مع إفادة التكبير والمبالغة.»¹ ويستعمل سكان تبسة جميعهم، الأداء نفسه لصيغ المبالغة، وتتفرد مجموعات إثنية معينة بصيغ معينة، فنجد الصيغ:

فَعَال: كقولهم: بَرَّاح وبِغَاي بقلب الهمزة ياءً، وغيرها من الكلمات مع اشتراكهم جميعاً في الاستعمال دونما اختلاف.

مِفْعَال: كقولهم: مِقْدَام ومِرْكَاز وغيرها من الكلمات، وهو استعمال محشوم، أي أنّ جميع سكان الولاية يستخدمونه، لكن لا يكثرون منه ولا يتقنّون فيه، إلّا قبائل الجلامدة وأولاد حميدة وأولاد عبيد الشريف الذين يعيشون بالوادي، فإنّهم أفضل من يتقنّ في اشتقاق هذه الصيغ.²

فَعِيل: كقولهم: شَجِيع ورَفِيع، ونجد هذا الاستعمال بكثرة عند الفئة العمرية التي تتجاوز 70 سنة، ممن حافظوا على اللهجة التبسية القديمة، ولم يتأثروا بالتقليد الذي طال الشباب.

¹ المرجع السابق، ص 156.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 21، والتسجيل الصوتي رقم 16.

فَعِيل: كقولهم: شَرِير، وهي كلمة عامّة الاستعمال، بينما لا نجد هذه الصيغة عند عامة أهل ولاية تبسة، إلا عند أعراب أولاد عبيد الشّريف، وأولاد بوقصة والتكاكة، وعمائر الهرايسية بفيافي الونزة¹، كقولهم: شَجِّيع² وكَفِير وغيرها.

مِفْعِيل وفَعُول: كقولهم: مسكين، كذوب، حقود وغيرها، ولا اختلاف في استعمالها عند جميع سگان ولاية تبسة.

فاعول: كقولهم: ساروق، وهامول، طاروس وغيرها من الكلمات، واستعمالها واحد مع اختلاف في توظيف هذه الصيغة من قبيلة إلى أخرى، ونقول قبيلة لأنّ المستوى الصّرفي لا نجد به اختلافات أبدا، إلا ما تميّزت به أقحاح العرب في تبسة.

فَعَل: أما هذه الصيغة فلا يستعملها من سگان تبسة أحد، إلا قبيلة التكاكة فيقولون: فَطْن، ونَبِه، وأَشْر، عَطْب، ولم تسجّل الملاحظة الميدانية أي استعمال لهذه الصيغة، إلا عند قبيلة التكاكة في جنوب مدينة تبسة، والحمّامات، وسفوح تازيننت وبلدية بئر مقدم، وأحياء مدينة بئر العائر الشمالية³.

فُعَال: كقولهم: جُهَال، وُعُثَاء وغيرها، واستعمالها موحد في جميع تراب الولاية، دونما اختلافات بين المستعملين اللغويين.

فَعَالَة: كقولهم: علّامة، نسابة وغيرها، وهي أيضا صيغة تستعمل استعمالا واحدا عند جميع سگان الولاية.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 22.

² ينظر التسجيل الصوتي رقم 16.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 23.

فُعَلَة: كقولهم: هُمَزَة، وَلُكَمَة وأخرى لُكَمَة بتسكين الكاف، وهذه الصيغة نجدها عند اللمامشة بكثرة ومن كان في حيزهم الجغرافي من القبائل الأخرى¹.

2_3_4_ الصفة المشبهة:

هي صيغة «مخصوصة تشتقّ من مصدر الفعل اللازم للدلالة على ثبوت نسبة الحدث إلى من اتصف به.»² ويضيف سيف الدين الفقراء في حدّها: «وصف مشتقّ من فعل لازم في الغالب بقصد نسبة الحدث إلى ذات الموصوف به، نسبة تقيد الثبوت والاستمرار، ويستحسن فيها جرّ فاعلها معنى بها، وأنها تجري على اسم الفاعل في العمل، دون جريانها على الفعل في عدد الحروف والسكّات والحركات.»³ وهذه الصيغة لها استعمالات موحّدة في كامل الوطن العربي، ولا يختلف استعمالها في ولاية تبسة عمّا هو في الوطن العربي، إلا ما انفردت به بعض القبائل إمّا بالحفاظ على صيغ معينة كما هي في الفصحى، أو بابتداعهم أبنية جديدة للصفة المشبهة، ونجد الصيغ التالية:

أفعل، فعلاء: كقولهم: أحمر حمرا دون همز، وأخضر خضرا وغيرها، وكلّها واحدة لا نجد اختلافات في الأداء الصرفي بين المناطق.

فعلان، فعلى: كقولهم: عطشان وعطشى بالنسبة لبدو الجلامدة وأولاد عبيد الشريف وأولاد حميدة⁴، وعطشان وعطشانة عند بقية سگان تبسة حيث يستبدلون الصيغة (فعلى) ب (فعلانة) وهذا من لسان طييء⁵.

فَعَال: كقولهم: جَبَان وغيرها، واستعمالها واحد في جميع مناطق ولاية تبسة.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 24.

² محمد عاطف فاضل، ص 157.

³ الفقراء سيف الدين طه، المشتقات في العربية بنية ودلالة واحصاء، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2003، ص 40.

⁴ ينظر التسجيل الصوتي رقم 17.

⁵ ينظر الأطلس اللغوي رقم 25.

فَعِيل: كقولهم: بَخِيل وكريم وهو استعمال موحد عند جميع سكان تبسة.

فَاعِل: كقولهم: طَاهِر، وكامل وغيرها، وتستعمل موحدة بين جميع سكان الولاية.

فُعَل: كقولهم: مُرّ، حُرّ وغيرها، واستعمالها أيضا موحد.

فُعَال: كقولهم: شُجَاع وغيرها، وتستعمل هذه الصيغة بشكل موحد وشامل في الولاية.

فَعَل: كقولهم: عَجَب، وحَسَن، واستعمال هذه الصيغة عام في كلمات وخاص في

أخرى، فكلّ الولاية يقولون: شَيّ عَجَب، بينما لا يقولون: شَيّ حَسَن، إنّما ينفرد باثبات فتحة السنين أعراب أولاد عبيد الشريف في بوادي بئر العاتر، وأولاد بوقصة بنقرين والخثورة، والتكاكة بسفوح تازينت وبئر مقدم.

فَعَل: هذه الصيغة يغيّرها أهل تبسة جميعا إلى الصيغة (فَاعِل)، كقولهم: سَاهِل

وواعر وغيرها، بينما ينفرد التكاكة بقولهم: سَهْل ووعر مع مشاركتهم لاستعمال: ساهل وواعر أيضا¹.

وينفرد أولاد بوقصة باستعمال الصيغتين: مُنْفَعَل، ومُفَعَّل، خاصة في صفة التحقير

كقولهم: مُنْهَزَا، من: مُنْهَزُو أي الذي يستهزئ به².

وما تبقى من صيغ المشتقات من اسم الزمان والمكان، واسم الآلة، واسم التفضيل،

فلا يختلف استعمالها عمّا هو في اللغة العربية الفصحى، ولا يختلف سكان تبسة فيما بينهم في هذا الأداء الصرفي لهذه الصيغ أبدا.

2_4_2_ الجمع والمثنى والتأنيث:

2_4_2_1_ الجمع:

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 26، والتسجيل الصوتي رقم 16.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 27، والتسجيل الصوتي رقم 18.

صيغ الجمع موجودة في كل لغات العالم الحيّة، والجمع هو «ما دلّ على أكثر من اثنين أو اثنتين بتغيّر صورة مفرده»¹ ونجد من الجمع؛ المذكر السالم وهو «كلّ ما دلّ على أكثر من اثنين أو اثنتين بزيادة واو ونون في حالة الرفع، مثل: جاء المهندسون، أو ياء ونون في حالتي النصب والجر، مثل: زرت المهندسين في الموقع»² وجميع سگان تبسة دون استثناء، لا يستعملون الواو والنون في حالة رفع المذكر السالم، بل يعمّون استعمال الياء والنون في كل الحالات، ولا نجد أي اختلافات بين اللهجات في هذا الأداء الصّرفي في الولاية، كقولهم: جا الصيّادين، قابلنا الصيّادين.

أما بالنسبة لجمع المؤنث السالم، وهو «ما دلّ على اثنتين بزيادة ألف وتاء إلى المفرد، ويشترك فيه من يعقل ولا يعقل»³ فإنّ سگان تبسة جميعا يحافظون على هذا البناء الصّرفي كما هو في العربية الفصحى، ولا نجد اختلافا بين مستعملي هذه الصيغة في جميع تراب الولاية، كقولهم: الكاملات، والمعلمات، والسيدات وغيرها.

وأما جمع التّكسير وهو يدلّ على «ثلاثة فأكثر مع تغيير ضروري يحدث لمفرده عند الجمع»⁴ فإنّ أهل تبسة يتقنّون في صيغ أبنية لجموع التّكسير كما شأوا، مع المحافظة على صورها التي تكون بالفصحى، كقولهم: صُحف وصحايف وصحيفات وغيرها، لكننا لا نجد أي اختلاف يمكن رصده بين مستعملي اللهجات في ولاية تبسة.

2_4_2_ المثني:

أهمّ العرب اليوم عامّة صيغة المثني في لغتهم، بسبب اختلاطهم بالأعاجم بعد انتشار الإسلام في أسقاع الأرض، والمثني هو «ما دلّ على اثنين أو اثنتين، وذلك بزيادة

¹ محمد عاطف فاضل، ص 213.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 214.

⁴ نهر هادي، ص 220.

ألف ونون إلى الاسم المفرد في حالة الرفع، وياء ونون في حالتي النصب والجر.¹ وسكان ولاية تبسة كغيرهم من العرب، أهملوا صيغة المثني واستبدلوها بصيغة الجمع في كل الأحوال، ولا اختلاف بين لهجات ولاية تبسة في هذا.

2_4_3_ التانيث:

تأتي صيغ التانيث جميعها صحيحة في لهجات تبسة، كما هي في اللغة العربية الفصحى دونما تغير يطرأ عليها، ولا تختلف لهجات تبسة في ذلك، بيد أن جميع سكان تبسة يؤنثون صيغة الفعل الماضي للمذكر المخاطب، دون أن يؤنثوا ضمير المذكر المخاطب (أنت)، كقولهم: أنت مشيت، بكسر التاء، وهذا فقط ما يقع عليه التانيث في لسانهم، ولا يؤنثون دونه من المذكرات، ولا نجد ما يختلف فيه سكان تبسة في أدائهم الصرفي للتانيث؛ إلا عند عمائر من أولاد حميدة تذكر المؤنث المخاطب، زيادة على تانيث المذكر المخاطب.

2_5_ النحت:

جاء في كتاب العين أن النحت هو «نحت النجار الخشب، يقال نَحَتَ يَنْحِتُ، وَيُنْحِتُ لُغَةً»² وهو في الاصطلاح «وسيلة من وسائل توليد الألفاظ الجديدة، واختزال في الكلمات والعبارات»³ فهو إذن «استخلاص كلمة واحدة من كلمتين، أو أكثر باقتطاف بعض الأجزاء، قد يكون حرفاً، أو أكثر، أو مقطوعاً»⁴ ويستعمل جميع سكان الولاية النحت دون تمايز واضح، فيقولون: كَعَبَر من كَعِبٍ و الفعل عَبَرَ، للدلالة على تصيير الشيء بشكل الكعب.

¹ محمد عاطف فاضل، ص 212.

² الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج4، ص 197.

³ أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، طه، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978، ص 86.

⁴ المخزومي مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة النحو، ط2، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1958، ص

وكَرْكَبَ من كَرَّ وِكَبَّ للدلالة على الدحرجة للشيء غير المدور ذي النتوءات، ودَهَشَرَ من دَهَشَ وِشَّرُ للدلالة على الضرب حتى الإغماء والسقوط، ويتفنن البدو في النحت، كقول التكاكة: قَنَمَرَ من قَنَمَ أي جمعه كله، ونَمَرَ، للدلالة على الدعاء على الشخص بالشر، وغيرها من التراكيب المنحوتة التي لا يمكن حصرها.

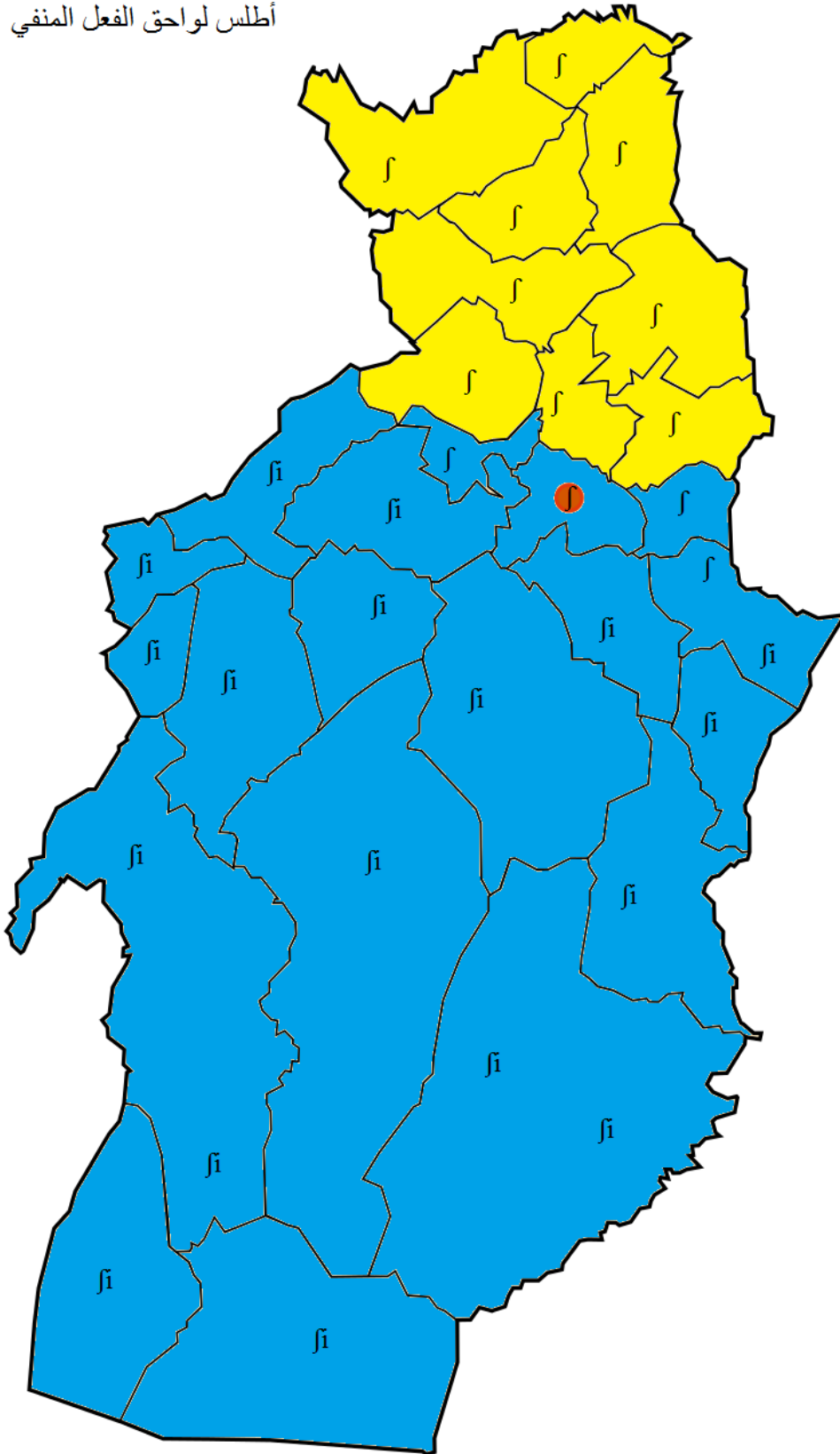
3_ المستوى

النَّحْوِي

الأطالس

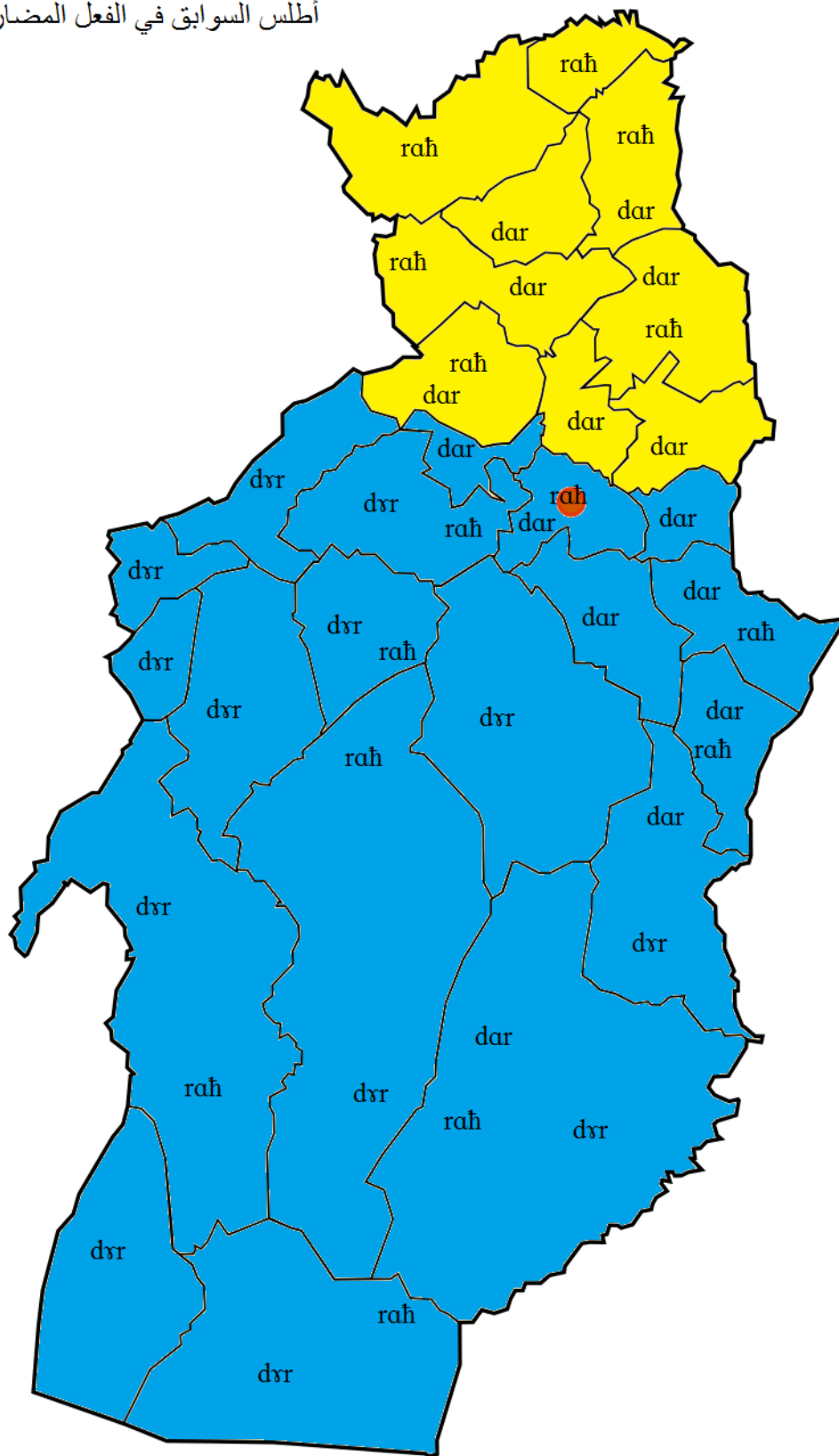
اللغويّة

أطلس لواحق الفعل المنفي



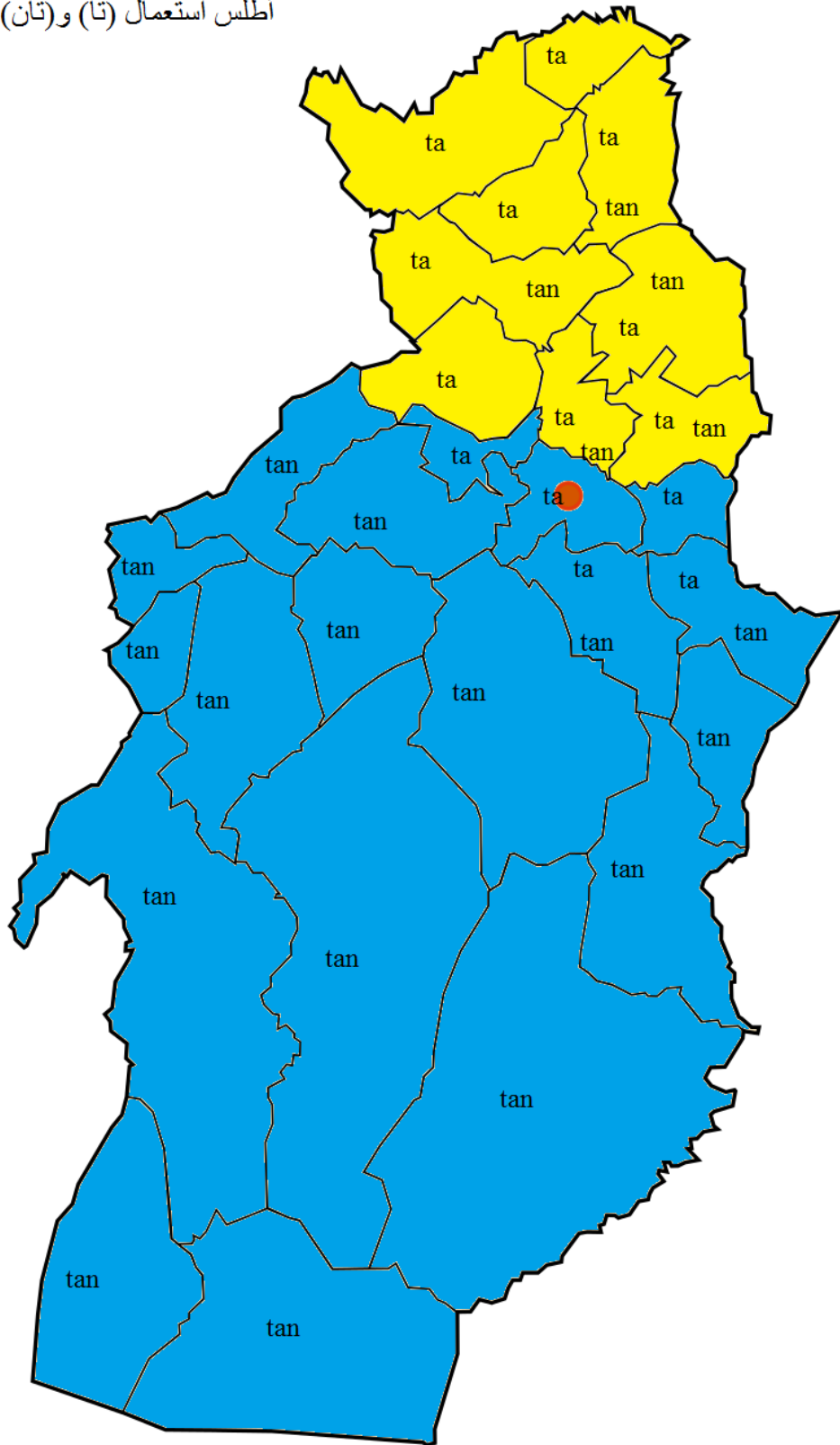
أطلس لغوي رقم 28

أطلس السوابق في الفعل المضارع



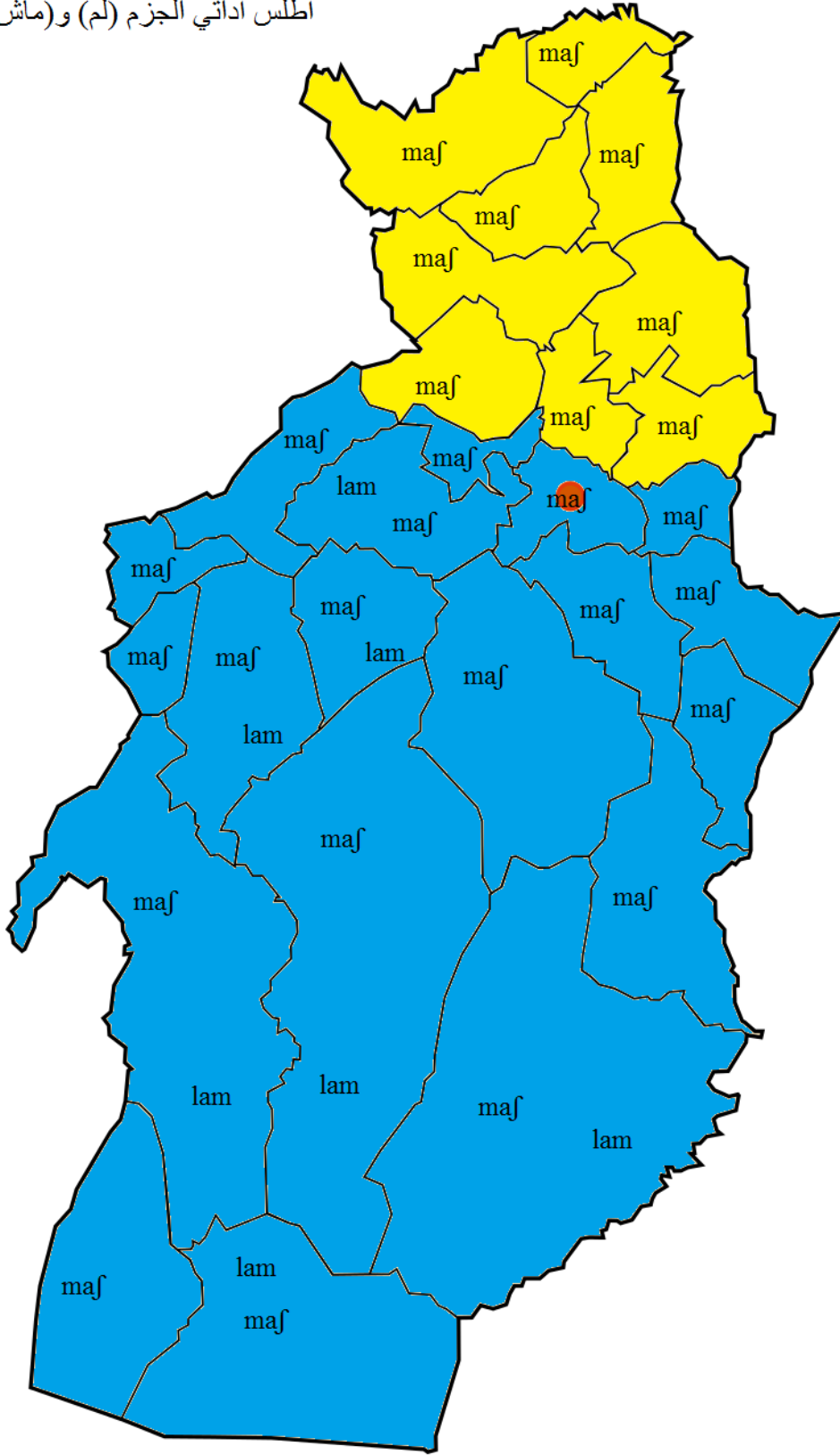
أطلس لغوي رقم 29

أطلس استعمال (تا) و(تان)



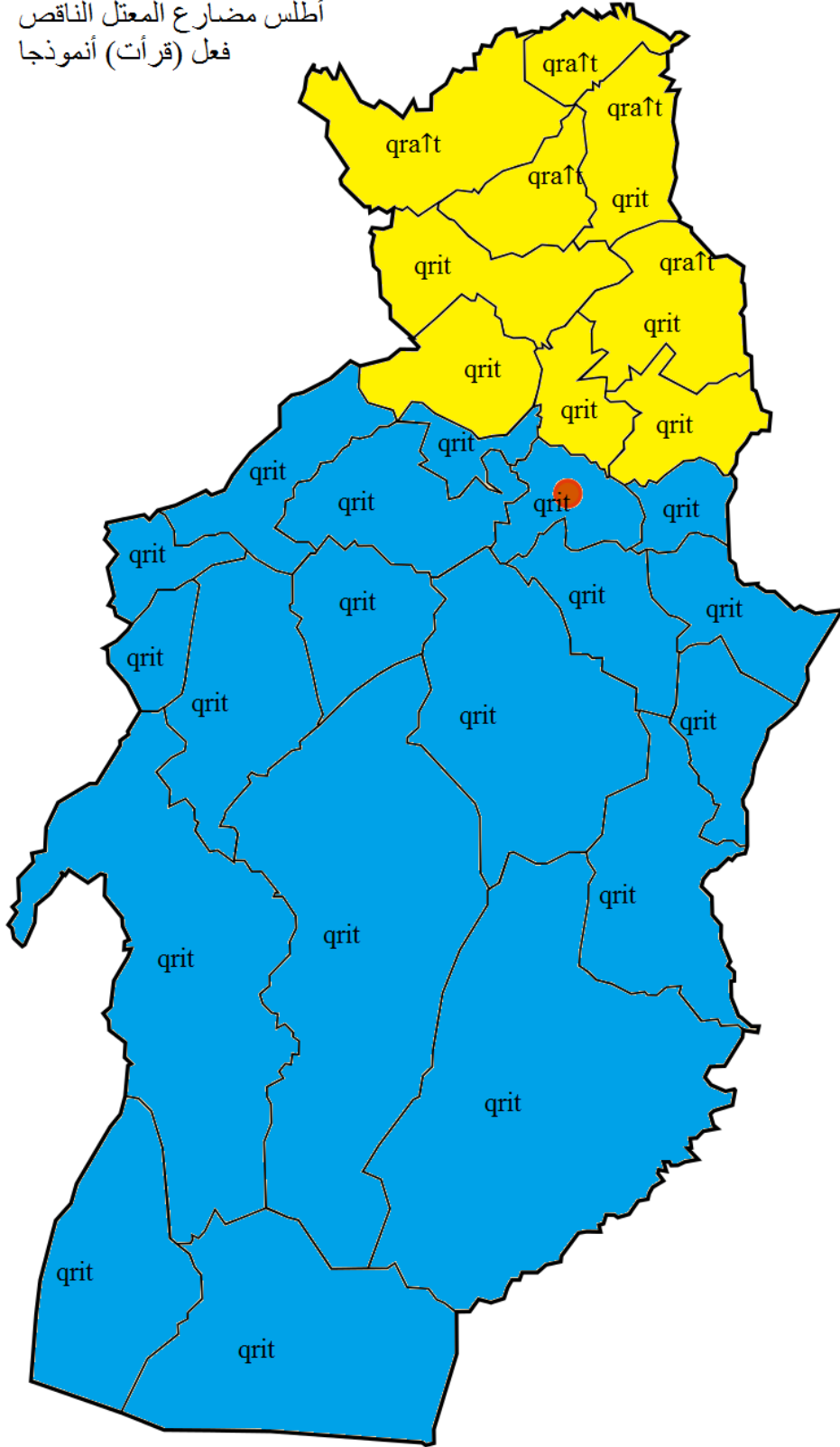
أطلس لغوي رقم 30

أطلس أدوات الجزم (لم) و(ماش)



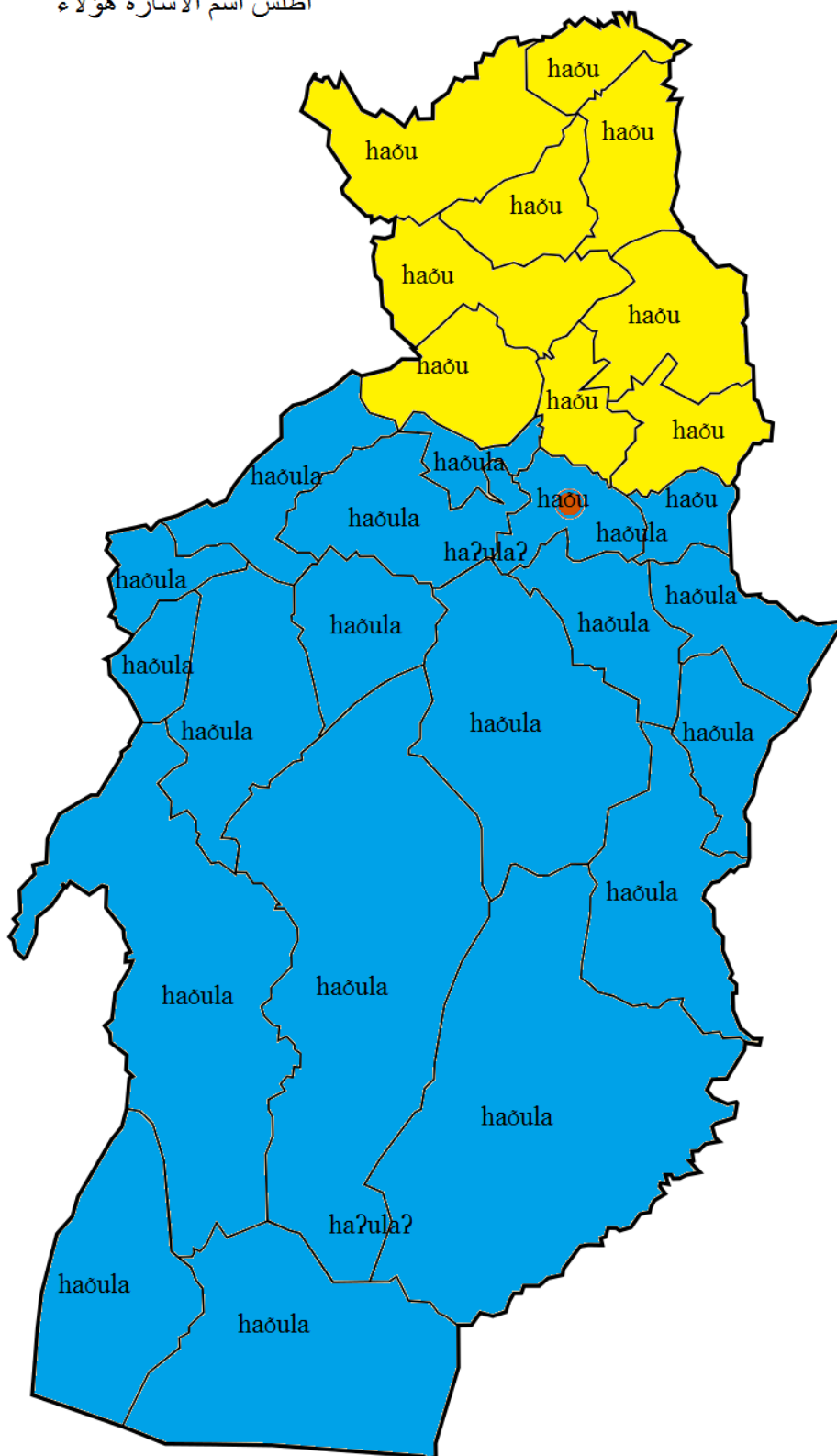
أطلس لغوي رقم 31

أطلس مضارع المعتل الناقص
فعل (قرأت) أنموذجا



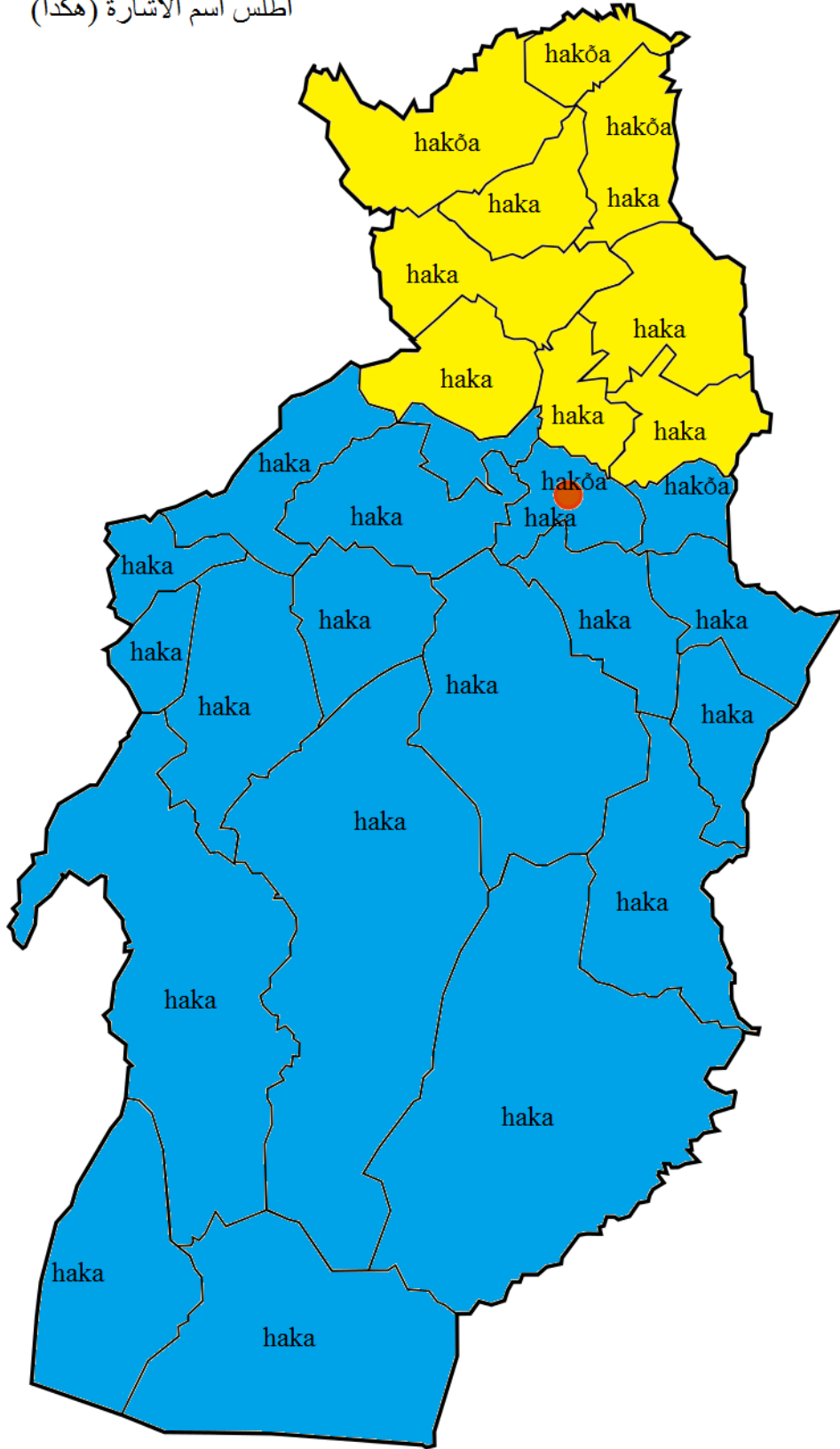
أطلس لغوي رقم 32

أطلس أسم الإشارة هؤلاء



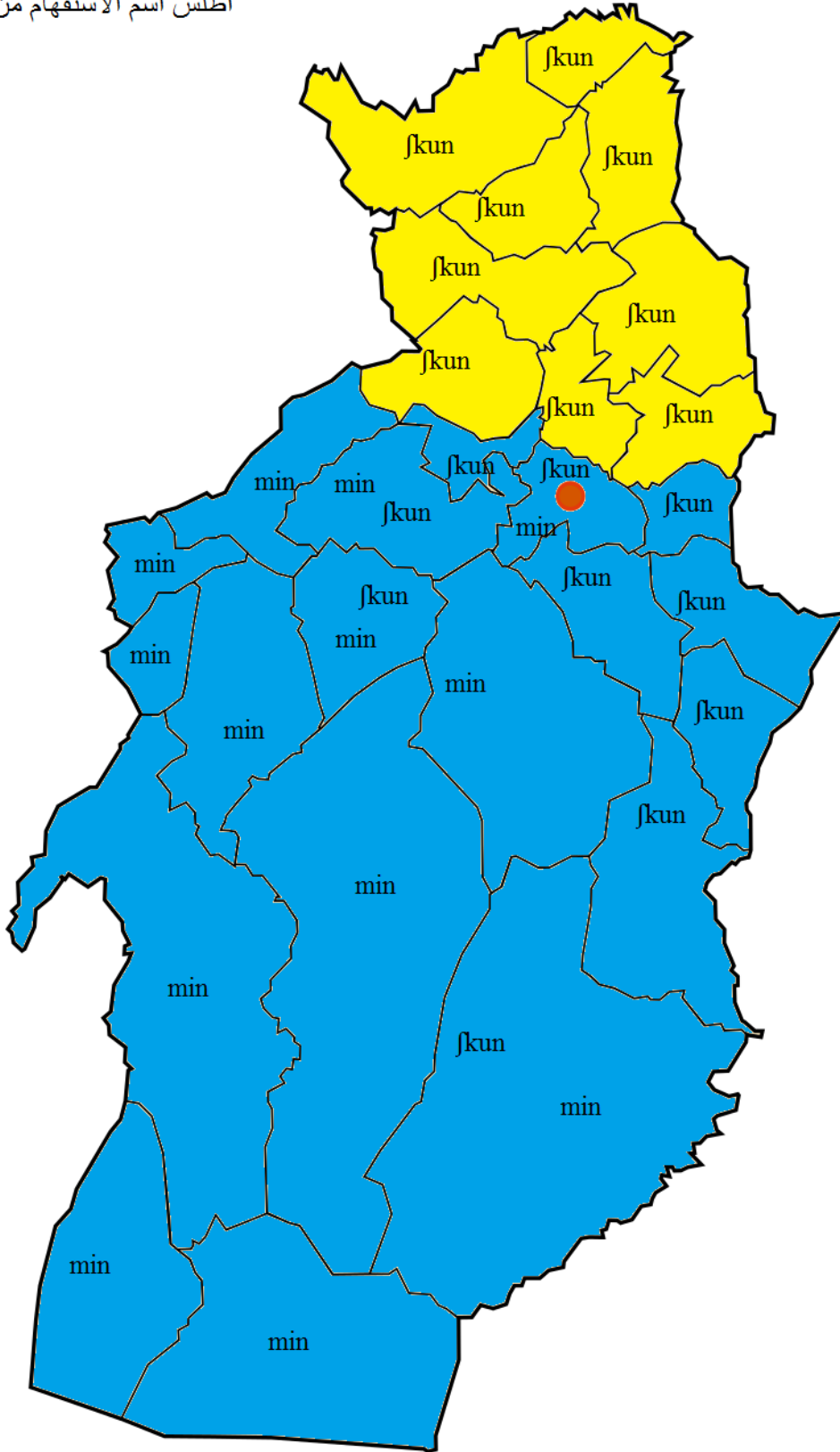
أطلس لغوي رقم 33

أطلس اسم الإشارة (هكذا)



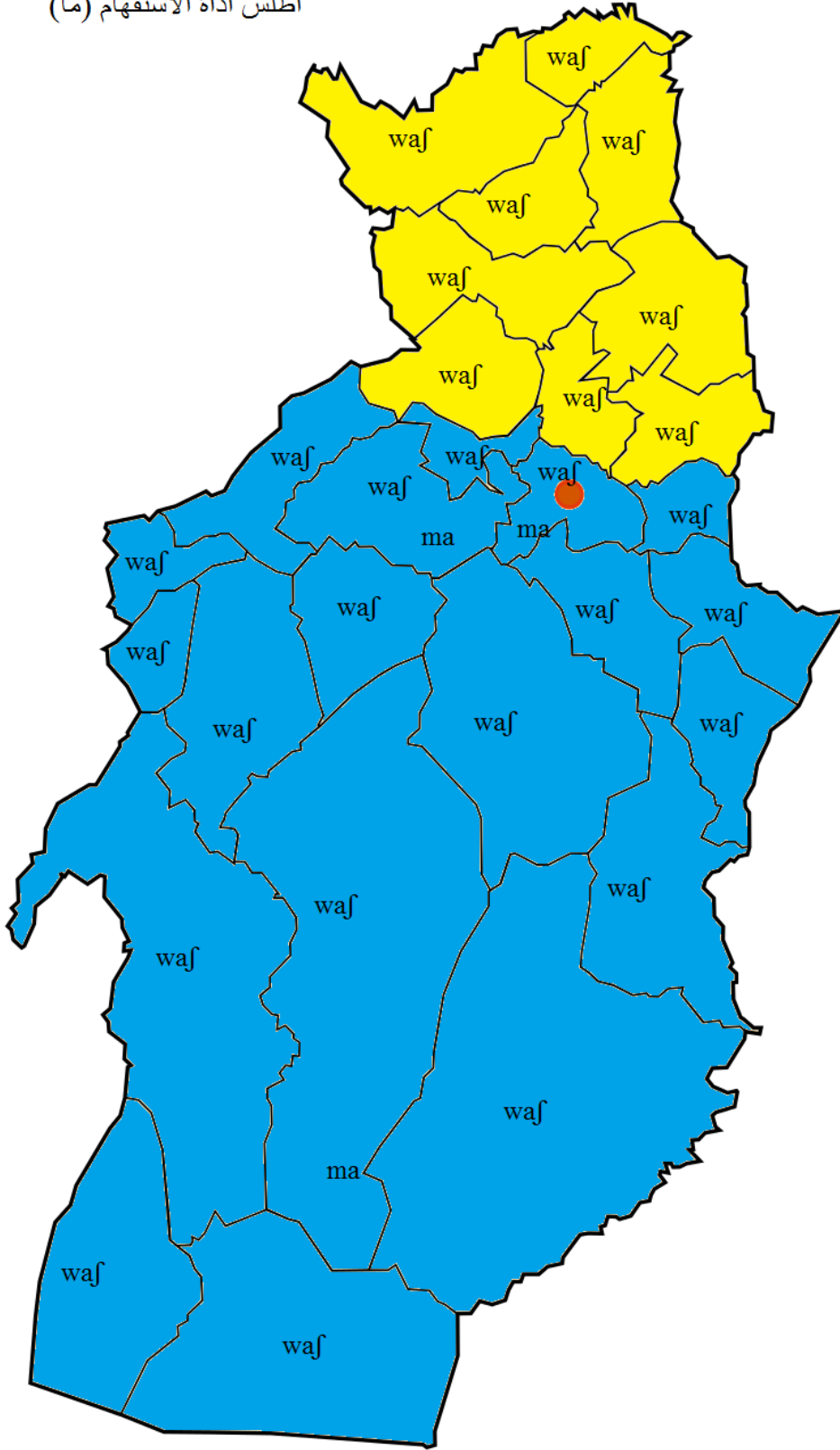
أطلس لغوي رقم 34

أطلس اسم الاستفهام مَنْ



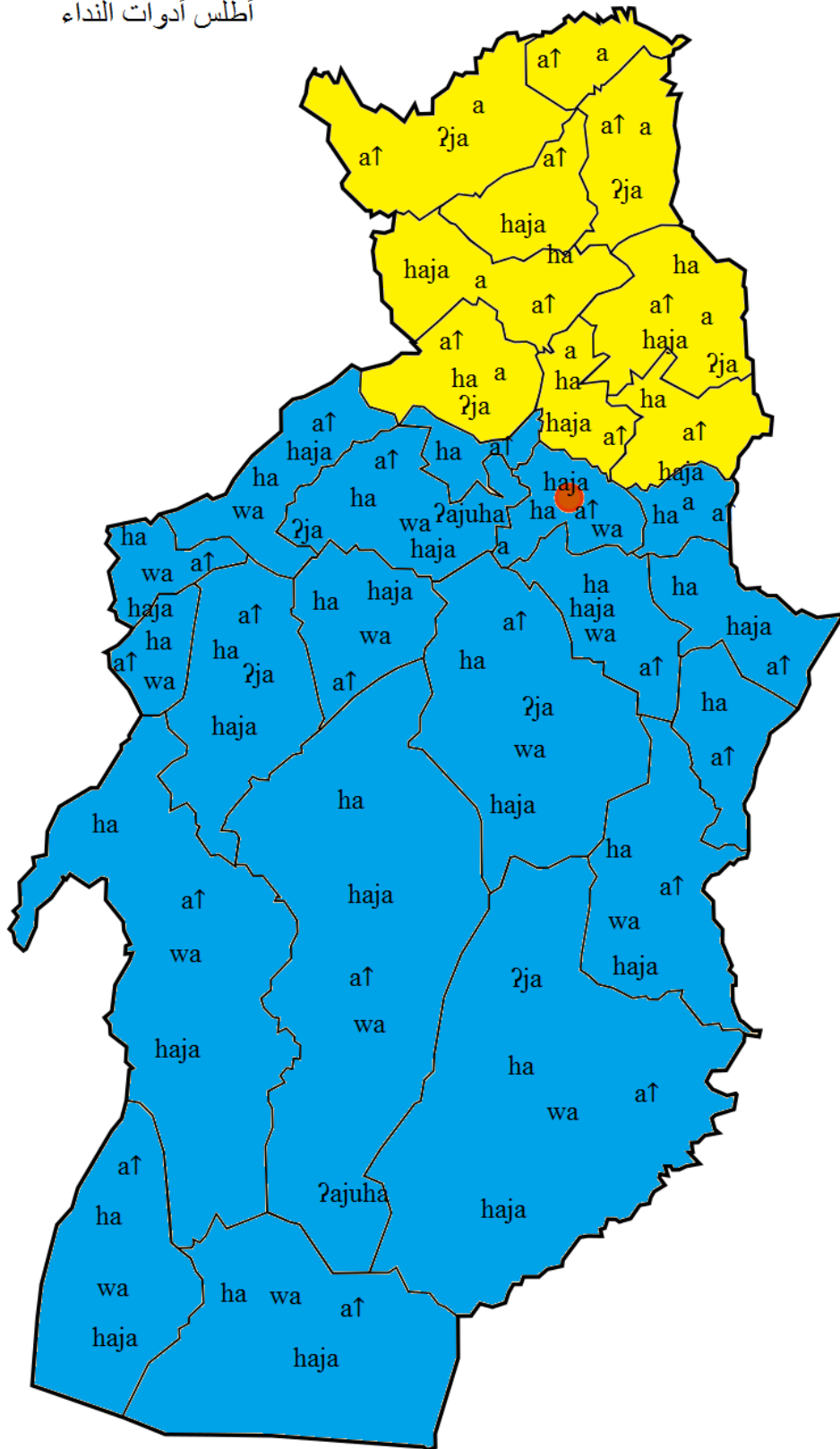
أطلس لغوي رقم 35

أطلس أداة الاستفهام (ما)



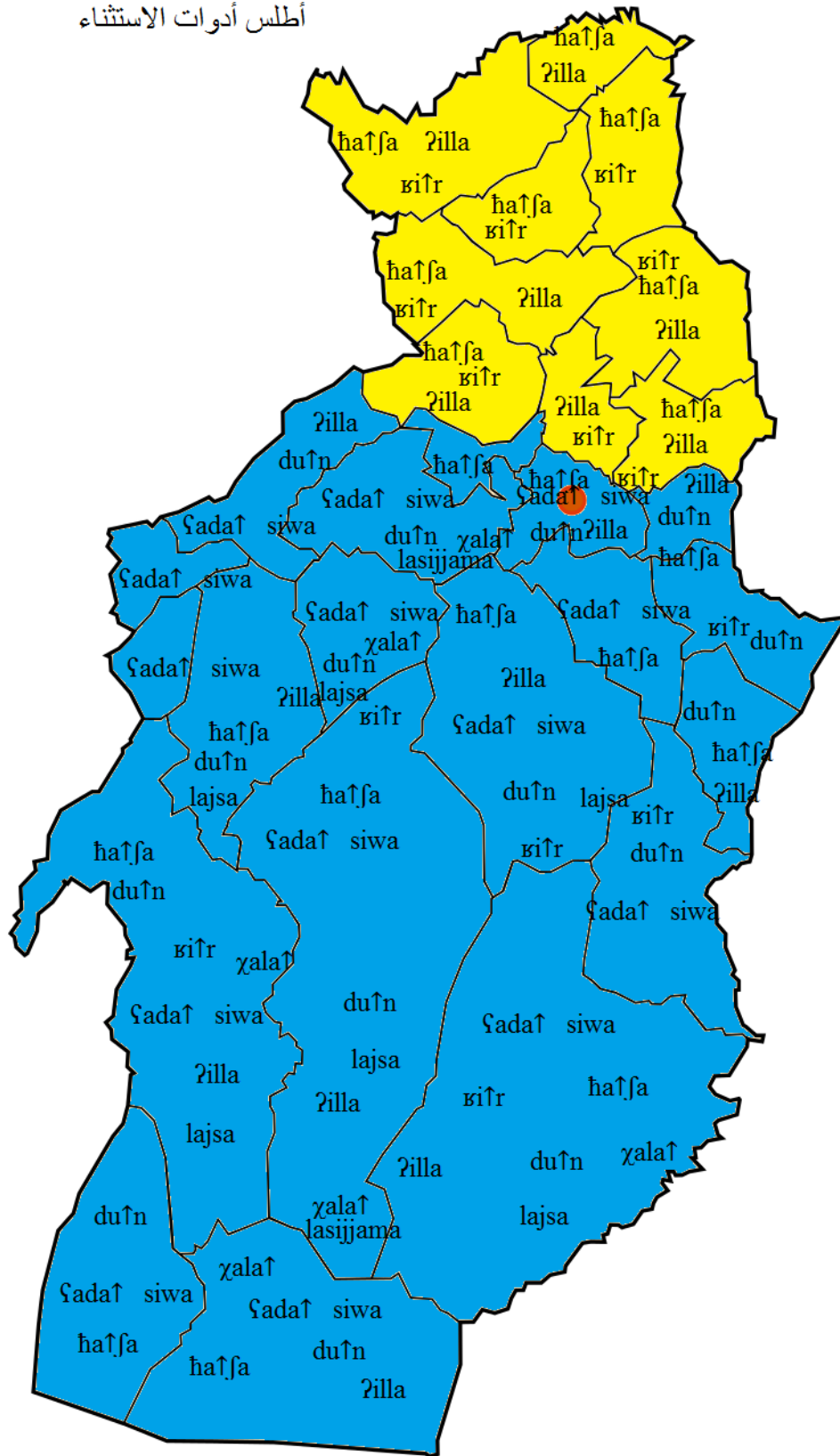
أطلس لغوي رقم 36

أطلس أدوات النداء



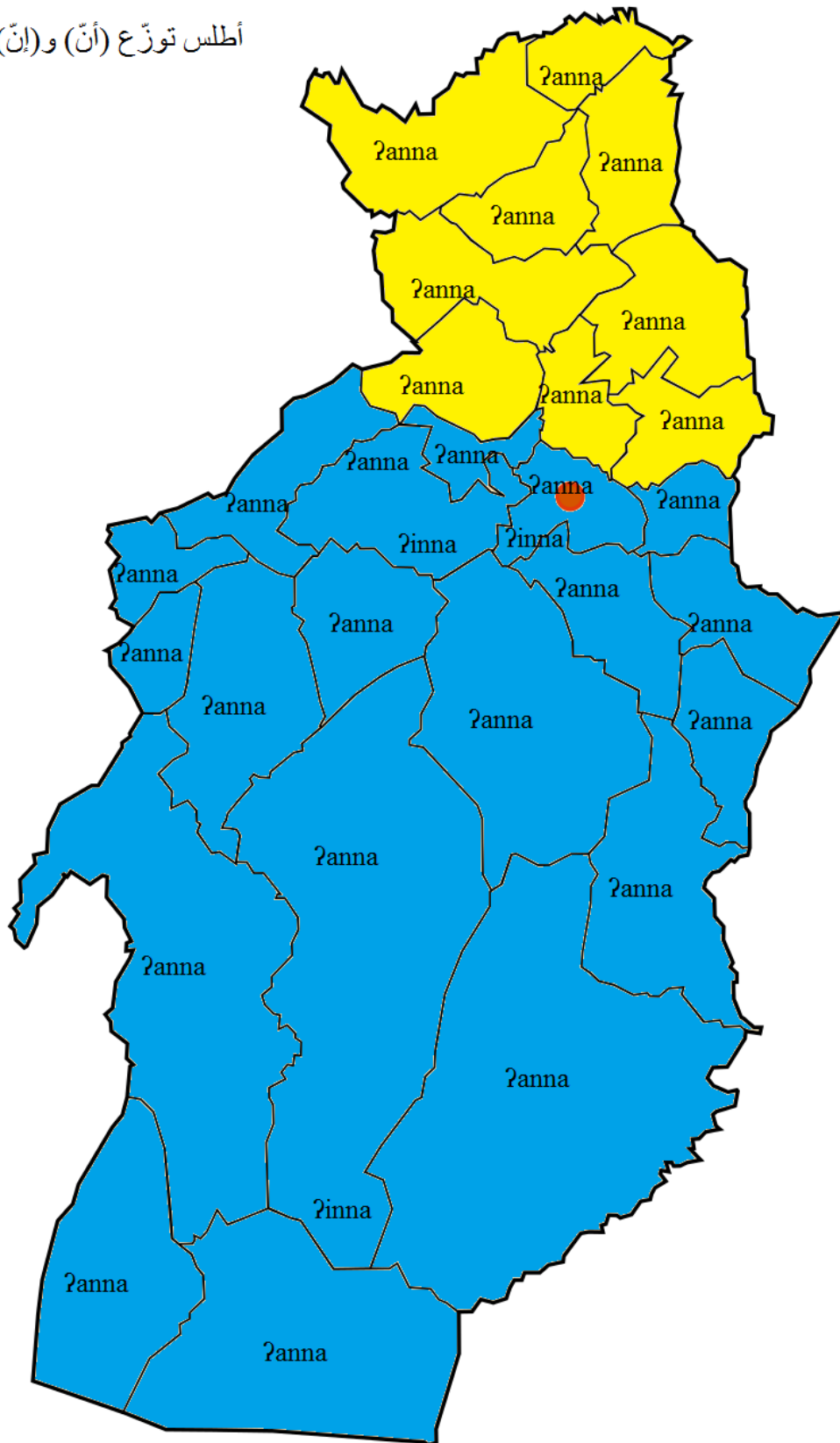
أطلس لغوي رقم 37

أطلس أدوات الاستثناء



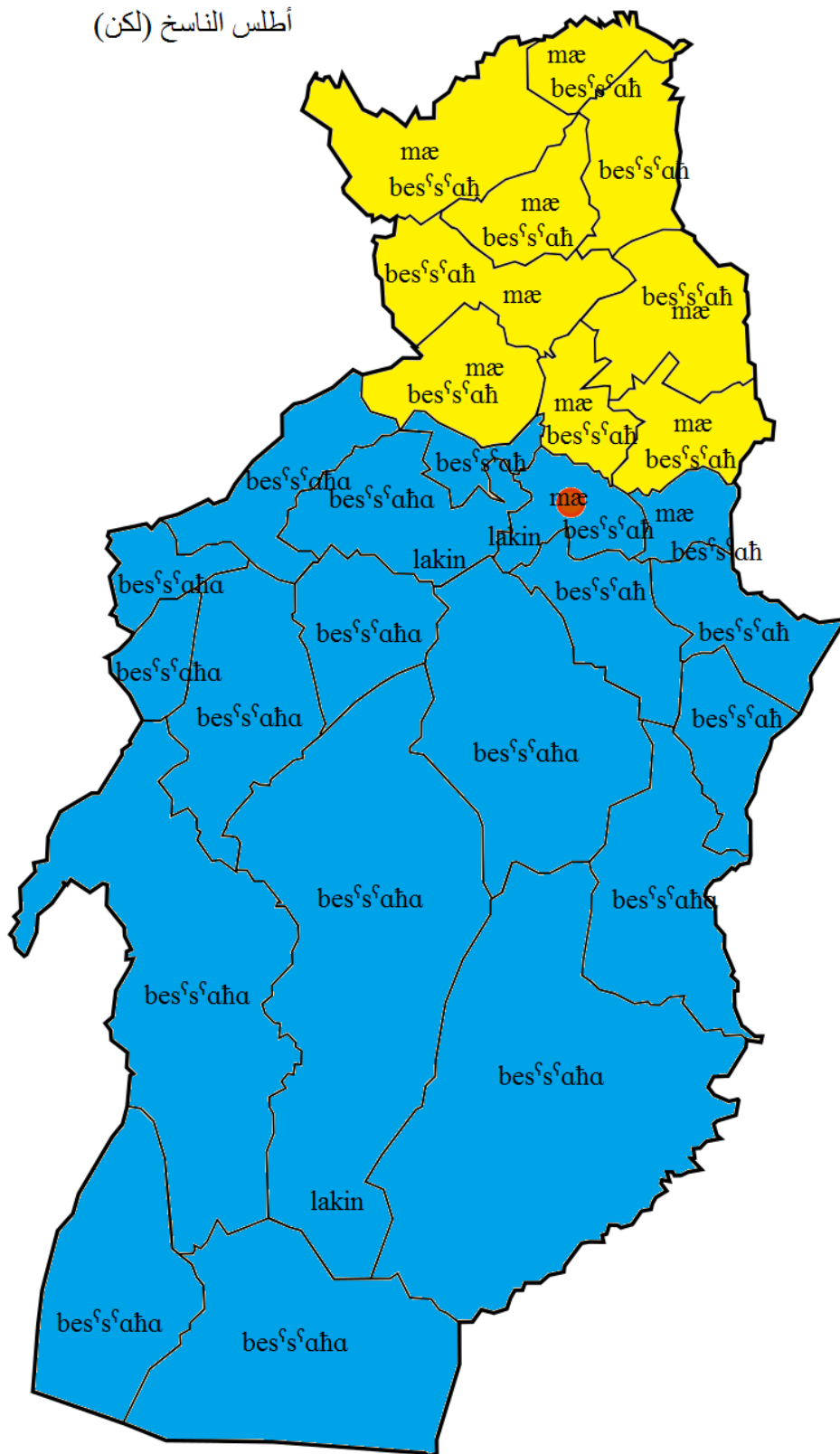
أطلس لغوي رقم 38

أطلس توزع (أن) و(ان)



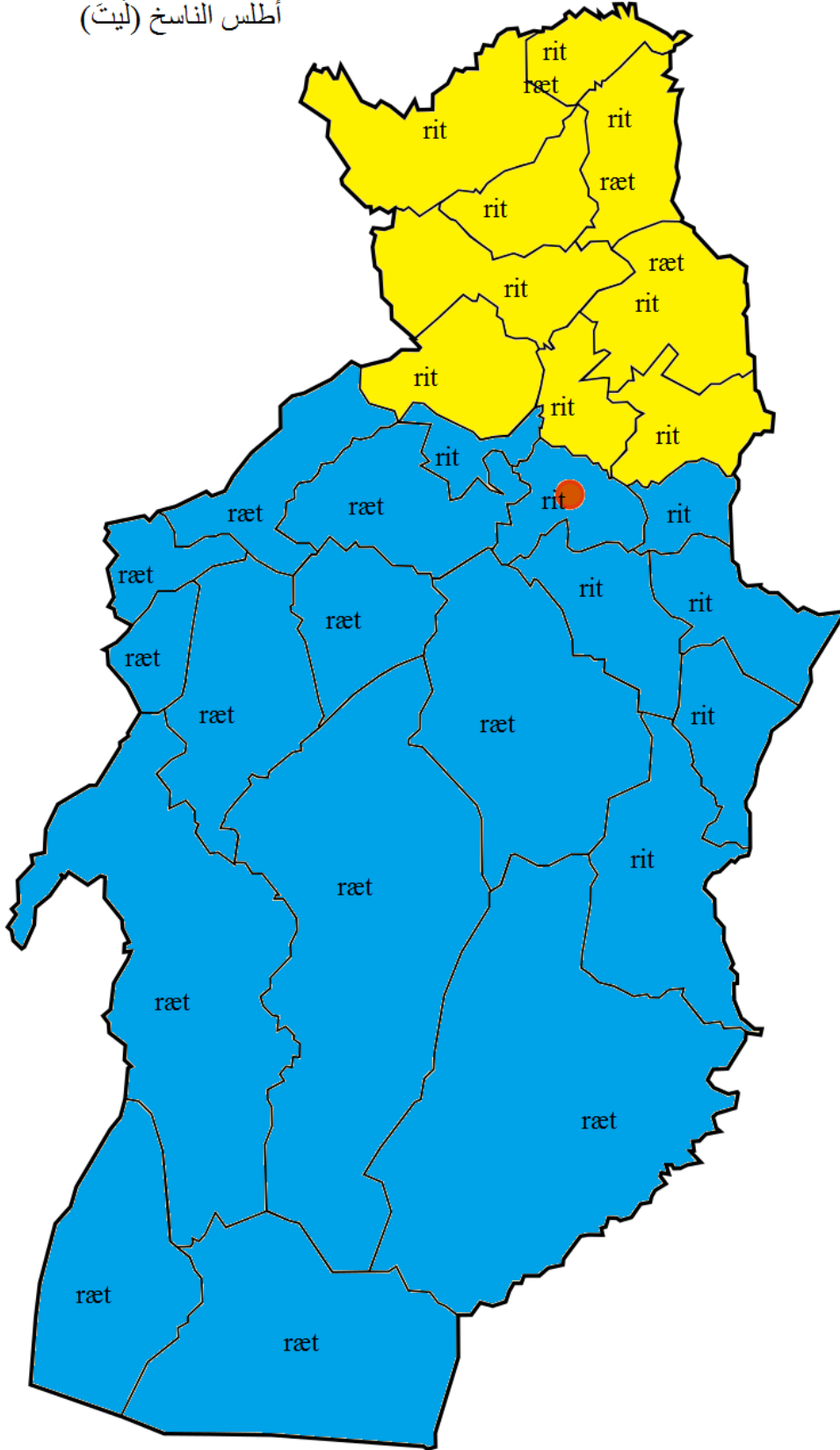
أطلس لغوي رقم 39

أطلس الناسخ (لكن)



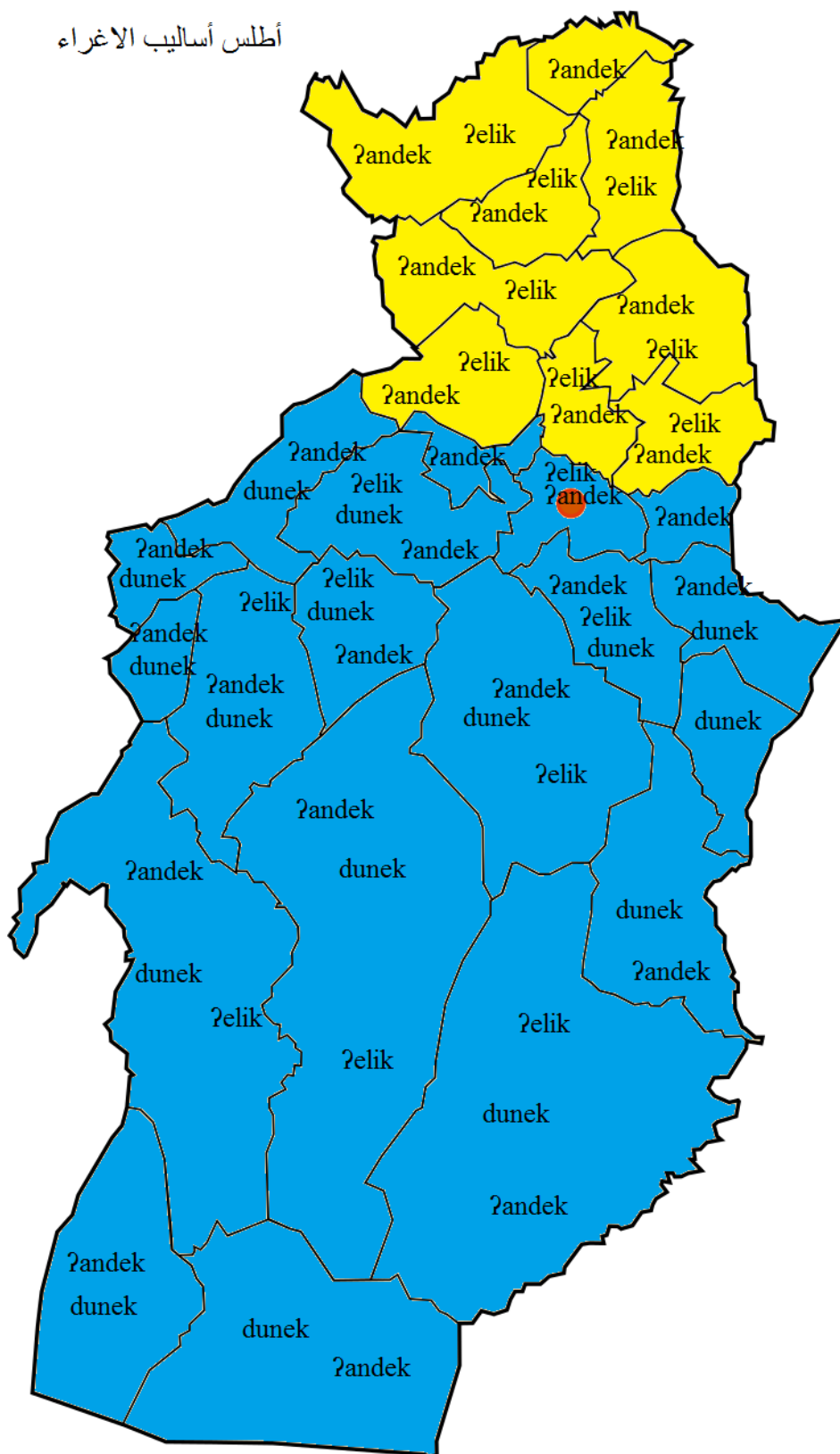
أطلس لغوي رقم 40

أطلس الناسخ (أيت)



أطلس لغوي رقم 41

أطلس أساليب الاغراء



أطلس لغوي رقم 42

تمهيد:

اهتمّ العرب بالنحو منذ البعثة الإسلامية، من أجل حفظ القرآن الكريم من اللحن والتّحريف، واشتغل اللغويون القدماء على التّقييد للنحو العربي، بالحفاظ على صحّة حركات وأواخر الكلم، وهذا ما عمل عليه أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) أوّل الأمر، ومع مرور الزّمان تطوّرت الصّناعة النّحوية عند العرب، من خلال اتّباع منهج آخر، غير الاعتماد على القرآن الكريم فقط، بل ارتحل اللغويون إلى البوادي والقفارات العربية، لتدوين لغات ولهجات القبائل العربية الصّاربية في البداوة، التي لم تختلط بالأعاجم كثيرا وحافظت على نقاء ألسنتها، فكانت تلك العملية وصفية بامتياز حيث تمّ استقراء لغة العرب وتصنيفها والتّقييد لها، وتجنّب الفاسد من القول والكلم، وقد اكتملت صورة النّحو العربي في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، بينما لم تحافظ الأجيال التي تلتها على تلك الصورة، إذا دخل المنطق والفلسفة والتأثر بالحضارة الغربية والشرقية، في الفكر العربي في مختلف الجوانب والأبعاد، فطال النّحو العربي كثيرًا من هذه الأفكار، كالتدقيق في التعاريف، والإكثار من التّأويل، وتوظيف المنطق بكلّ قضية نحوية.

وفي العصر الحديث صار العرب يعتمدون على النظريات الغربية، كالتّحو الوظيفي، والنّحو التّوليدي التّحويلي وغيرها، وصار للدراسة النّحوية آليات مختلفة، تختلف حسب نوع المقاربة والمنهج المتّبع، وفي الجغرافيا اللغوية التي تركّز على ما اختلف من خصائص لسانية لكل لهجة، فإنّنا عادة لا نجد اختلافات بين اللهجات في الخصائص النحوية، إلا ما ندر منها، لذا كان من الأولى الإشارة إلى الخصائص المشتركة بين اللهجات، وتوثيق ما اختلف منها وما سجّله الأطالس اللغوية.

وقبل هذا وجب أن نقف على بعض المفاهيم الأولية، التي تخصّ هذا المستوى من

الدراسة، ومنها:

مفهوم النّحو:

لغة: جاء في كتاب العين: «النّحو: القصد نحو الشيء. نحوثُ نحوه، أي قصدت قصده.»¹ فهو بهذا المعنى اللغوي يعني العمْد والاتباع.

اصطلاحاً: يرى ابن السّراج أنّ النّحو «إنّما أُريد به أن ينحو المتكلّم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدّمون فيه من استقراء كلام العرب.»² أي أنّ القواعد التي وضعها اللغويون الدّارسون للغة العرب، من أجل تعلّم تلك اللغة لغير النّاطقين بها، وهو علم «يُبحث فيه عن أحوال الكلمة العربية، إفراداً وتركيباً.»³ فالنّحو علم يقارب الكلمة العربية إن كانت مفردة أو داخل جملة، ويُعنى بحركات أواخر الكلمات وما يترتّب عنها من معنى، وما تؤثر به في السّياق وتغييره، ووظيفة الكلمة في الجملة ودورها.

مفهوم الإعراب:

لغة: الإعراب من «أعرّب الرّجل: أفصح القول والكلام.»⁴ فهو من الإفصاح والتّبيان والإيضاح.

اصطلاحاً: يرى الفارسي أنّ الإعراب هو «أن تختلف أواخر الكلم لاختلاف العامل مثال ذلك، هذا رجلٌ، ورأيتُ رجلاً، ومررتُ برجلٍ، فالآخر من هذا الاسم قد اختلف بإعتقَاب الحركات عليه، وإعتقَاب هذه الحركات المختلفة (على الأواخر)، إنّما لاختلاف العوامل التي

¹ الفراهيدي الخليل بن أحمد، ص 201.

² ابن السّراج أبي بكر، الأصول في النحو العربي، تح: عبد الحسين القتلي، ج1، ط3، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1996، ص 35.

³ ابن جماعة عز الدّين أبي عبد الله، إعانة الانسان على احكام اللسان، تح: رياض منسي العيسى، مجلة الوعي الاسلامي، ع132، الكويت، 2017، ص 24.

⁴ الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج3، ص 123.

هي هذا ورأيتُ والباء في مررت برجلٍ، فهذه عوامل كل واحد منها غير الآخر.¹ فهو يرى أنّ الإعراب هو تلك الاختلافات الظاهرة في أواخر الكلمات، التي تتسبب بعوامل تختلف هي أيضاً، فتؤثر في أواخر الكلمات، ويثبت ابن جماعة ما أورده الفارسي ويوضح أنّ الإعراب هو «تغير في آخر الكلمة يجلبه العامل. وهو ما بهي تقوم المعنى المقتضى.»² فهو هنا يؤكد أنّ ذلك التغير الذي يطرأ على آخر الكلمات، يراد به معنى مقتضى، فلتلك الحركات المتغيرة دلالة نحوية تؤثر مباشرة في المعنى العام للجملة، ويقابل الإعراب البناء، فالإعراب «هو اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل، والبناء لزوم أواخره بحركة أو سكون، وألقاب الإعراب والبناء ثمانية، أربعة للإعراب، وأربعة للبناء، فألقاب الإعراب: رفع، ونصب، وجرّ، وجزم، وألقاب البناء: ضمّ، وفتح، وكسر، ووقف.»³ ويوضح الإعراب المكانة النحوية والدلالية لكل كلمة في الجملة، وعليه يعتمد علم النحو، لكنّ العرب قاطبة لهذا العهد لا تثبت الحركات الإعرابية في لهجاتها، ولا تنطقها أبداً، بل تعتمد على الوقف في آخر كل كلمة، وهذا لأسباب عديدة ومختلفة، وكذلك فإنّ لهجات تبسة جميعها لا تستخدم الحركات الإعرابية في أواخر الكلم، إلاّ فئتين اثنتين من المستعملين اللغويين، فئة اجتماعية وهي فئة المثقفين الذين يستخدمون الحركات الإعرابية باحتشام في خطاباتهم العالية، وفئة إثنية هي قبيلة التكاكة التي تثبت الحركات الإعرابية كما هي في اللغة العربية، في تداولها للغة أثناء تواصلهم فيما بينهم، وإن كانت تختلط باللهجة المحلية لكنّ الحركات الإعرابية واضحة في لسانهم.

¹ الفارسي ابن علي الحسن بن أحمد النحوي، الايضاح، تح: كاظم بحر المرجان، ط2، عالم الكتب، مصر، 1996، ص: 73.

² ابن جماعة عزّ الدّين أبي عبد الله، ص 24.

³ الأنباري أبي البركات، ميزان العربية، صنعة أبي البركات الأنباري، تح: عبد الله بن محمد السديس، مجلة الدراسات اللغوية، مج19، ع3، السعودية، 2017، ص 214.

3_1_1_ الجملة والأفعال:

3_1_1_3_ الجملة الاسميّة:

تتميّز اللهجات في ولاية تبسة، دون تمييز بينها بأنها تستخدم الجمل الاسميّة لكلّ غرض، إلّا في حالات معيّنة، فنجد استعمال الجمل الاسميّة التي أصلها جملا فعليّة كقولهم: عمّار رقد الليل كامل البارح، وأصلها: رقد عمّار الليل بأكمليه البارحة. وعلى هذا يمكن قياس كلّ كلامهم ولا نجد أيّ اختلاف بين اللهجات.

ونجد الجمل الاسميّة التي تتكوّن من مبتدأ وخبر، فنجد التي مبتدأها اسم علم مثل: مُراد خدام. ونجد التي مبتدأها ضميرا مثل: أنت الصّاحب. والتي مبتدأها اسم إشارة مثل: هذا فؤاد. وغيرها.

كما نجد التي خبرها اسما موصولا مثل: محمّد لي جا. والتي خبرها شبه جملة كقولهم: السروال فالخزانة. والتي خبرها ضميرا منفصلا مثل: هذا أنت، وغيرها من الأضرب والأمثلة، ولا نجد ما يختلف فيه المستعملون اللغويون في تبسة.

3_1_2_2_ الجملة الفعلية:

تأتي الجملة فعليّة في لهجات تبسة دونما اختلافات بينها، إلّا عند قبيلة التكاكة التي تتكلم الفصحى فيما بينها، وتكون الجمل الفعلية في لهجات تبسة في الحالات التالية: للإخبار كقولهم: راح الضوّ، جا الماء، مات فلان...، وتأتي للاستفهام بتوظيف النبر والتّغيم كقولهم: رجعوا الرّجالة؟ ولا يقولون رجع الرّجالة، بل يوظفون لهجة طيء المعروفة بلغة أكلوني البراغيث. وتأتي للنفي والنهي كقولهم: ما راحش للمدرسة، ما تقرّش من النّار... وغيرها.

بينما الجُمْل الفعلية المنفيّة يطرأ عليها تغيير، فأدوات النّفي التي تنصب وتجزم تتغيّر، فبدلاً من (لا) النّاهية والنّافية أيضاً نجد: (مَا) التي ترافقها اللّاحقة (ش) و(شي) في آخر الفعل، كقولهم:

مَا رَقْدَشُ الْبَارِحِ، أصلها: مَا رَقَدَ شَيْءٌ الْبَارِحَةَ. ونجد كسر الشّين أو ايضاً الكلمة (شي) في لهجة الأعراب لكلّ من اللهجتين اللموشية واليحياوية¹، فنجد هذا الاستعمال في بادية بوخضرة وعين الزّرقاء والمريج وعين الفضة وبئر الذهب وأعمال مرسط، ونجده في الشّريعة وبئر مقدم ونقرين وبجّن والمزرعة وفركان وبئر العاتر وجميع بلديات الجنوب خاصّة قفاراتها، بينما تسكين الشّين (ش) في مدينة تبسة، والحّمّات وبكارية والكويف وونزة والعوينات ومعظم الحواضر².

ويبدلون (لن) بـ (ماش) عند الحواضر التي تنطق (ش) من قبل، و(مَاشِي) في الأقاليم التي ذكرناها آنفاً، كذلك في حالة الفعل المضارع فلا يكتفون باللّاحقة بل يضيفون سابقة للفعل المضارع، عبارة عن فعل ماضٍ، كقولهم: مَاشَ رَاحَ يَقْبِضُ مَالُو. وأصلها: لَنْ يَقْبِضَ مَالَهُ، وسبب هذا التّغيير هو اختلاط العرب بالأعاجم، الفرس والتّرك والحبش والقبط والبربر وغيرهم، وكما أثر العرب في العجم تأثر العرب بدورهم، فأخذوا استعمالاً لغويّة ليست من نحو العرب، لدروجها بين المسلمين عبر العصور.

والفعل (راح) يستعمل مع النّفي ومع الاستفهام أيضاً، وتختلف الاستعمالات هنا بين اللهجات في تبسة، ففعل (راح) هذا يستعمل عند الجميع دون استثناء إذا أرادوا النّفي في الجمل وما كان مثله، لكن نجد الفعل (دار) من مصدر (الإدارة) عند بدو اللمامشة وأولاد يحيى والفراشيش وأولاد عبيد الشّريف والزّغالمة، هذه القبائل التي تشكّل السّكان الأصليين لولاية تبسة، وإذا تعمّقنا في القفارات عند الرّحل منهم خاصّة اللمامشة (الجلامدة وأولاد

¹ ينظر التسجيل الصوتي رقم 19.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 28.

حميدة وأولاد مسعود ومن استعرب تماما من الزرادمة وأولاد سعد والشوامخ والزراممة وأولاد (المحبوب) فسجد تفخيما لحدّ قلب ألف المدّ واوا فتكون (دور)، كقولهم: ماشي دُورُ نباتٌ هنا¹.

والفئة نفسها تستعمل الكلمتين (ت) و(تَان) في هذه الحالة، كقولهم: ماش ت نَبَيّ الليل كامل، و: ماش تَان نعاود ليك الهدرة، فأما (ت) و(تَان) فأصلها: (حتّى) و(حتّى أن)، وقد وظّفتا في غير محلّهما، ونجد (ت) في تبسة المدينة والحمامات وبكارية، وكذا الكويف وونزة والعوينات، وبئر الذهب وعين الزرقاء وغالبية منطقة أولاد يحيى، بينما (تَان) هذه فهي خاصّة أعراب اللمامشة وأولاد عبيد الشريف ممن يعيشون بدوا على تربية الماشية ومنهم رحّلا².

ويبدّلون (لَمْ) ب: (مَا) + (ش) + (فعل ماضٍ)، أي أنّ الفعل المضارع يصبح ماضيا إذا جُزم، كقولهم: مَا كَتَبْتُ الدرس وأصلها: لَمْ يَكْتُبِ الدرس. وعلى هذا المنوال جميع كلامهم، بيد أنّ بعض العرب من أهل الجنوب التّبسي، ممن لم يتخالطوا بالحضارة، ينطقون (لَمْ) كما هي في الفصحى ويثبتون الفعل المضارع أيضا كقولهم: لَمْ يَسْجَعْ وَ يَجْبِي، أي: لَمْ يَتَسَجَّعْ وَيُطِلُّ. هذا عند عمائر بمنطقة الغنجاية من قبيلة أولاد حميدة، وعند الجلامدة في الخنّورة وقفارات بوموسى بثليجان وصحاري نقرين وقفارات العقلة، وعند أولاد عبيد الشريف في البوادي النائية ببئر العاتر فيما يسمّونه بالعرعور³، ويغيّرونها أحيانا ب (لَمّا) كعادة العرب قديما.

ويستعمل جميع سكان ولاية تبسة (كلّا) للنفي الذي يراد به الاستثناء، فيقولون: نروح للعرس كلّا كان طرأ طارئ. وهذا استعمال عامّ عند جميع المستعملين اللغويين.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 29، والتسجيلان الصوتيان رقم 20 و21.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 30، والتسجيلان الصوتيان رقم 22 و23.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 31.

3_1_3_ الأفعال:

أ_ من حيث الزمان: لا تكون الأفعال في لهجات تبسة موافقة لما تكون عليه في الفصحى، إلا في زمان الماضي، كقولهم: راح للسوق، قتل نفس، باع الدار... وفي مثل هذه الحالات يثبت جميع أهل تبسة الحركة الإعرابية للأفعال إذا لم تكن بعدها حروف جر أو نواسخ أو غيرها وارتبط الفعل مباشرة بالمفعول دونما فواصل بينهما.

ولا تبقى الأفعال على حالها مع ضمائر معينة، فنجد في المثني إهمال ألف المثني الدالة عليه، واستبدالها بواو وألف الدالتان على الجمع، كقولهم: أنتما: شبعنوا، بدلا من شبعتما، وهما: شبعوا، بدلا من شبعنا.

وكذلك في جمع المؤنث فإن الفعل يصاغ لجمع المذكر كقولهم: أنتن: رجعتن، بدلا من رجعتن، وهن: رجعن بدلا من رجعن.

بينما ينفرد المستعملون اللغويون بوزنة وضواحيها، بالشكل النحوي الذي يختلف عما دونهم من باقي سكان الولاية، فهم في المعتل ناقص بما ضم إليه من لفيف مقرون ومفروق، مع الغائبة المفردة وجمع الغائبين، يدخلون التغيير على الأفعال كقولهم: هي قرات وتهنات، بدلا من: هي قرّ وتهنّت. ويقولون: هوما جاؤ وبقاؤ مدة من زمان (الجمع المذكر وجمع المؤنث)¹.

بينما الفعل المضارع نجد أنه يتعرض للتغيير، فإذا لم يجزم، فيبقى على حاله كما هو في الفصحى، كقولهم: يروح أيمن للحانوت، يوكل وحدو، وغيرها من الأمثلة، لكنه إذا جزم صار فعلا ماضيا كما سبق ذكر ذلك في الجملة الفعلية المنفية، كقولهم: ما راحت أيمن للحانوت، ما كلاش وحدو، وغيرها.

¹ ينظر الاطلس اللغوي رقم 32.

ويتأثر الفعل المضارع في لهجات تبسة كما تأثر الفعل الماضي، فالألف والنون في المثني تهمل تماما، وكذلك الواو والنون، ويُستبدلون بواو وألف لكل من المثني والجمع، ولكل جنس مذكر ومؤنث، كقولهم: أنتما: تكتبوا، بدلا من تكتبان، وهما: يكتبوا بدلا من يكتبان وتكتبان، وأنتم: تكتبوا بدلا من تكتبون، وأنتن: تكتبوا بدلا من تكتبن، وهم: يكتبوا بدلا من يكتبون، وهن: يكتبوا بدلا من يكتبن.

ويفعل أهل ونزة وضواحيها بالمعتل الناقص في المضارع، ما يفعلونه به في الزمان الماضي، مع المثني وجمع المذكر والمؤنث، فيقولون: يمشيو، يبقاو، يقضيو وغيرها من الأمثلة، وهذه الواو دلالة على الجمع.

وأما أفعال الأمر، فمنها ما يبقى على حاله كما هو في لغة العرب الفصحى، ومنه ما يتعرض للمطل في حركاته أو قلبها، فأما الأفعال الصحيحة فتبقى كما هي كقولهم: اذهب، اكتب، لم (أي اجمع)، دحرج، هز، ارفع وغيرها، بينما الأفعال المعتلة فيطرا على أغلبها التغيير، ففي المثال نجد مثلا: وعد، عد، وعندهم: أوعد بزيادة ألف مضمومة ممدودة، بينما في فعل مثل: ييسر، فيبقونه كما هو.

وجمع المؤنث في فعل الأمر يدكر دوما، كقولهم: أنتن: امشوا بدلا من امشين، وكذلك المثني يصاغ بصيغة الجمع، كقولهم: أنتما: امشوا بدلا من امشيا.

وفي الفعل الأجوف يتم مطلق حركة فاء الفعل حتى تصبح مدا واضحا، كقولهم بدلا من: قل، بع: قول، بيع. لكن الفعل المعتل الناقص لا يطرأ عليه تغيير البتة، كقولهم: أقض، امش وغيرها، وبالنسبة للفيف المفروق فيزيدون أيضا الألف المضمومة الممدودة التي تدل على فعل الأمر، كقولهم بدلا من: ق، ع: أوق، أوع. وأما اللفيف المقرون فيبقون فعل الأمر على ما هو عليه كقولهم: ارو، انو، ر... وغيرها، ولا نجد أي اختلاف بين لهجات أهل تبسة في هذا الاستعمال اللساني. أما المبني للمجهول فقد ذكر سابقا في المستوى الصرفي.

ب_ من حيث الجنس والعدد: وتأتي الأفعال في لهجات تبسة على هذا النحو بالنسبة لجنس الفاعل:

أنا: فَعَلْتُ، نحنُ: فَعَلْنَا، أنتَ: فَعَلْتَ، أنتِ: فَعَلْتِ، أنتما: فَعَلْتُمَا، أنتنَّ: فَعَلْتُمَا، هو: فَعَلَ، هي: فَعَلَتْ، هما للمذكر والمؤنث: فَعَلُوا، هم: فَعَلُوا، هنَّ: فَعَلُوا. وهذا بالنسبة للفعل الماضي، حيث يتم تأنيث فعل المخاطب المذكر دون تأنيث الضمير، ويتم تذكير أفعال المؤنث المخاطب مثنى وجمعا، وتذكير أفعال المؤنث الغائب مثنى وجمعا.

وبالنسبة للزمان المضارع: أنا: نَفَعَلْ، نحنُ: نَفَعَلْ، أنتَ: تَفَعَلْ، أنتِ: تَفَعَلِي، أنتما للمذكر والمؤنث: تَفَعَلُوا، أنتم: تَفَعَلُوا، أنتنَّ: تَفَعَلُوا، هو: يَفَعَلْ، هي: تَفَعَلْ، هما للمذكر والمؤنث: يَفَعَلُوا، هم: يَفَعَلُوا، هنَّ: يَفَعَلُوا، حيث يتم تذكير المؤنث في المثنى والجمع للمخاطب والغائب على حدّ سواء.

وبالنسبة لفعل الأمر: أنتَ: اَفْعَلْ، أنتِ: اَفْعَلِي، أنتما: اَفْعَلُوا، أنتم: اَفْعَلُوا، أنتنَّ: اَفْعَلُوا، حيث يتم تذكير جمع المؤنث في فعل الأمر، على غرار حاله في الماضي والمضارع.

ولا نجد أي اختلاف بين لهجات تبسة، في هذه الحالة من تغيير جنس الفعل بين مذكر ومؤنث، فقط يحافظون على جنس الأفعال كما هي في الفصحى، في أشعارهم الشعبية لما تقتضيه الضرورة الشعرية، وهذا عند قبيلة أولاد عبيد الشريف وأولاد بوقصة وأولاد حميدة، ممن ينظمون الشعر الملحون.

وأما بالنسبة للعدد في الأفعال، فما سبق نرى أنّ المثنى يصاغ بصيغة الجمع، في كل الحالات، ولا نجد استعمالا للمثنى أبدا في لهجات تبسة، حتى عند قبيلة التكاكة التي تتداول العربية الفصحى، فإنهم يستخدمون الجمع بدلا من المثنى كغيرهم من أهل تبسة.

3_2_ الضمائر والأسماء:

3_2_1_ الضمائر المنفصلة والمتصلة:

أ_ المنفصلة: لا يختلف سگان ولاية تبسة في استعمال الضمائر المنفصلة، وتأتي عندهم كما يلي: أنا، نَحْنُ بدلا من نَحْنُ؛ ويستعمل بعض المقلدين لهجة عنابة وغيرها (حنا) وهي غير أصلية في تبسة، أنتَ باختلاس فتحة الألف، أنتِ باختلاس فتحة الألف، أنتم باختلاس فتحة الألف وأنتما بمطل ضمّة التاء بدلا من أنتما وأنتم وأنتنّ، هُوَ، هِيَ، هُومًا بدلا من هما للمذكر وهما للمؤنث وهم وهنّ.

ب_ المتصلة: فأما ضمائر الرفع المتصلة، فقد أهمل جميع سگان تبسة ألف الاثنين ونون النسوة، وأثبتوا واو الجماعة بدلا منهما، كما يثبتون التاء المصاحبة للفعل الماضي كقولهم: جلست، جلست... ويثبتون ياء المخاطبة كقولهم: تجلسي، توكلي وغيرها، وجميع هذه الاستعمات تكون بالنسبة للزمان المعلوم والزمان المجهول أيضا.

وأما ضمائر النصب والجرّ، فإنّ سگان تبسة جميعا لا يثبتون في استعمالهم لها، فيثبتون ياء المتكلم دوما كقولهم: تَعَبْنِي العَمَل، جُونِي خِيُوتِي (للمثنى والجمع مذكّره ومؤنّته)، ويثبتون كاف المخاطب أيضا كقولهم: سَاعَدَك فلان، سَاعَدُوك (للمثنى والجمع مذكّره ومؤنّته).

أما بالنسبة لهاء الغائب فهي مثبتة لكن إذا سبقها أحد الأصوات اللينة (ألف، واو، ياء)، خاصة في صيغة الجمع كقولهم: سَاعَدُوهُ، شَأْفُوهُ، كُلُوهُ.. وفي الصيغ المفردة مثل: حُوهُ، جَاه، فِيهِ. ثمّ إنّها تعوّض بمطل بصائت الضمّة مماثلة، في الصيغ المفردة، وعند اتّصالها بحرف الجرّ (-) كقولهم: عَنْدُو، شَأْفُو، مَشَى لُو، قَالَ لُو.. وغيرها.

وأما الضمير المتصل (نا) فمستعمل كما في اللغة العربية الفصحى، ولا نجد اختلافا بين مستعملي لهجات تبسة في كل منطقة من الولاية، كقولهم: سافرنا، مشى ليّنا، جانا... وغيرها بحالات الرفع والنصب والجرّ.

3_2_2_ الأسماء:

أ_ أسماء الإشارة: يستخدم سكان ولاية تبسة أسماء الإشارة بتباين لا يتضح إلا للمدققين، ويكون الأداء النحوي لأسماء الإشارة كالتالي:

هذا: (هَذَا)، عند جميع السّكان في كل المناطق، هذه: (هَازِي) و(هَازِيَا) كلاهما في جميع المناطق، هؤلاء: (هَؤُوا) في تبسة المدينة وونزة والكويف وعين الزّرقاء ومرسط وما هيمنت عليه قبائل أولاد يحيى، و(هَؤُولَه) في البوادي عامّة وعند اللمامشة وأولاد عبيد الشريف وما سيطرت عليه قبيلة الفراشيش في أم علي وصفصاف الوسرة، و(هَؤُلاء) في استعمال منفرد ونادر عند قبيلة التّكاكة المقيمين في جنوب مدينة تبسة والحمّامات وسفوح تازينت ببئر مقدم، ومنطقة بوموسى بثليجان، وبئر العاتر¹.

هَذَان وهَاتَان: (هَؤُوا) و(هَؤُولَه) كما هي الحال مع هَؤُلاء من قبلها، بيد أنّ التكاكة يستخدمون (هَؤُولَه) و(هَؤُوما)، أولئِكَ: (هَؤُوك) عند جميع المستخدمين اللغويين، ذاك: (ذَاك) و(هَذَاك) باستعمال متساوٍ وموحّد في كلّ بلديات ومناطق الولاية، ذلك: (هَذَاك) عند الجميع ويستخدمون التكاكة (ذلك) كما هي أيضا، ثمّ إنّ هاء التّنبية فيما سبق تقلب في كثير من الأحيان ألفًا.

هَكَذَا: يُختلف في استعمالها كثيرا، فنجد كثيرا ممّن تأثروا بلهجات الوسط الجزائري، ينطقونها (هَكَذَا) بتسكين الكاف، وهذا نجده في تبسة المدينة وونزة والعوينات، وأغلب

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 33.

استعمالها يكون (هكّا) وهو الوقف الظاهر جدّا في لهجة تبسة¹، والوقف ظاهرة صرفيّة تعني «قطع النفس عند آخر الكلمة عما بعدها»² وقد لا يكون وقفا، فيكون قلبا لاسم الإشارة (كها) مثل قول الشنفرى: مَا كَهَا الْجِنُّ تَعَلُّ.

وفي استعمال لغوي منفرد لسكان تبسة جميعا، نجد اسم الإشارة (ت) و(تا) الذي عرف في اللغة العربيّة للمؤنث المفرد، بينما يستخدمه أهل تبسة جميعا للتّنبية فقط، كقولهم: تِ رُوحِ طَوَّلَتْ عَلَيَّ النَّاسِ. وقولهم: تَا الْمَرَا لِي مَاتَتْ شَكُون؟ وغيرها من الجمل والاستعمالات.

كما يستخدمون صوت الهاء للدلالة على الإشارة، فيوظّفونه في لفظ (هيه) بزيادة (لـ) الجارة فتكون: (لهيه) بمعنى هناك وهناك.

ب_ أسماء الموصول: لم تسجّل الملاحظة الميدانيّة إلاّ اختلافا واحدا في أداء المستعملين اللغويين للأسماء الموصولة، وذلك الاختلاف عند قبيلة التكاكة، حيث أنّها تتطق جميع الأسماء الموصولة، كما هي في اللغة العربية الفصحى في حالة تواصلهم فيما بينهم، كما يستعملون أيضا الأداء اللغوي الذي تجري به ألسنة أهل تبسة حيث أنّ الشائع في كل مناطق تبسة، اختزال الأسماء الموصولة كلها في كلمة: (لي)، بدلا من: الّذي، الّتي، اللذان، اللتان، الذين، اللواتي، اللاتي، وهذا حذف لما بعد اللام وقلب فتحة اللام كسرة مماثلة للياء، قصده وغايته التّخفيف، كما نجد استخدام (ما) و(من) كقولهم: جِبْتُ مَا عُنْدِي. وقولهم: يَنْجَحُ مَنْ يَنْعَبُ.

ج_ أسماء الاستفهام: يستخدم أهل ولاية تبسة أسماء للاستفهام، مثل غيرهم من مستعملي اللغة العربية في العالم، وتتخذ تلك الأسماء أبنية أخرى، فنجد:

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 34.

² محمد عاطف فاظل، ص 305.

كَيْفَ: تضاف إليها (اش) إن أُريد بالسؤال معرفة الحال، كقولهم: كَيْفَاش كان راقِد؟
أو إذا أُريد بالسؤال معرفة الكَيْفِيَّة كقولهم: كَيْفَاش جيتي في الجَو هَذَا؟ ويختلف نطق الكلمة
من منطقة إلى أخرى، مثل كلمة (علاش) التي درسناها في المستوى الصّوتي¹.

لكنها تُستبدل بـ (واش) التي أصلها: وَأَيُّ شَيْءٍ؛ في بعض المواضع كقولهم: واش
حالك؟ و (واش) هذه تستعمل مكان أسماء استفهام كثيرة، سنراها لاحقا.

أَيْنَ: تضاف إليها الواو ولا تهمز الكلمة فتصبح (واين) عند أهل الكويف، وتحذف
الألف وتقلب فتحة الواو كسرة مماثلة للياء بعدها، فتصير (وين) عند بقية المستعملين
اللغويين²، وكذلك: مِنْ أَيْنَ، فإنهم يلصقونها ببعضها فتصبح: (مَين) كقولهم: مَين جيت؟

مَنْ وَمَا: (مَنْ) للعاقل يستعملها البدو جنوبا كثيرا، وكثيرا ما يقبلون فتحة الميم كسرة
فتصير (مِنْ)، كقولهم: مِنْ هُو؟ وقولهم: مِنْ قال لك؟ وهذا شائع عند اللمامشة وأولاد عبيد
الشريف والفراشيش وأعراب أولاد يحيى بالقفارات، بينما يستبدلها أهل الحضر في تبسة
المدينة، ووزنة، مرسط، العوينات، الكويف، الحمّامات، بئر الذهب، بوخضرة، بكارية، عين
الزرقاء والمريج، بـ (شكُون) وأصلها: أَيُّ شَيْءٍ يُكُون؟ كقولهم: شكُون قالك؟ شكُون جاكم؟
وغيرها³، أمّا (مَا) فلا يستعملها إلا قبيلة التكاكة انفرادا، كقولهم: مَا هذا؟ مَا لك؟ مَا عساه
يفعل؟ وغيرها، ودونهم فإنّ جميع المتكلمين في ولاية تبسة، يستبدلونها بـ (واش) كقولهم:
واش هذا؟ واش يدير؟ واش بيك؟ وغيرها⁴.

مَتَى: تستبدل بـ (وَقْتَاش) وأصلها: وَقْتُ أَيِّ شَيْءٍ، وتستعمل كما تستعمل (علاش)
و(كيفاش) باختلاف بين أهل الشمال والجنوب والحضر والبدو، بينما ينفرد التكاكة وأولاد

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 09.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 16.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 35، والتسجيلان الصونيان رقم 24 و25.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 36.

بوقصة وبعض أولاد موسى وبطون من أولاد عبيد الشريف، باستعمال (متى) كما هي دون تغيير، لكن باستعمال محتشم ونادرا ما يُوظف.

ماذا ولماذا: أمّا (ماذا) فتستبدل بـ (واش) كقولهم: واش تطلب؟ واش تدير؟ وغيرها، وأمّا (لماذا) فتستبدل بـ (علاش) كقولهم: علاش هكا عليك؟ وتستعمل باختلاف كما ذكرنا آنفا بالأطلس اللغوي رقم 09.

هل: لا يستعملها إلا التكاكة فيما يتداولونه بينهم من لغة، بينما يستبدلها أهل تبسة جميعا بالنبر والتتغيم، فمثلا بدل قولهم: هل وصل العريس؟ يقولون: وصل العريس؟ بنبر اللام ومدّ الرّاء، وتنغيم المقطع الأخير من المورفيّات.

ويهمل سكان تبسة كلهم (أيان) و(أنى) إلا قبيلة التكاكة، في انفراد آخر لهم بهذا، كقولهم: أنى نرتاح من التعب. وقولهم: طوّلت بينا السّفريّة وأيان مُرساها.

وفي حقيقة الأمر فإنّ توظيف النبر والتتغيم بدلا من أسماء الإستفهام، هو أمر شائع جدا عند أهل تبسة جميعا، حتى إنّ أداة الاستفهام (أ) تستبدل أيضا بالنبر والتتغيم، وقد دلّت الملاحظة أنّ قبيلة التكاكة وبعضا من أولاد عبيد الشريف وأولاد بوقصة وبطون بدويّة في أولاد حميدة، يحافظون على أصالة أدوات الاستفهام، نظرا لانغلاقهم ولتقليدهم للفصحى.

ملاحظة: يُعمل سكان تبسة جميعا دون أي اختلاف، المفاعيل (المفعول به، المفعول لأجله، المفعول المطلق، المفعول فيه، المفعول معه) كما هي دون أي إهمال، كما يُعملون الحال والتّمييز في لهجاتهم دون أي اختلاف بينهم.

3_3_ الحروف والأدوات:

3_3_1_ الحروف:

نجد منها حروف العطف: وَ، فَ، ثُمَّ، أَوْ، مَعَ، لَا؛ التي تخرج الثاني من معنى إثبات الأول، بل للإضراب، لَكِن للاستدراك، أَمْ، حَتَّى. كلّ هذه الحروف تستخدمها قبيلة التكاكة كما هي، بينما نجد باقي سگان ولاية تبسة يستخدمون: بدل (لكن) نجد (بالصّح) و (mais) الفرنسيّة، وبدلاً من (ثُمَّ) و(فَ) نجد (بَعْدَ)، وبدلاً من (أَوْ) و(أَمْ) نجد (وَلَا) وأصلها: وَآلَا، وبدلاً من (لا) نجد (مُشْ) و(مَاشْ)، ولا يحافظون إلا على (وَ) و(حَتَّى).

ونجد حروف الجرّ، التي يستخدم التكاكة جميعها كما هي: فِي، بِ، رُبَّ، إِلَى، لِ، عَلَى، عَن، مَن، وَلَا يستخدم بقية أهل تبسة: رُبَّ، عَن التي يستبدلونها ب (على)، ويستبدلون (إلى) ب (لـ)، ودونهم فيستعملون: فِي ويختلسون المدّ كثيرا من الأحيان فتكون (فـ)، بِ، عَلَى، مَن.

وتتميز لهجات تبسة جميعها بما تتميز به لهجة بلحارث، إذا يقولون: (فَاهَا) بدلا من (فيها)، و(عَلَاهَا) بدلا من (عليها)، وكلّ ما كان على هذا البناء مَدُوهُ فتحا، وهذا استعمال شهير بالجاهليّة عند قبيلة بلحارث بن كعب.

كما نجد حروف النداء، التي يختلف في استعمالها البدو عن الحضر، فنجد البدو في ولاية تبسة يستخدمون: هَيَا، أَيَا، هَا، آ، وَآ، وبتوزّع ملحوظ بين الشّمال والجنوب، فبدو الشّمال يستعملون: أَيَا، هَيَا، آ، ويشاركهم فيها بدو اللمامشة وأولاد عبيد الشّريف، ويزيد عليهم اللمامشة ب: وَآ، هَا، كقولهم: وَآ عَثْمَان. هَيَا عَمَّارُ الْعَطِّ اللَّغُو يَرْجَع. أَيَا طُفْلُ امْشِ لِلْحَانُوتِ.

بينما أهل الحضر في كل تجمّع حضري كبير تنقص به البداوة، كتبسة وونزة، ومرسط والكويف وبكارية، فإنّهم يستعملون: أ دون مدّ، يا، ونجد أيضا: هّا، آ¹.

3_3_2_ الأَدَوَات:

نجد أدوات الاستثناء التي تنقسم إلى أسماء وأفعال، والأسماء هي: إلّا، غير، سوى، دون، ليس، لاسيما والأفعال هي: عَدَا، خَلَا، حَاشَى.

فأمّا البدو فيستعملون: سِوَى، دُون، عَدَا، أكثر مما يستعملون غيرها من الأدوات، وتتميّز لهجة بدو اللمامشة باستعمال: عَدَا، سِوَى، وأمّا لهجة بدو أولاد يحيى فنجد: دُون، حَاشَى. وأمّا الحضر فيستعملون: إلّا، غير، حَاشَى. وينفرد التكاكة باستعمال: لاسيما، خَلَا، ليس، اضافة إلى ما يستعمله بدو اللمامشة وحضرهم².

3_4_ النّوَاسِخ:

3_4_1_ كان وأخواتها:

يستعمل جميع سكّان تبسة الأفعال الناقصة التالية: كان، صار، أصبح، ظلّ، بات، مازال، ما برح، مادام. كقولهم: (كان أول امس عَدْنَا، صار لُو ليلتين مريض واصبح لا باس، ظلّ يَنَاجِرِ اللَّيْلَةَ الأَخِيرَةَ لِي بَاتَهَا، هكذاك ومازال تعبان ما برحش المرض بَدْنُو، بالصّح مادام يُشْرَبُ البارد ما يرتاحش).

أمّا الأفعال الناقصة: أمسى، أضحى، ما انفكّ، ليس، فيستعملها التكاكة، وأعراب أولاد حميدة وأولاد بوقصة الذين ينتجعون بالقفارات الجنوبية بالولاية بأعمال ثليجان ونقرين والشريعة وكذا المزرعة، ولا نجد أي استعمال للفعل الناقص: ما فتى.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 37.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 38.

3_4_2_ إنَّ وأخواتها:

أما (إنَّ) فلا يستعملها إلاَّ التَّكاكة مثل قولهم: إنَّنا اجتمعنا لننظر في الأمر، وأما (أنَّ) فهي تستعمل عند جميع سگان تبسة دون اختلاف، ويكثر استعمالها عند المتعلِّمين، كقولهم: خرَجنا اليُوم بما أنَّ الجَو مليح¹.

والفعلان (كأنَّ) و(لعلَّ) فهما يوظَّفان كثيرا كما في العربيَّة الفصحى، ولا يختلف سگان الولاية في استعمالهما، وتارة يهمزون (كأنَّ) وتارة لا يهمزونها، مثلا قولهم: سبحان الله، نَهَار اليُوم كأنُّو شتًا. وقولهم: جِبت معَاي الدِّراهم لعلَّ تَعجِبني حاجة نِشريها.

لكن (لعلَّ) تستبدل في كثيرا من المواضع بـ (بالآك) وأصلها من الكلمة العربية: (بالآك) التي تستعمل في التَّساؤل والتَّعجب، فيقول العرب: ما بالآك لو نشبت الحرب.

فوظَّفها أهل الجزائر جميعهم في استعمال آخر، وغرض مشابه، فيقولون: بالآك يجينا ضيف. أي لعلَّ يجيئنا ضيف، وبالتالي فهي صحيحة تماما.

والفعل النَّاقص (لكنَّ) يستعمله المنقَّفون، وتستعمله قبيلة التَّكاكة بثبات ولا تستبدله بلفظة أبدا²، بينما بقية سگان تبسة فإنَّهم يستعملون (mais) الفرنسيَّة في الحواضر: تبسة، الكويف، الحمَّامات، بگارية، ونزة، العوينات، مرسط، ويستعملون (بالصَّح) في المناطق نفسها وفي جميع المناطق التي بقيت في الولاية، والبدوية منها تؤنَّثها فتكون (بالصَّحَّة)³، وأصلها استدراك كقولهم: كليت يَاسر بالصَّح ما شبعِش. و(بالصَّح) و(بالصَّحَّة) من الجملة الظرفية المتكوِّنة من جار ومجرور: بالصَّحِيح، أي: أقول قولي هذا وإن أردت، أقول الصَّحِيح المستثنى والمستدرك منه.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 39.

² ينظر التسجيل الصوتي رقم 26.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 40.

وأما الفعل التّاقص (لَيْتَ) فإنّه يطرأ عليه قلبٌ صرفيّ في صوت اللّام فيصبح راءً أي (رَيْتَ)، من أجل التّخفيف على اللسان فالتمنّي يريد السّرعة والخفّة وكذلك يفعل في لغته، وأما أهل الحضر جميعاً ومعهم اللمامشة كلهم فيكسرون الرّاء فتكون (رَيْتَ)، وأما بدو أولاد يحيى وأولاد عبّيد الشريف فإنّهم يفخمون الرّاء ويميلون بحركتها إلى الفتحه¹.

3_5_ الشّرط والإغراء والتّحذير:

3_5_1_ الشّرط:

يُعمل سگان تبسة كلّهم في جملهم الشّرطية، أدوات الشّرط التّالية: إذا، ما، وأسماء الشّرط التّالية: مهما، مَنْ، حيثما، كيفما، أينما (وينما)، كقولهم: إذا تتجح نجيبك هديّة. نستاك ما كنت دايروني في بالك. مَهْمَا تجتهد تلقى نتيجة. حيثما بعثتاك وخذيت الرّاي نعطيك واش تحب دراهم. تلقى الخير وينما زرعت الخير.

لكنّهم يهملون إن، أيان، أي، أتى، ومتى، في حين أنّهم يستعملونها في خطاباتهم العالية، في المناسبات التي تخصّ: الصّلح، السّباقات والفروسيّة، الانتخابات، اجتماعات العروش والقبيلة وغيرها.

3_5_2_ الإغراء:

استعمل العرب منذ وجودهم الإغراء في لغتهم، وقد كانت العرب تُغري «بثلاثة ألفاظ: عليك، وعندك، ودونك، تقول: عليك زيدا، وعندك عمرا، ودونك بكرا. ولا يجوز تقديم شيء من هذه المعنويات على عامله.»² وهو حتّ المخاطب على أمر محمود، ويستعمله أهل تبسة جميعاً، فأما لهجة أولاد يحيى فنجد فيها استعمال: عليك، كقولهم: عليك الخلاص وعليّ أنا المرة الجايّة. وكذلك: عندك كقولهم: عندك العرس وأهله. ويستعملون: التكرار،

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 41.

² الأنباري أبي البركات، ص 228.

كقولهم: الصّدق الصّدق. بينما في لهجة اللمامشة نجد استخدام: دونك، عند البدو منهم، كقولهم: دونك اللّغو. ويستعمل اللمامشة أيضا: عندك، كقولهم: عندك الصّندوق (أي هو لك خذ ما تريد)، ويستعملون كذلك التّكرار¹.

3_5_3 التّحذير:

وكلّ سكّان تبسة في استعمال التّحذير سواء، حيث أنّهم يستعملون التّكرار، وكذلك لفظ: إيّاك، طقولهم: الطّريق الطّريق. وإيّاك والكذب. وكذلك يستعملون لفظ: حذار، واحذر، ورُدّ بالك وغيرها، ولا نجد اختلافا بين المستعملين.

3_6_3 (ال) التّعريف:

تستعمل كما في اللغة العربية الفصحى إذا سبقت الحروف الشّمسية، مثل: الرّجال، النّساء، الشّمس، الرّوابع وغيرها، بينما تُقلب سكون اللّام حركة فتح أو كسر مع الحروف القمرية، كقولهم: الكّلاب، المّواس، الخيّوط وغيرها، بينما تصير إلى الفتح كلّما تلتها الهمزة، فلا تنبر كعادة كثير من العرب، مثل قولهم: الأحباب، الأصحاب، الأوجاع وغيرها، وهذه الاستعمالات كلّها إذا كانت الكلمات المعرّفة موظّفة داخل بناء تركيبى أي في الجملة، بينما إذا نُطقت منفردة دون توظيفها في جمل، فإنّ (ال) التّعريف تنطق كما في اللغة العربية الفصحى، مع اختلاس خفيف لحركة اللّام وحركة الصّوت الصّامت الذي يليها. ولا نجد أيّ اختلاف في الأداء اللهجي لسكّان ولاية تبسة.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 42.

4_ المستوى

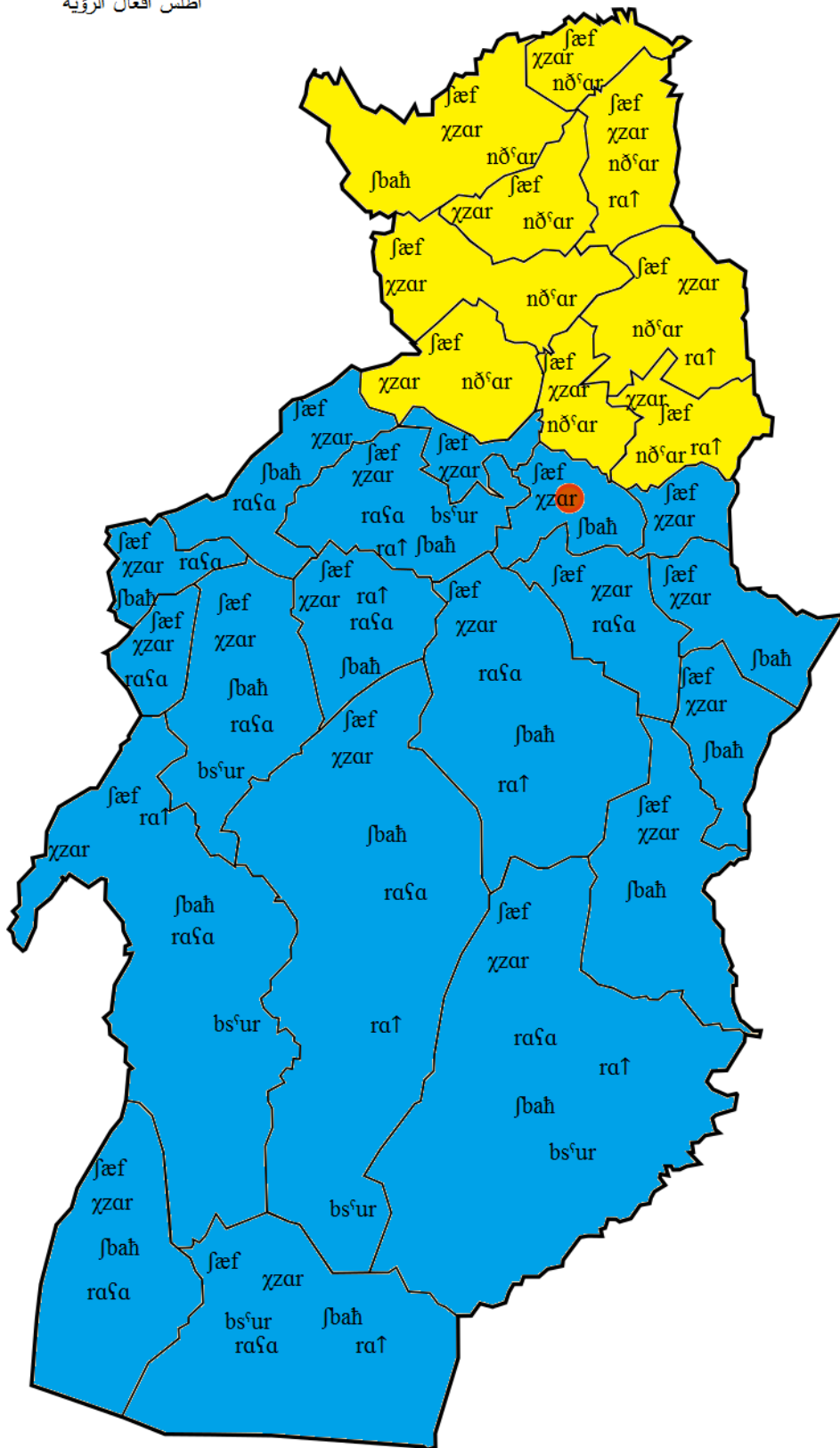
المعجمي

الدّالّلي

الأطالس

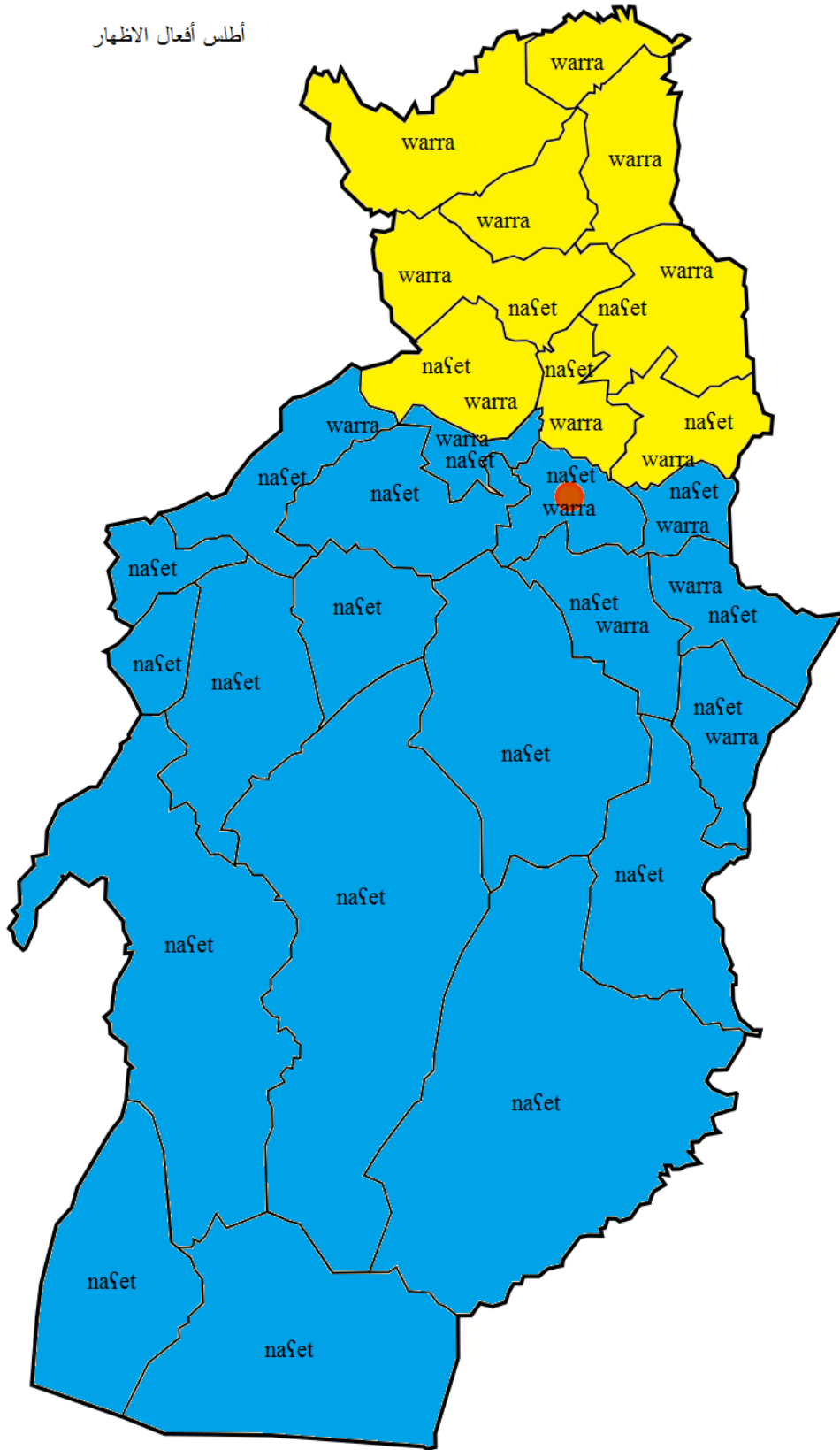
اللغويّة

أطلس أفعال الرؤية



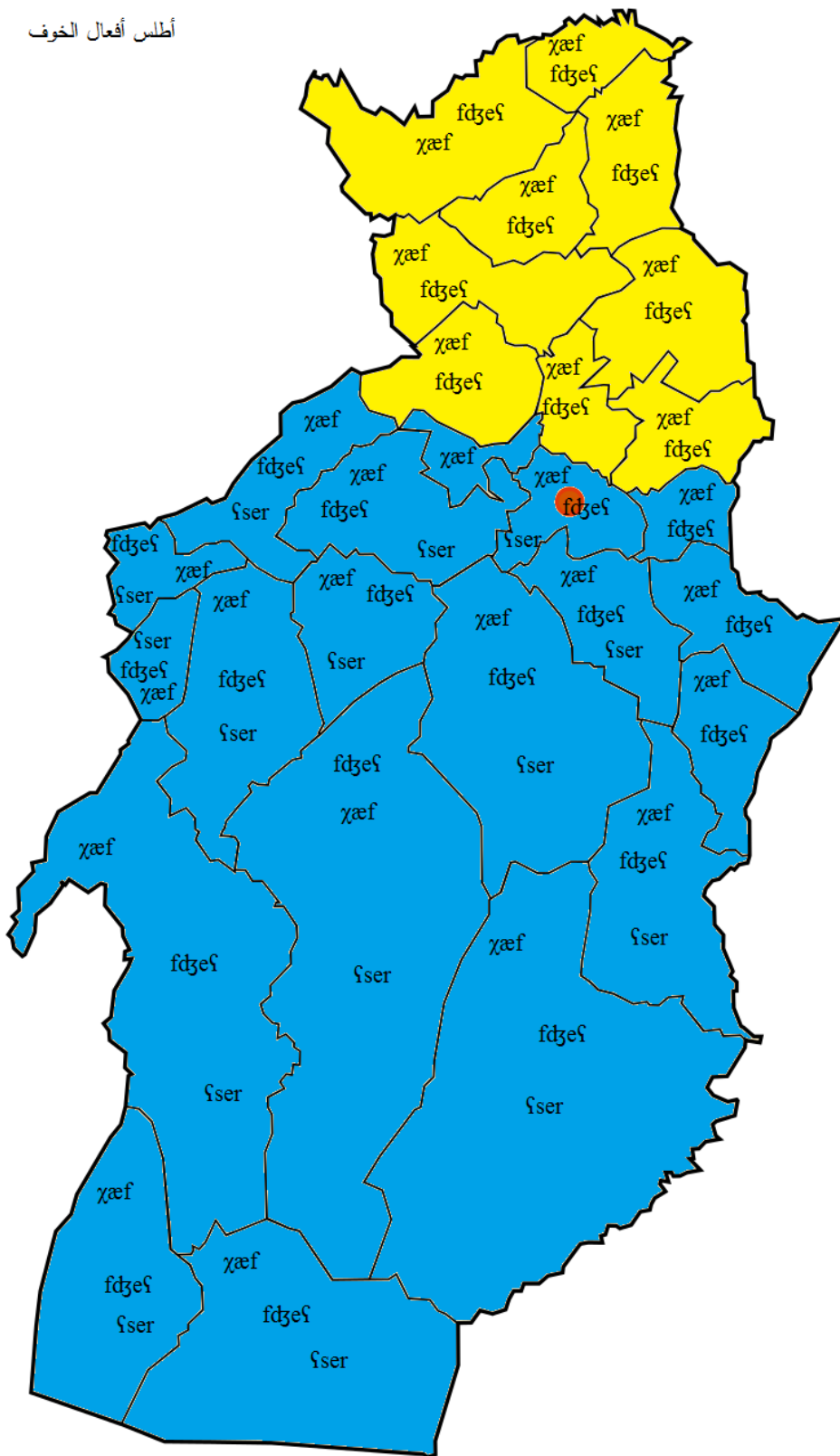
أطلس لغوي رقم 43

أطلس أفعال الاظهار

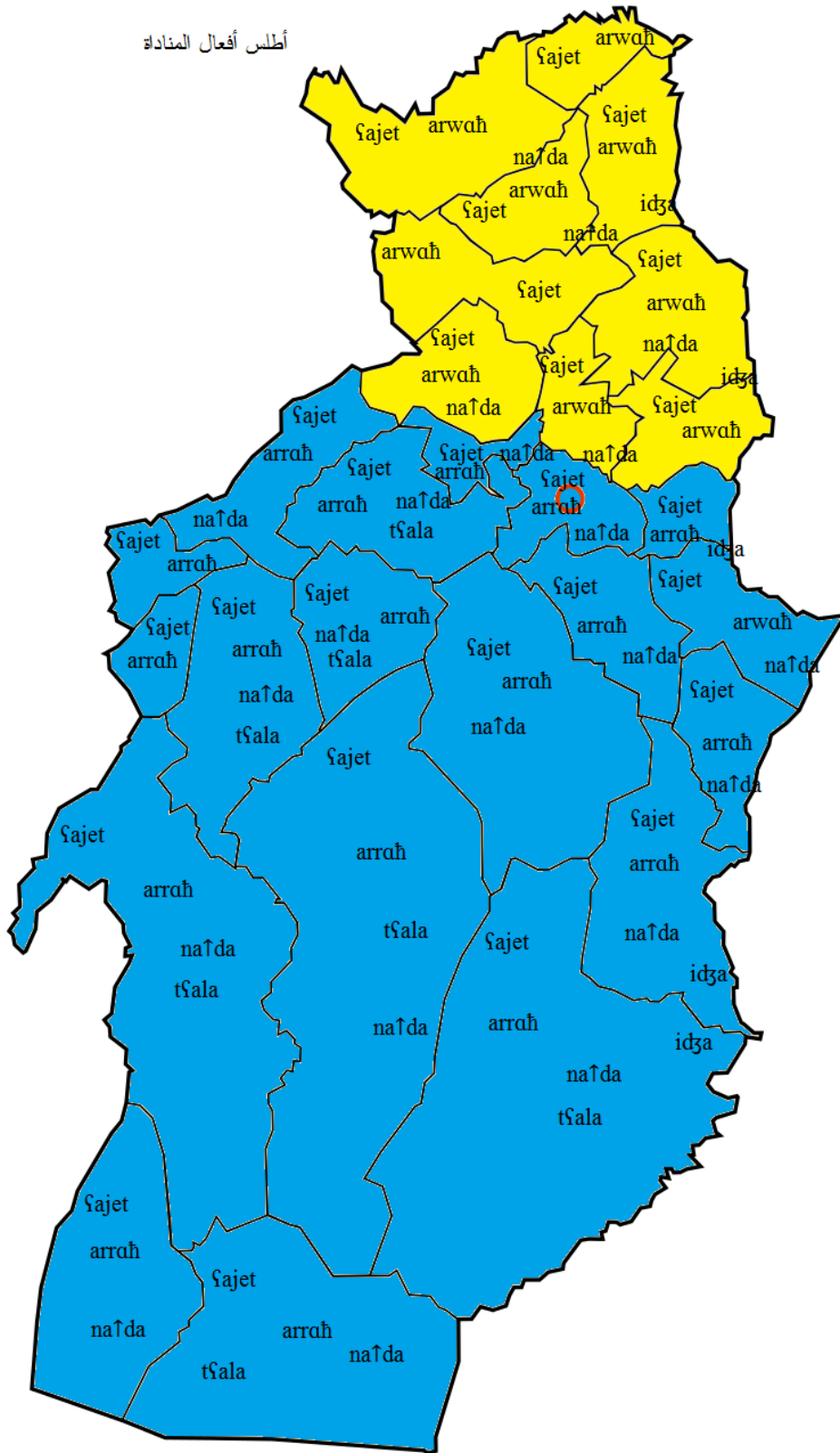


أطلس لغوي رقم 44

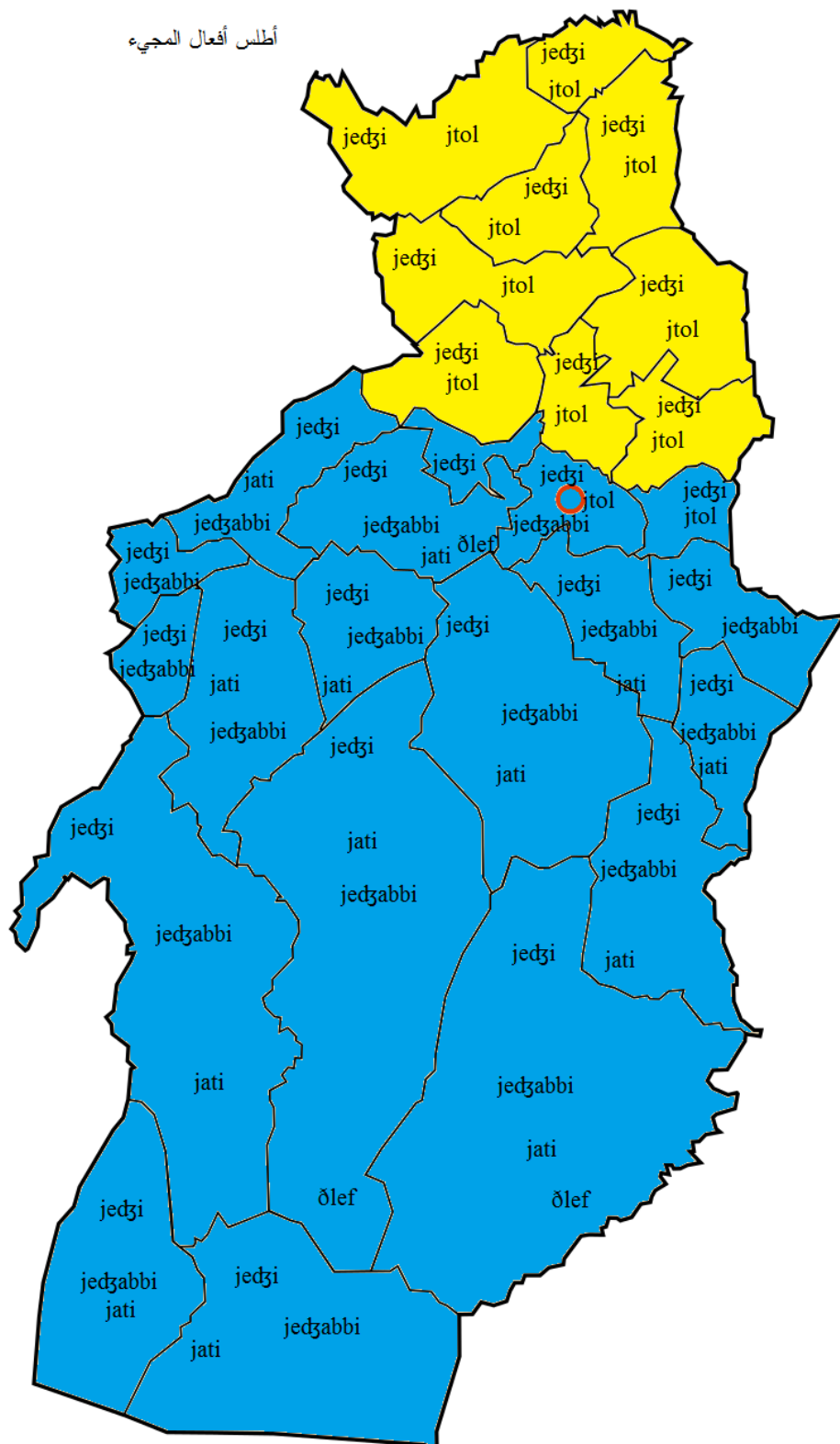
أطلس أفعال الخوف



أطلس لغوي رقم 45

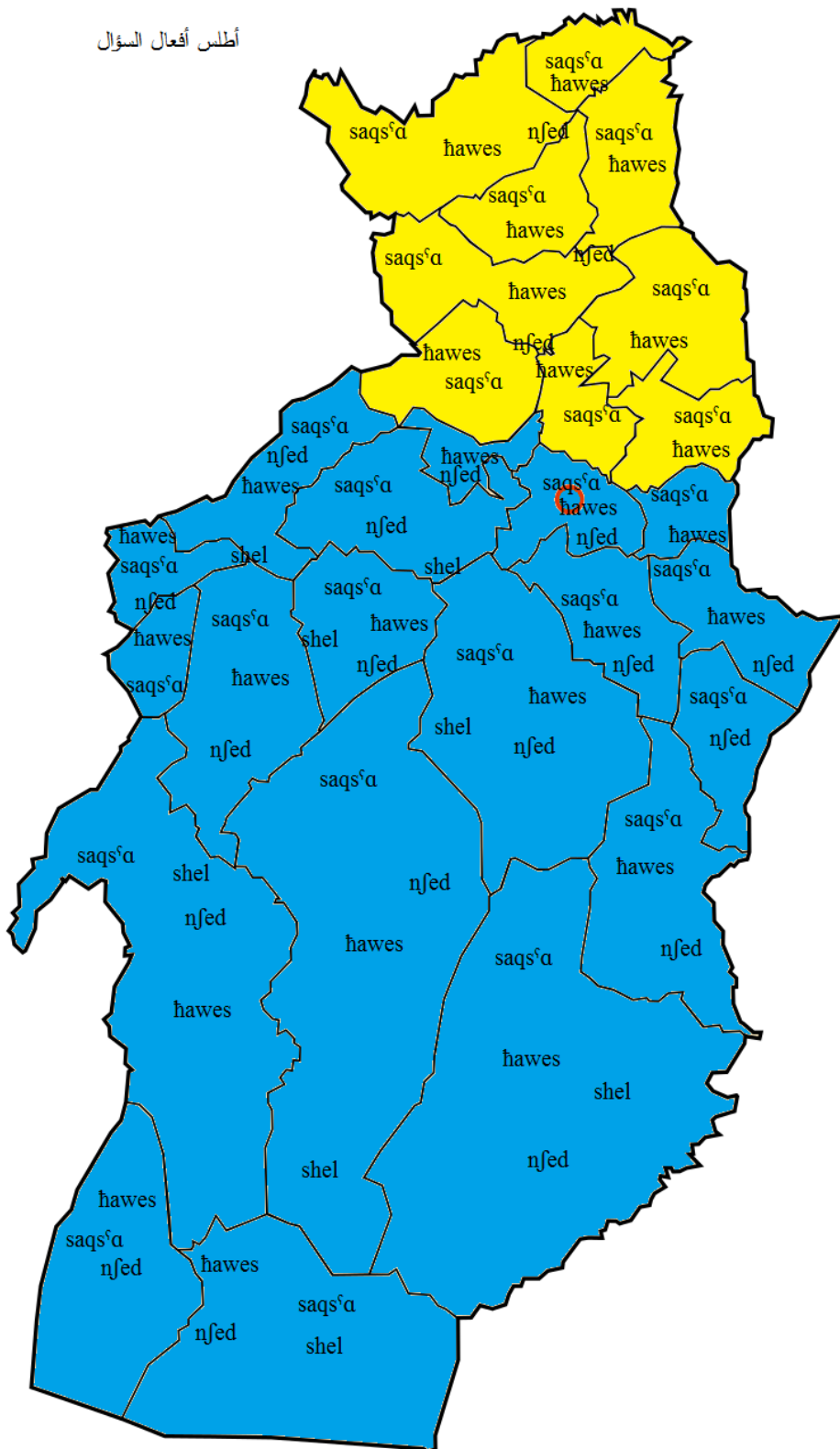


أطلس لغوي رقم 46

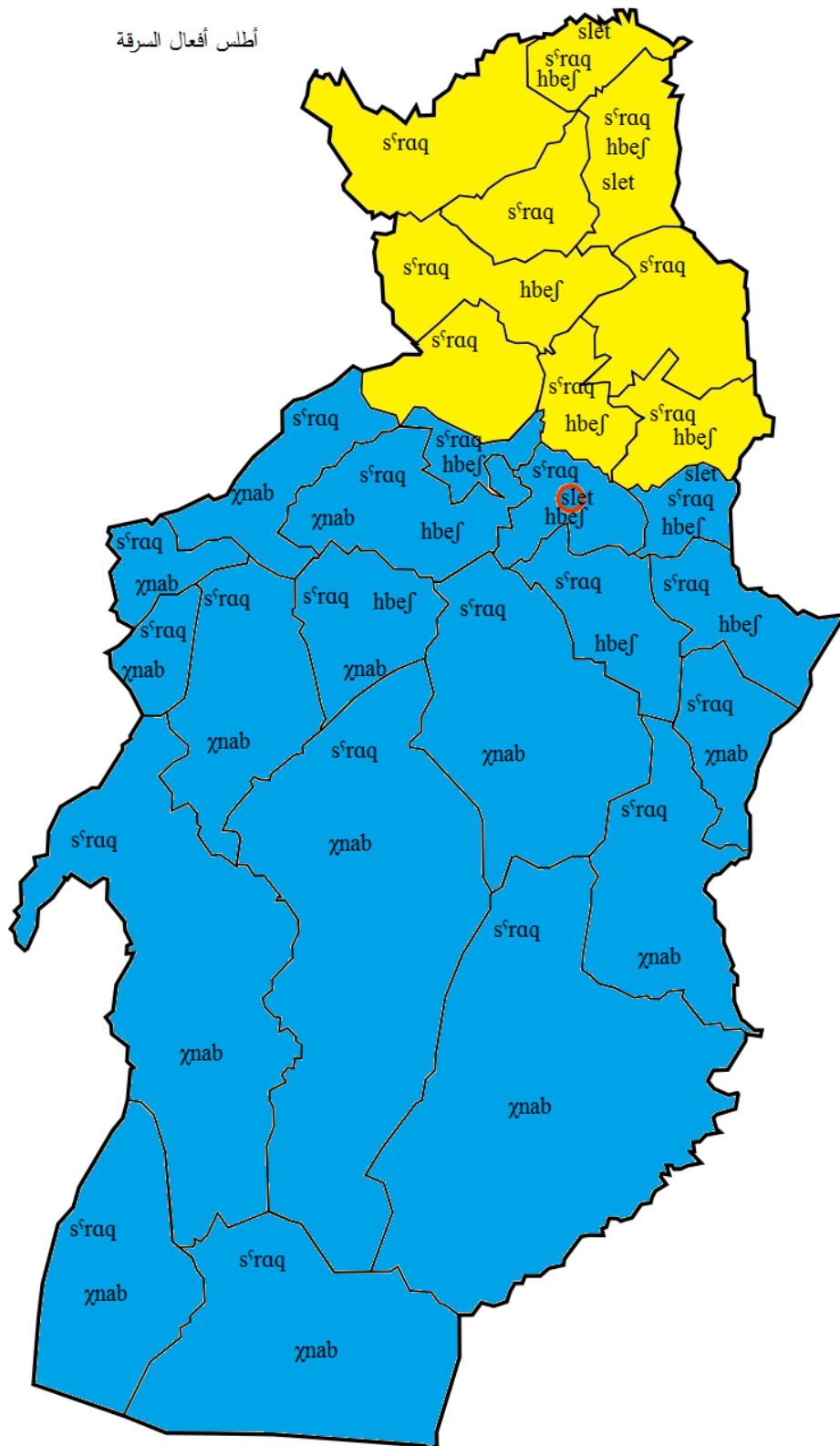


أطلس لغوي رقم 47

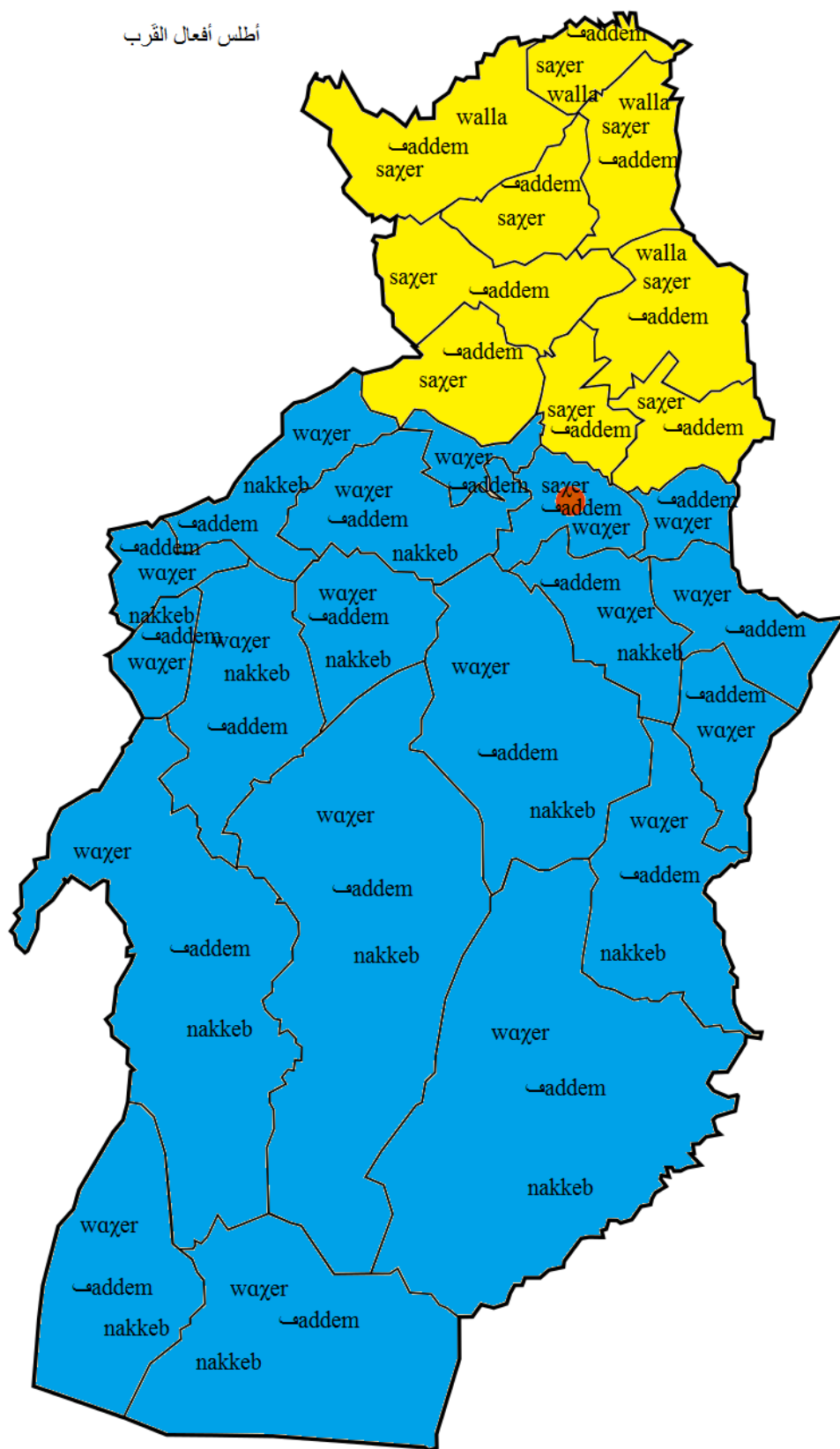
أطلس أفعال السؤال



أطلس لغوي رقم 48

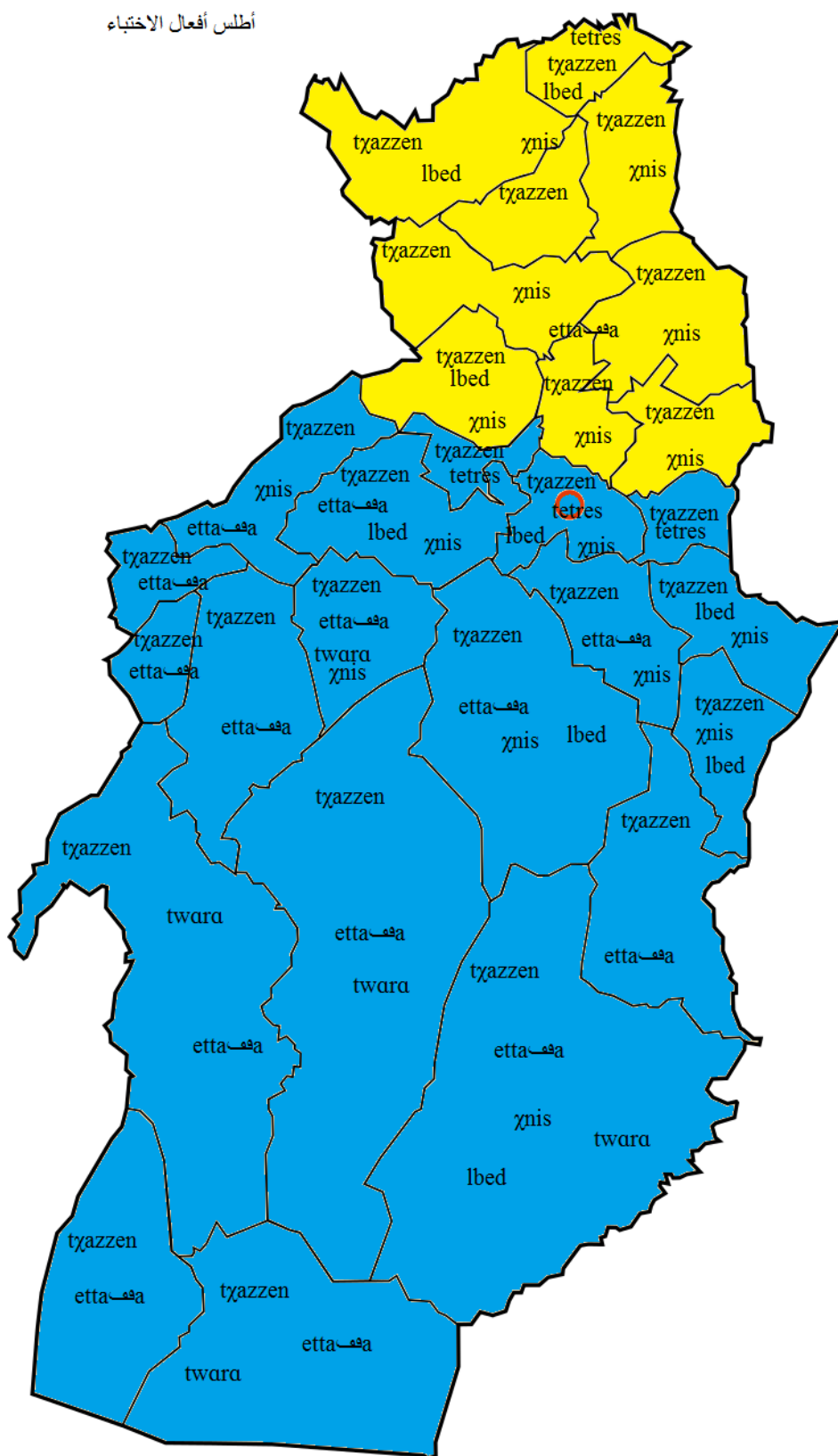


أطلس لغوي رقم 49



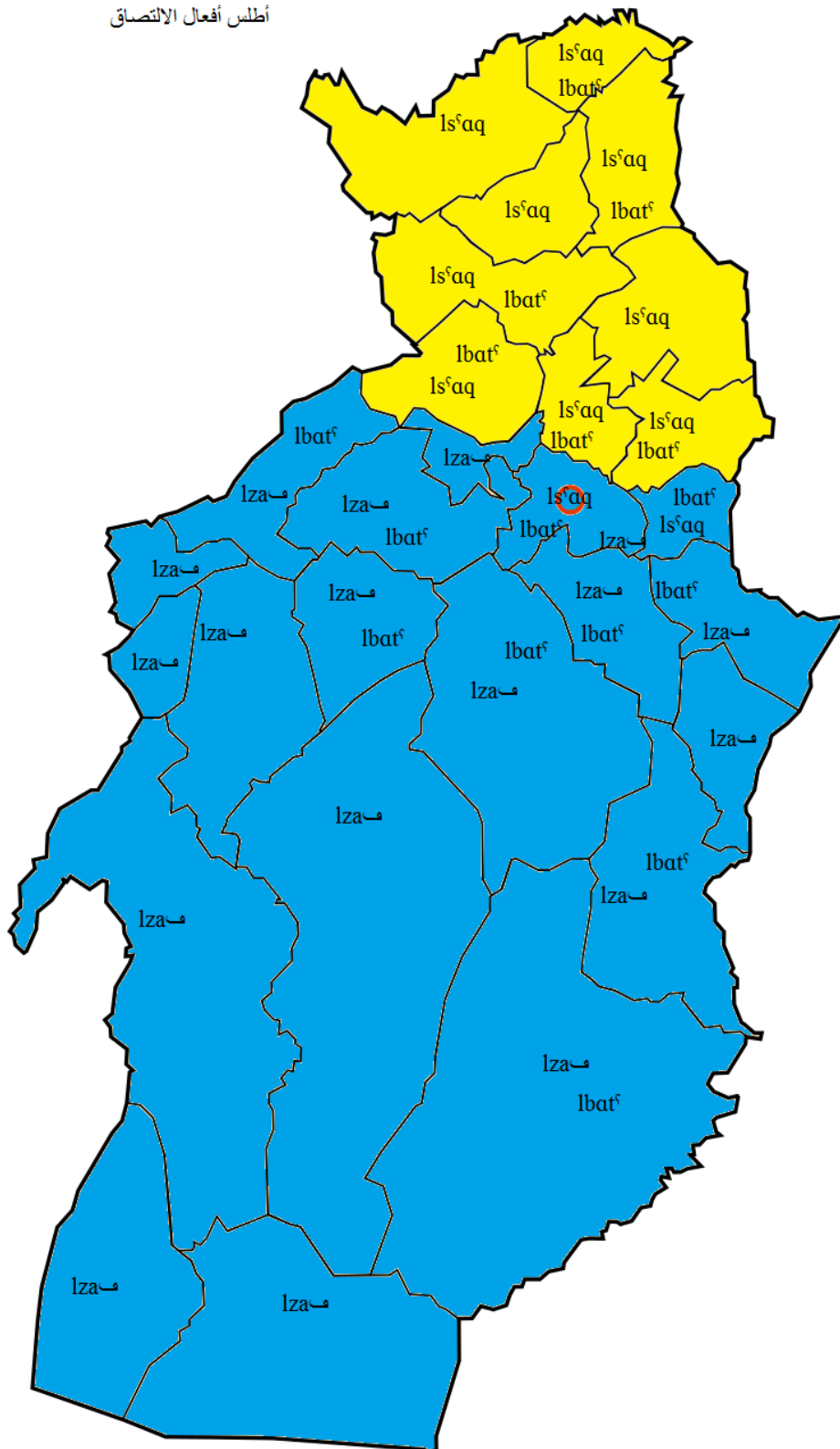
أطلس لغوي رقم 50

أطلس أفعال الاختباء



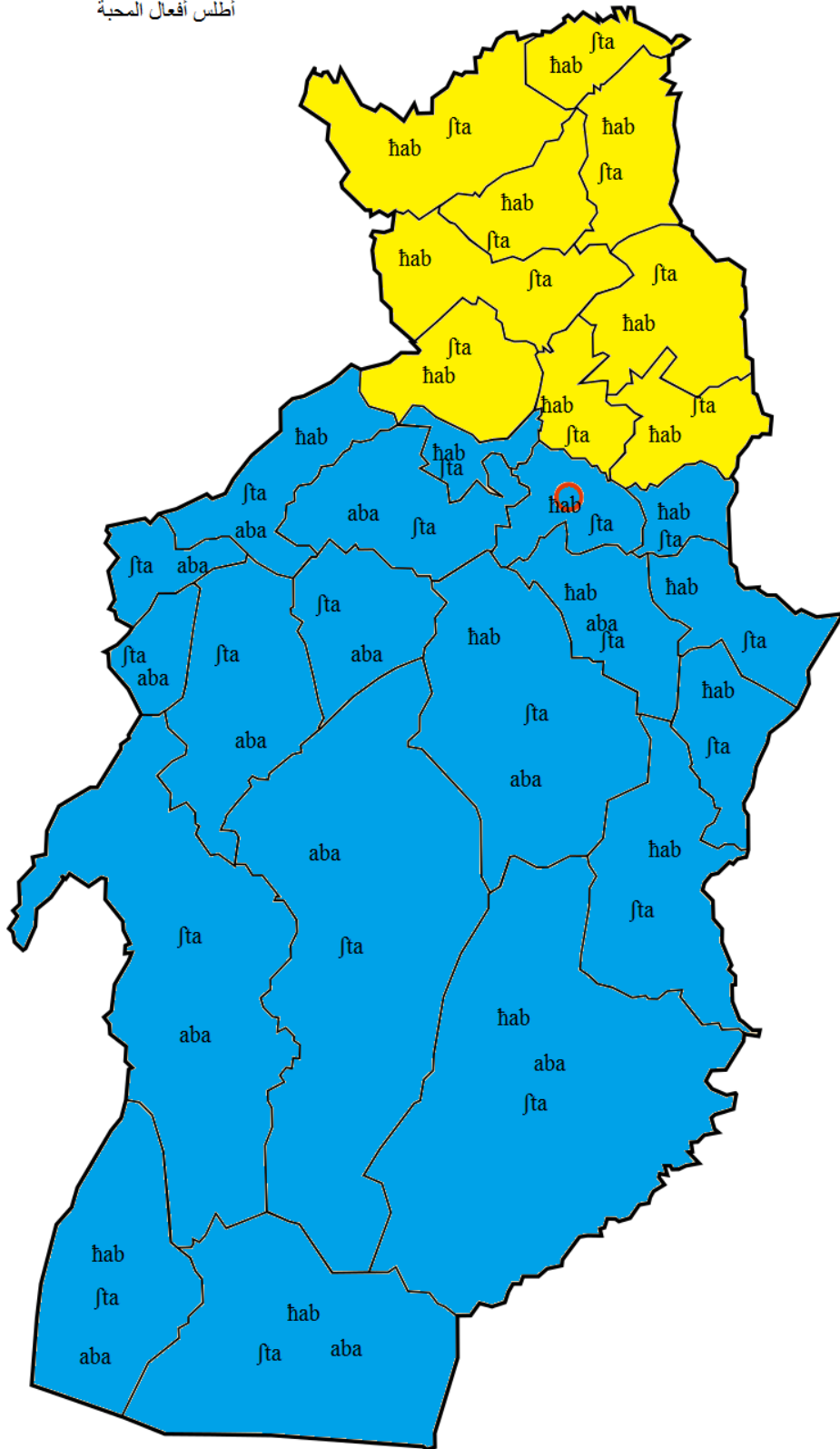
أطلس لغوي رقم 51

أطلس أفعال الالتصاق



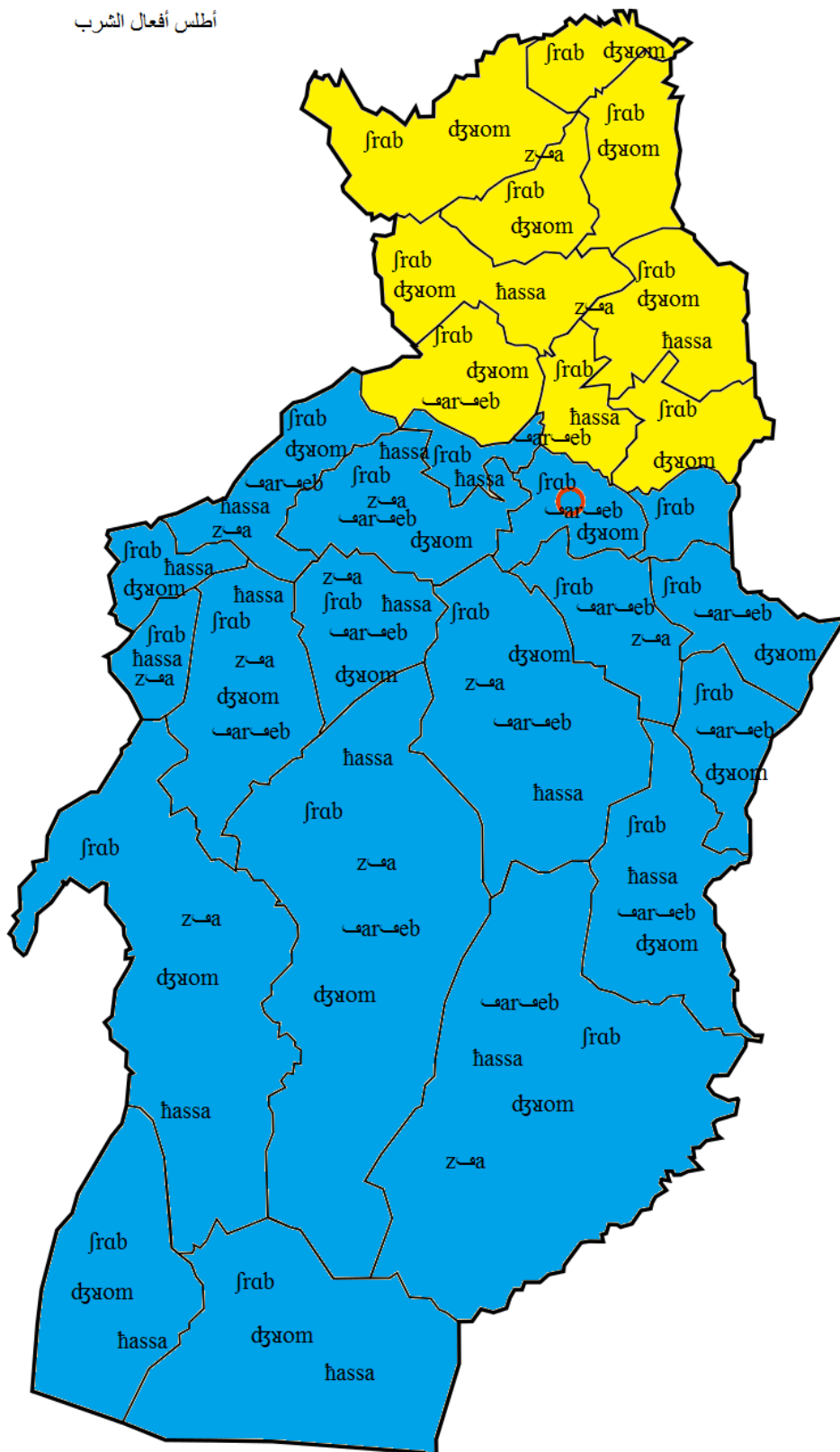
أطلس لغوي رقم 52

أطلس أفعال المحبة

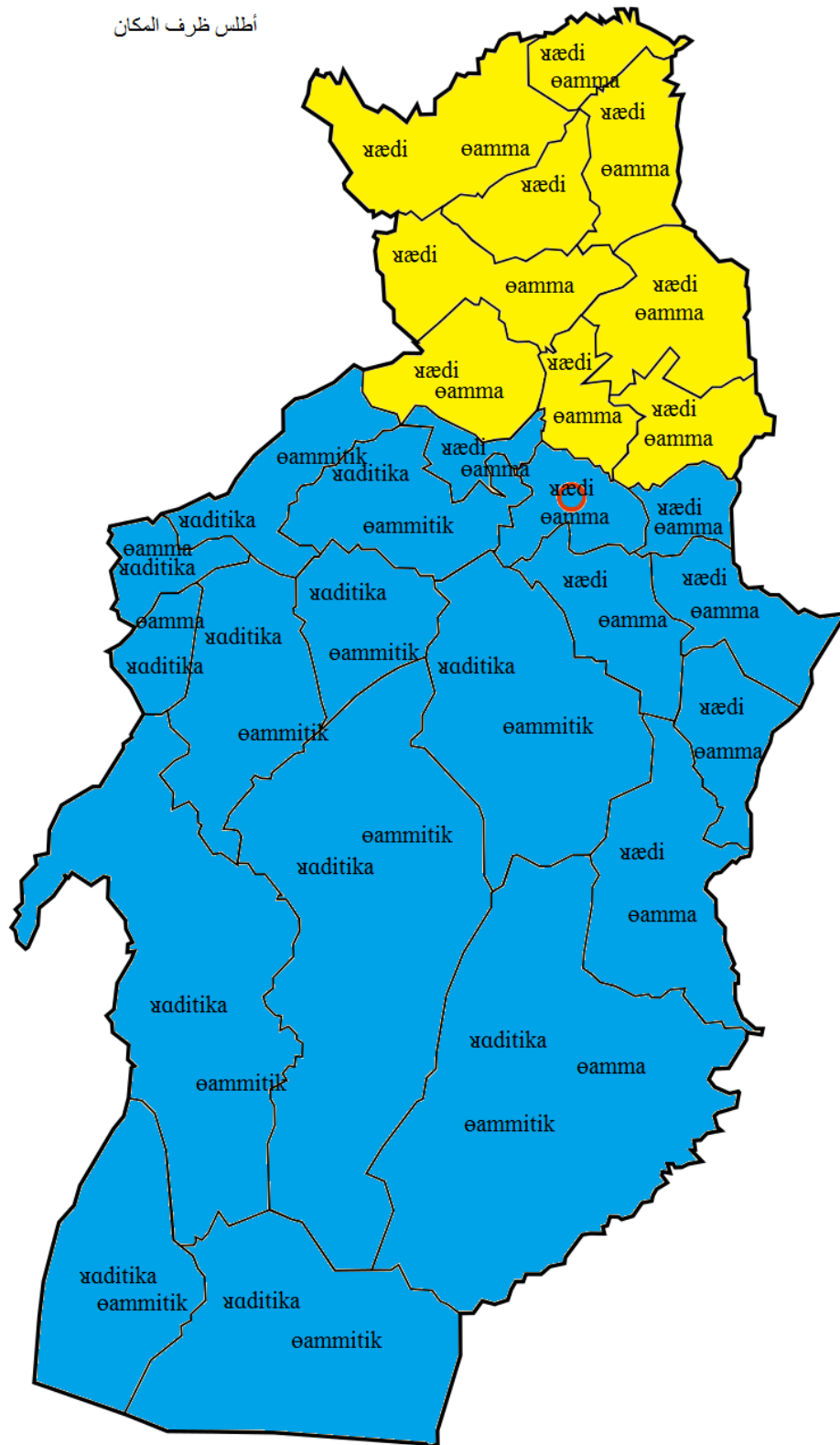


أطلس لغوي رقم 53

أطلس أفعال الشرب

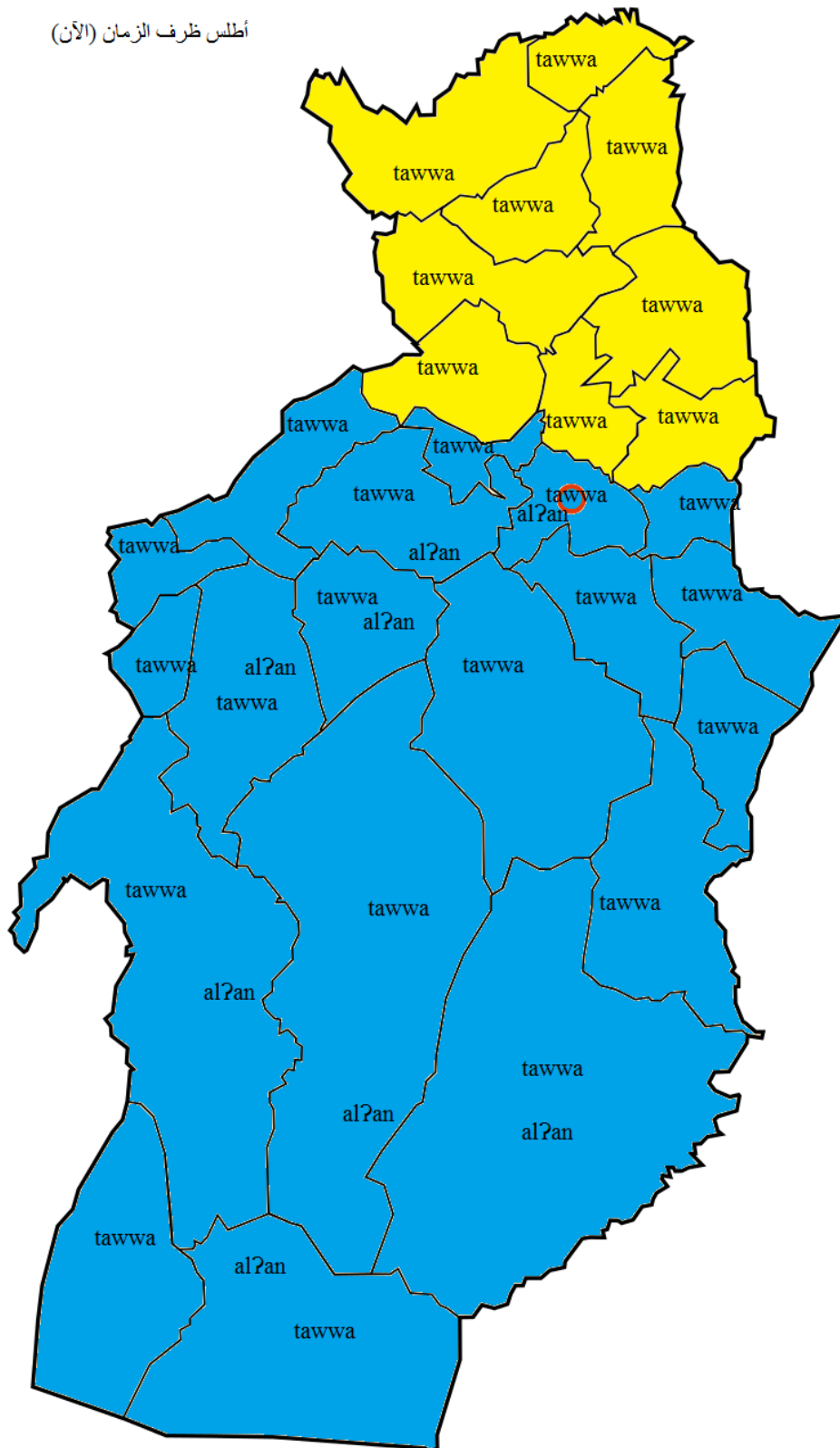


أطلس لغوي رقم 54



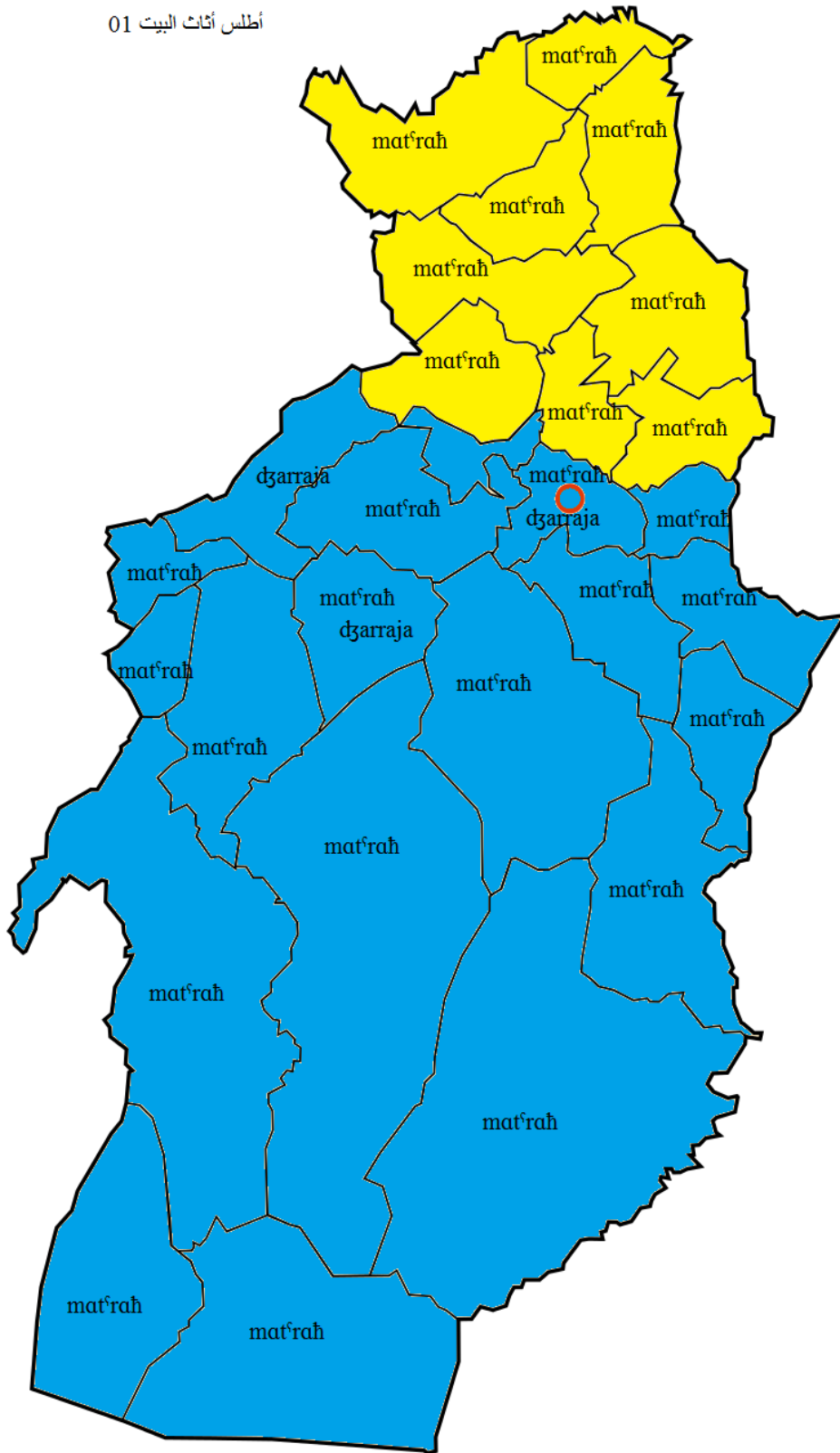
أطلس لغوي رقم 55

أطلس ظرف الزمان (الآن)

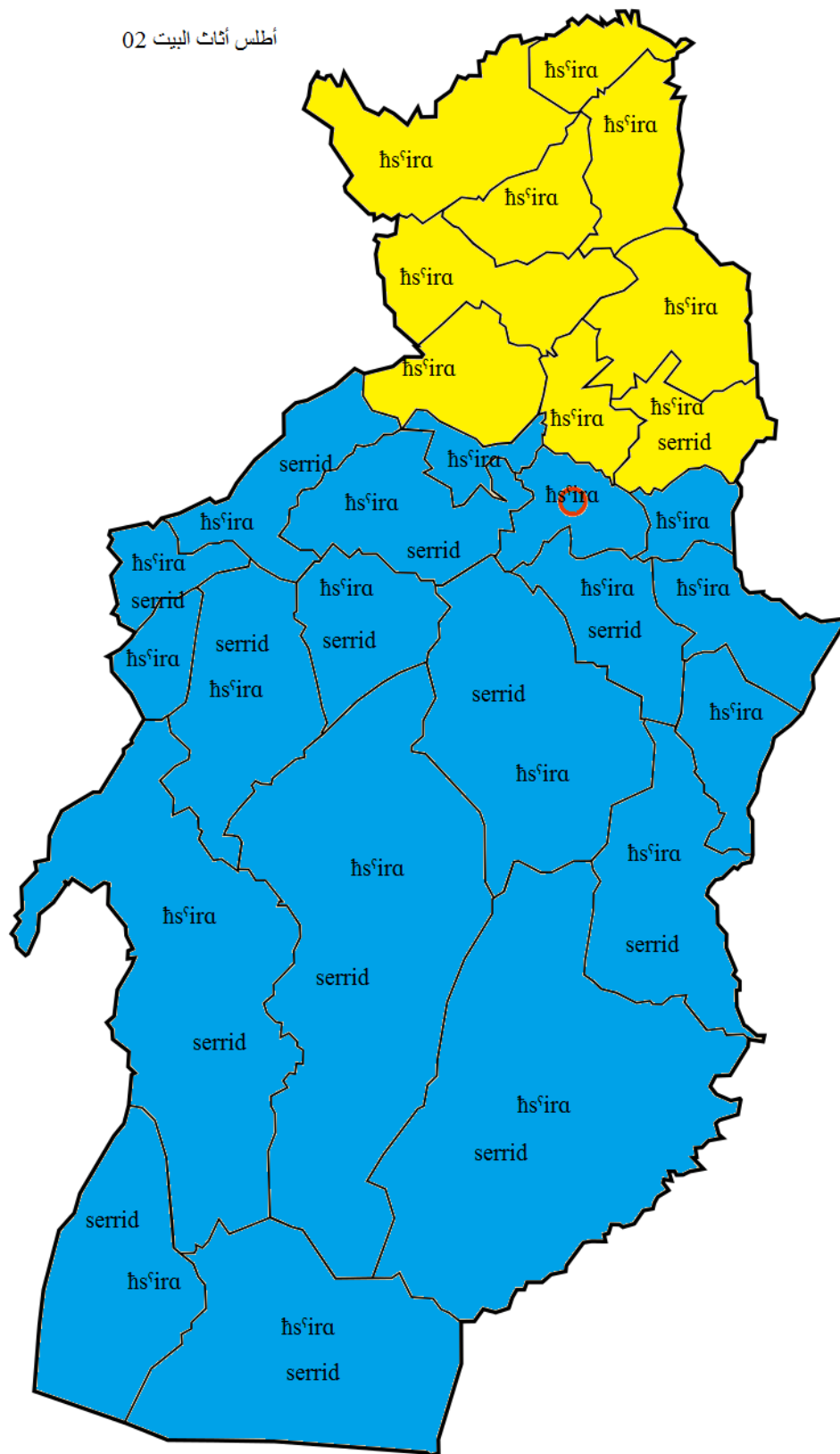


أطلس لغوي رقم 56

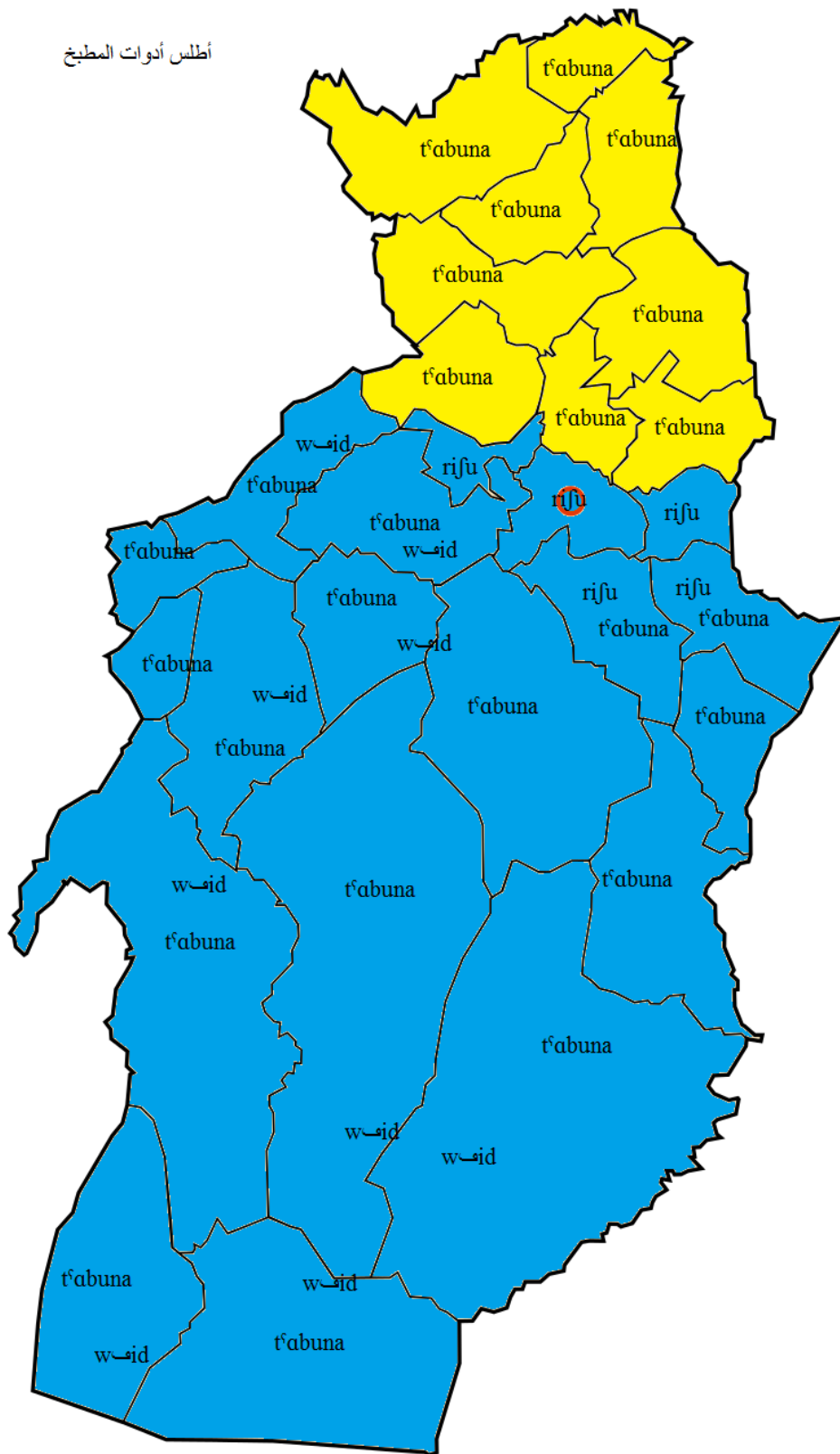
أطلس أثاث البيت 01



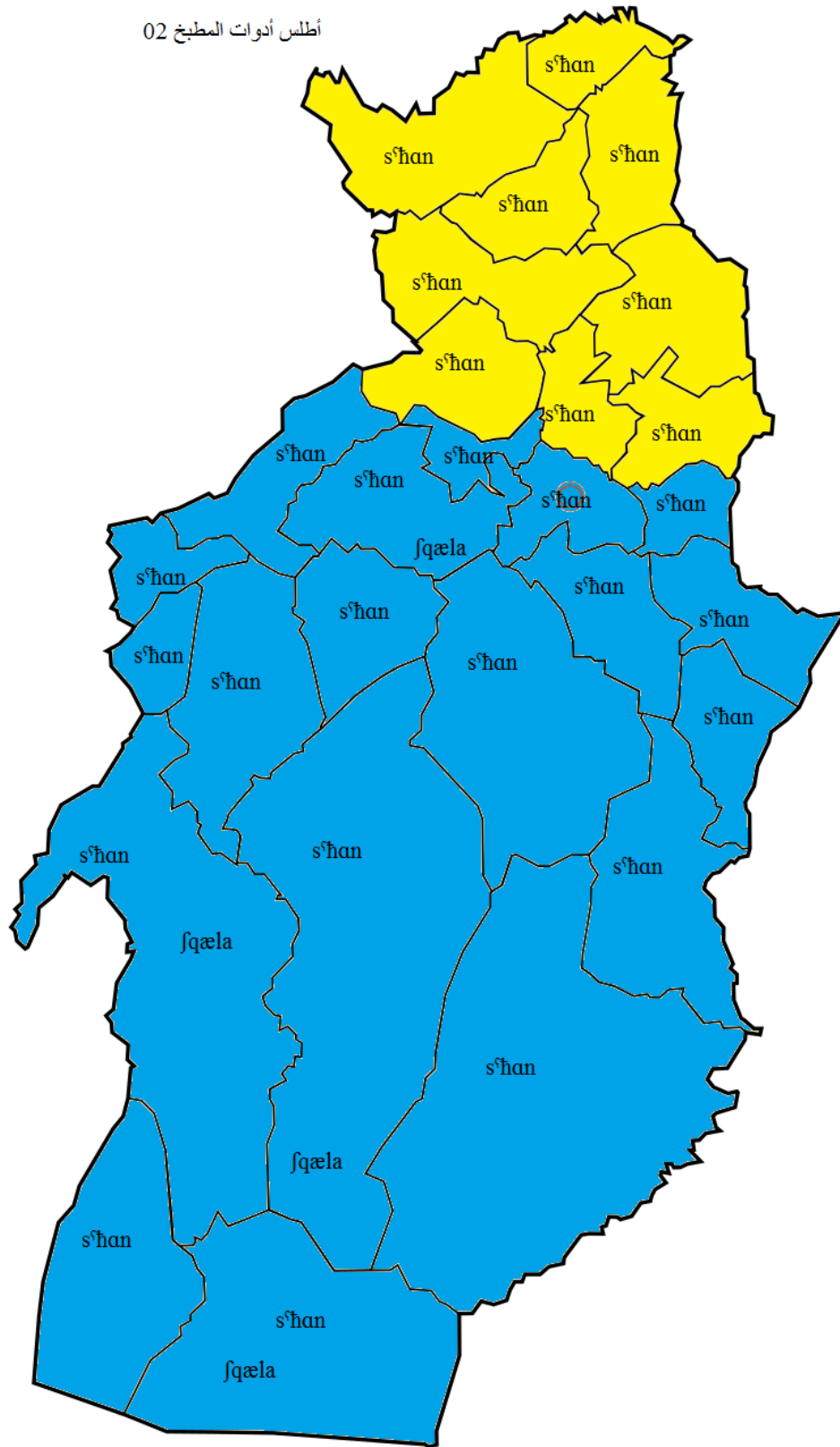
أطلس لغوي رقم 57



أطلس لغوي رقم 58

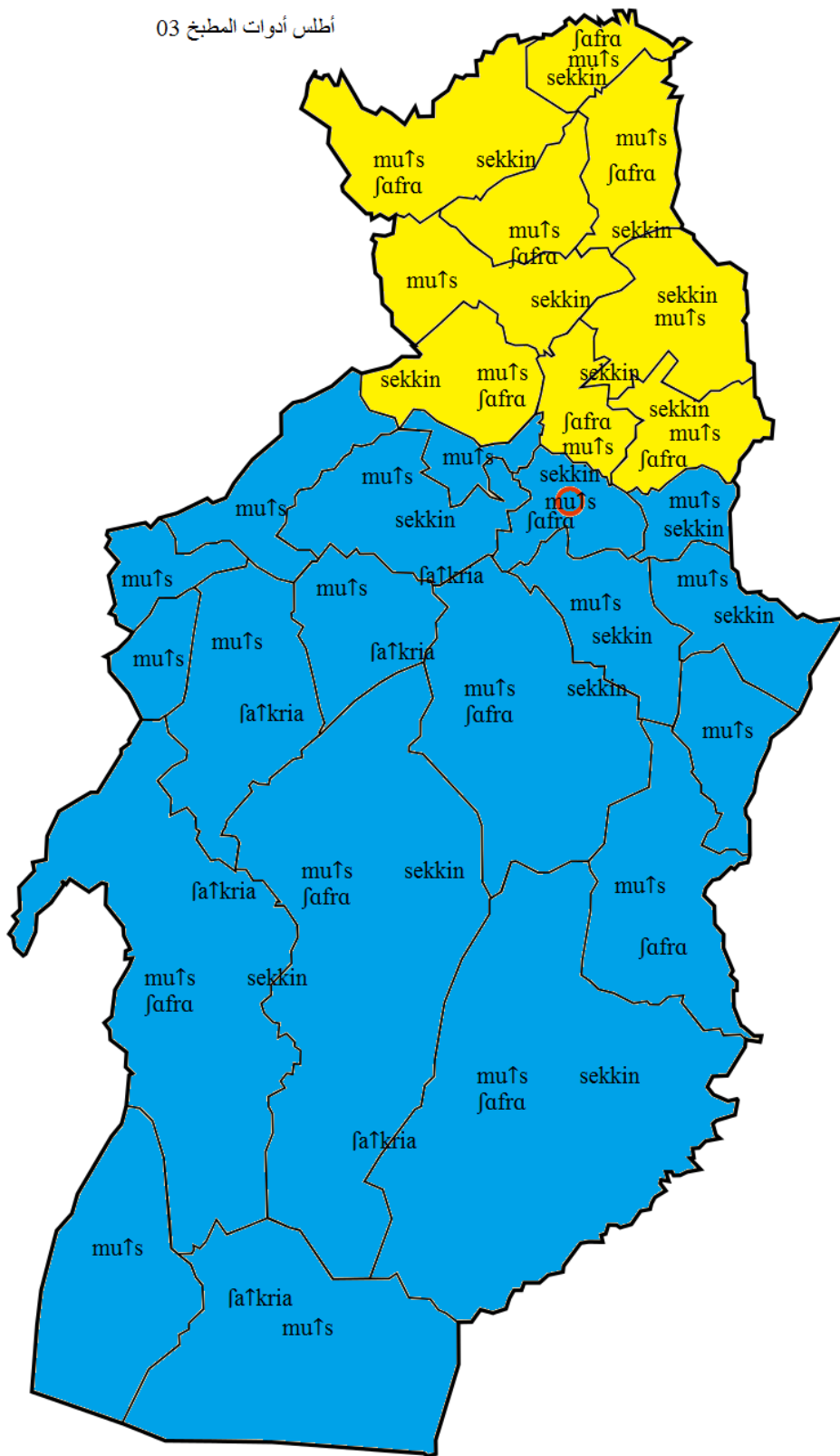


أطلس لغوي رقم 59



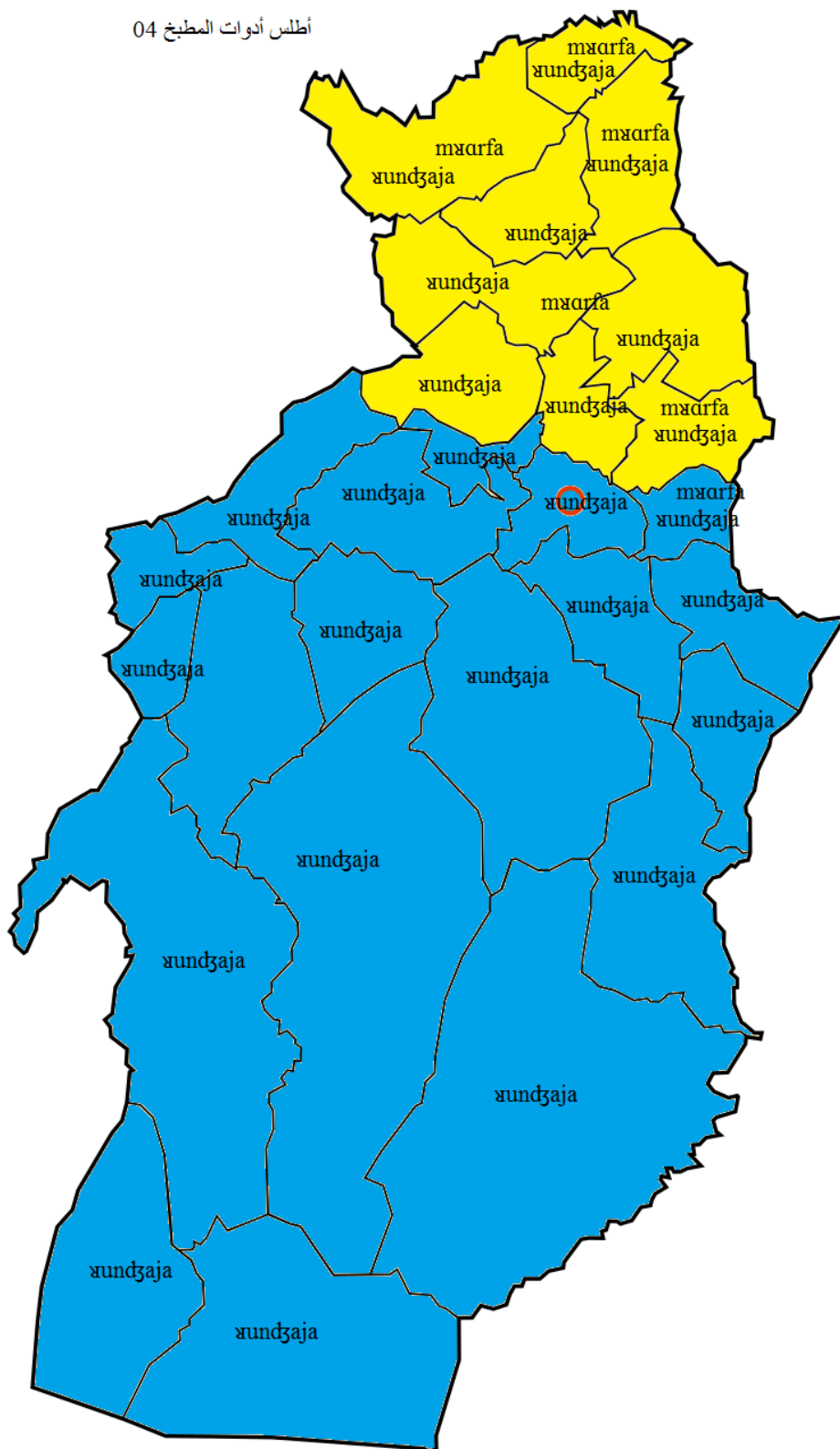
أطلس لغوي رقم 60

أطلس أدوات المطبخ 03

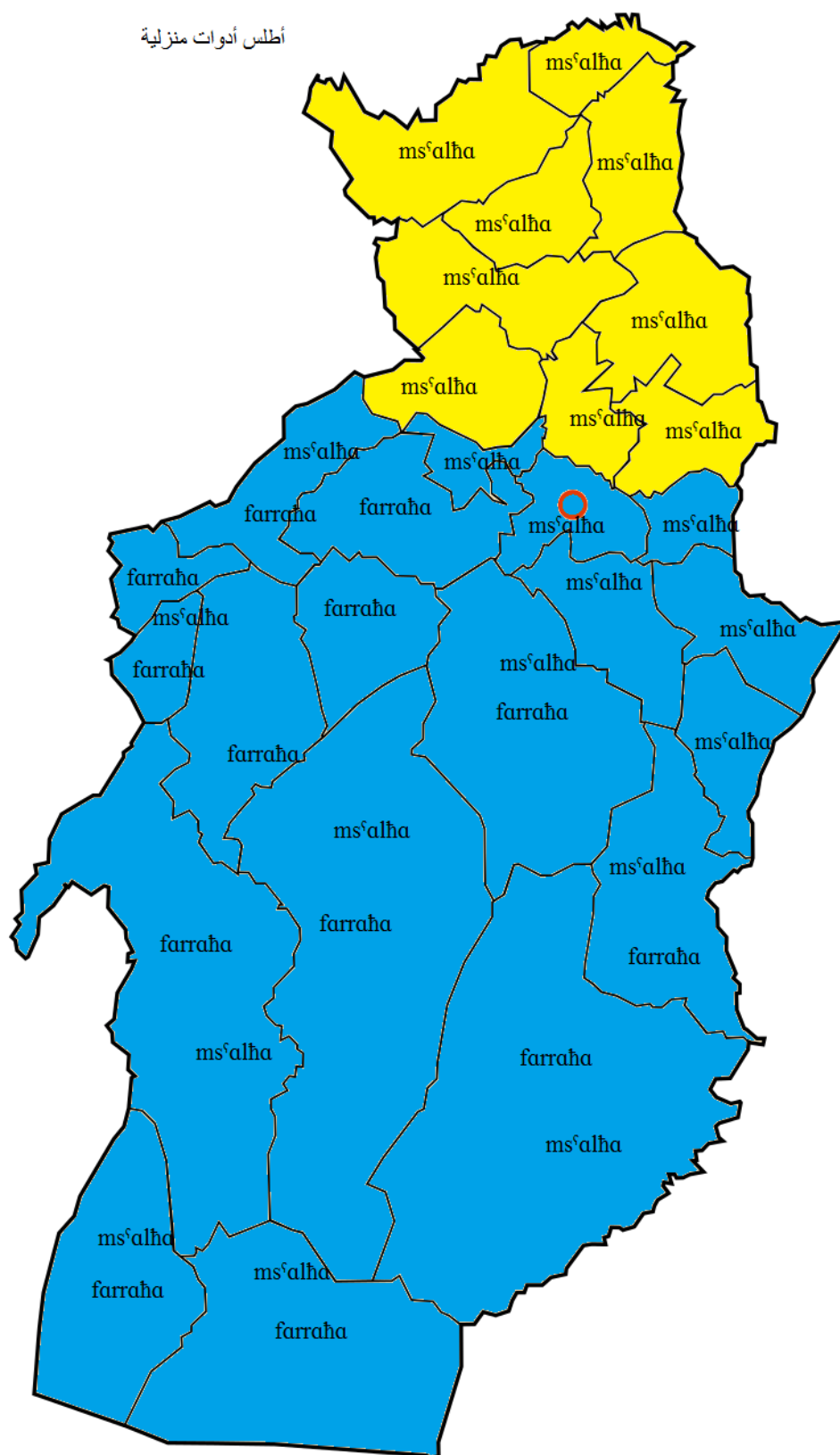


أطلس لغوي رقم 61

أطلس أدوات المطبخ 04

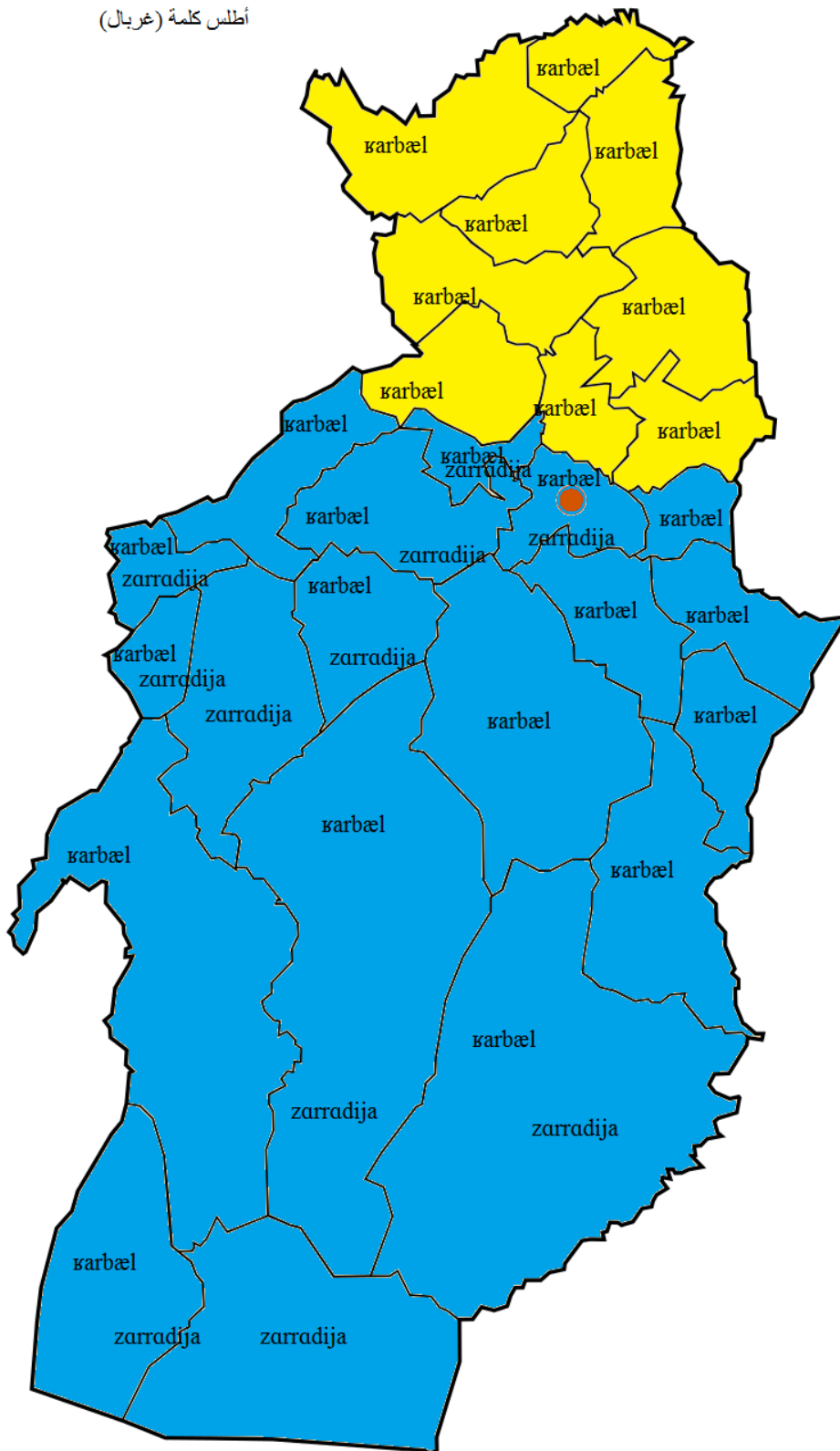


أطلس لغوي رقم 62

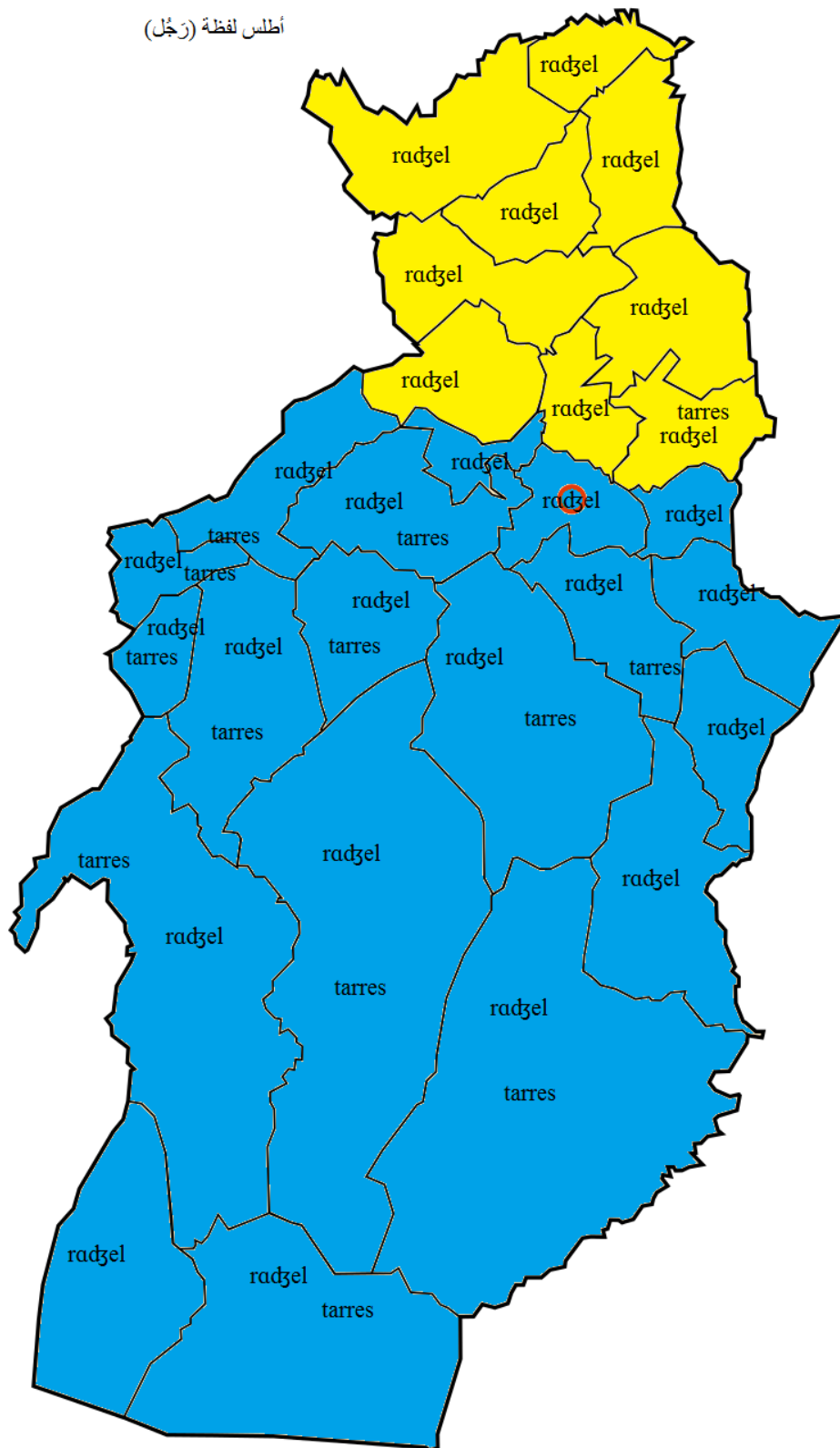


أطلس لغوي رقم 63

أطلس كلمة (خربال)

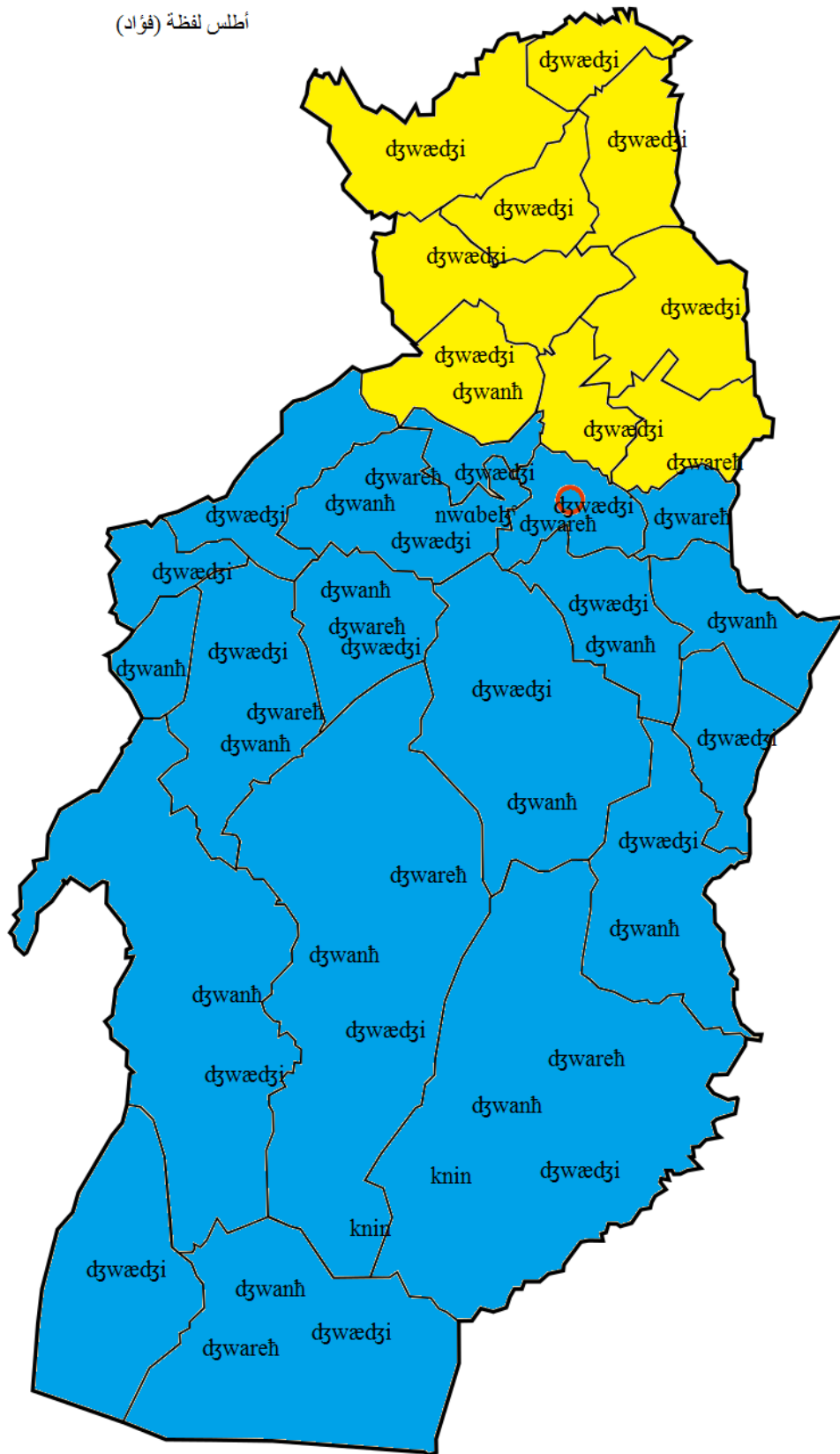


أطلس لغوي رقم 64

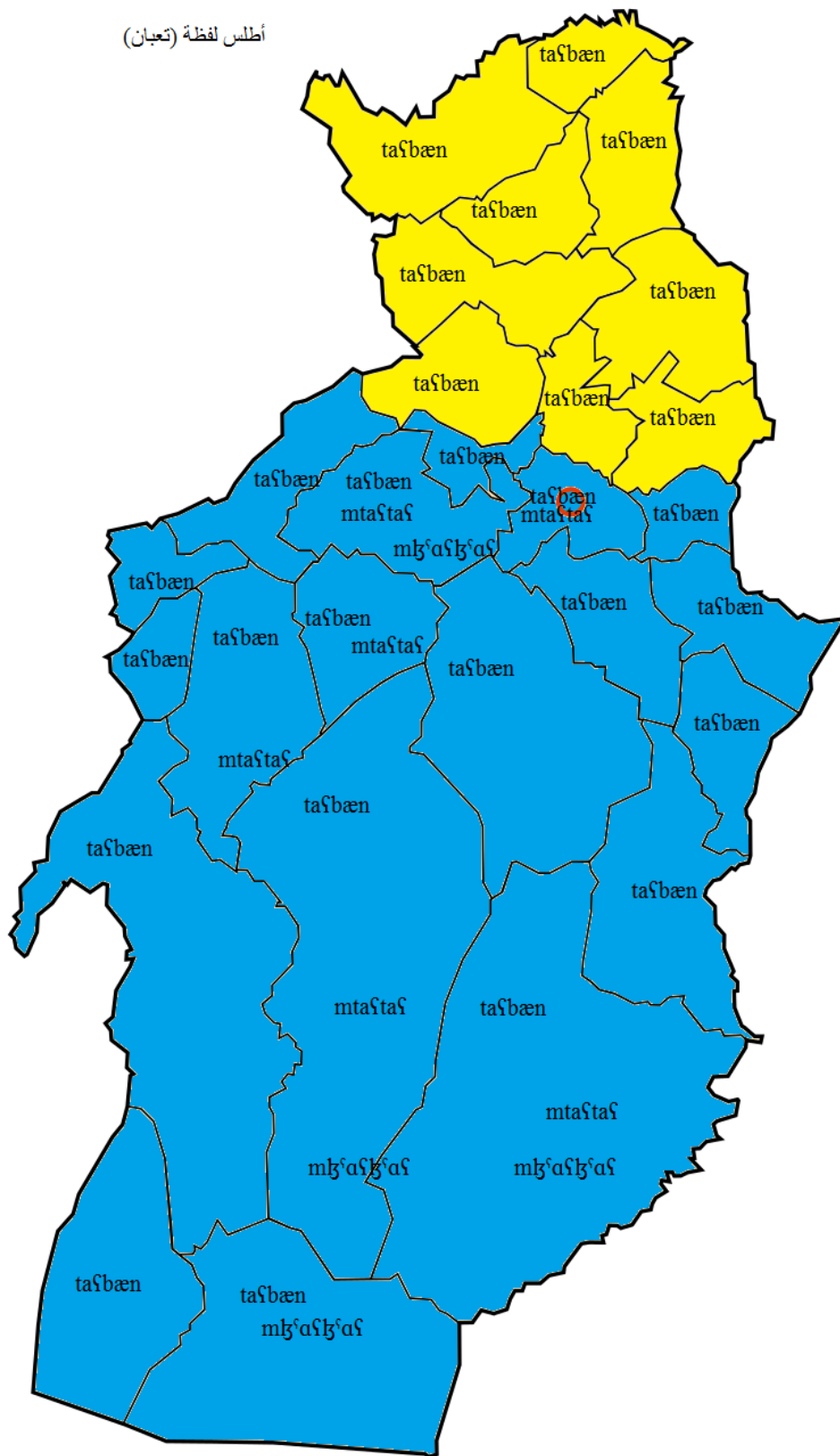


أطلس لغوي رقم 65

أطلس لفظة (فؤاد)

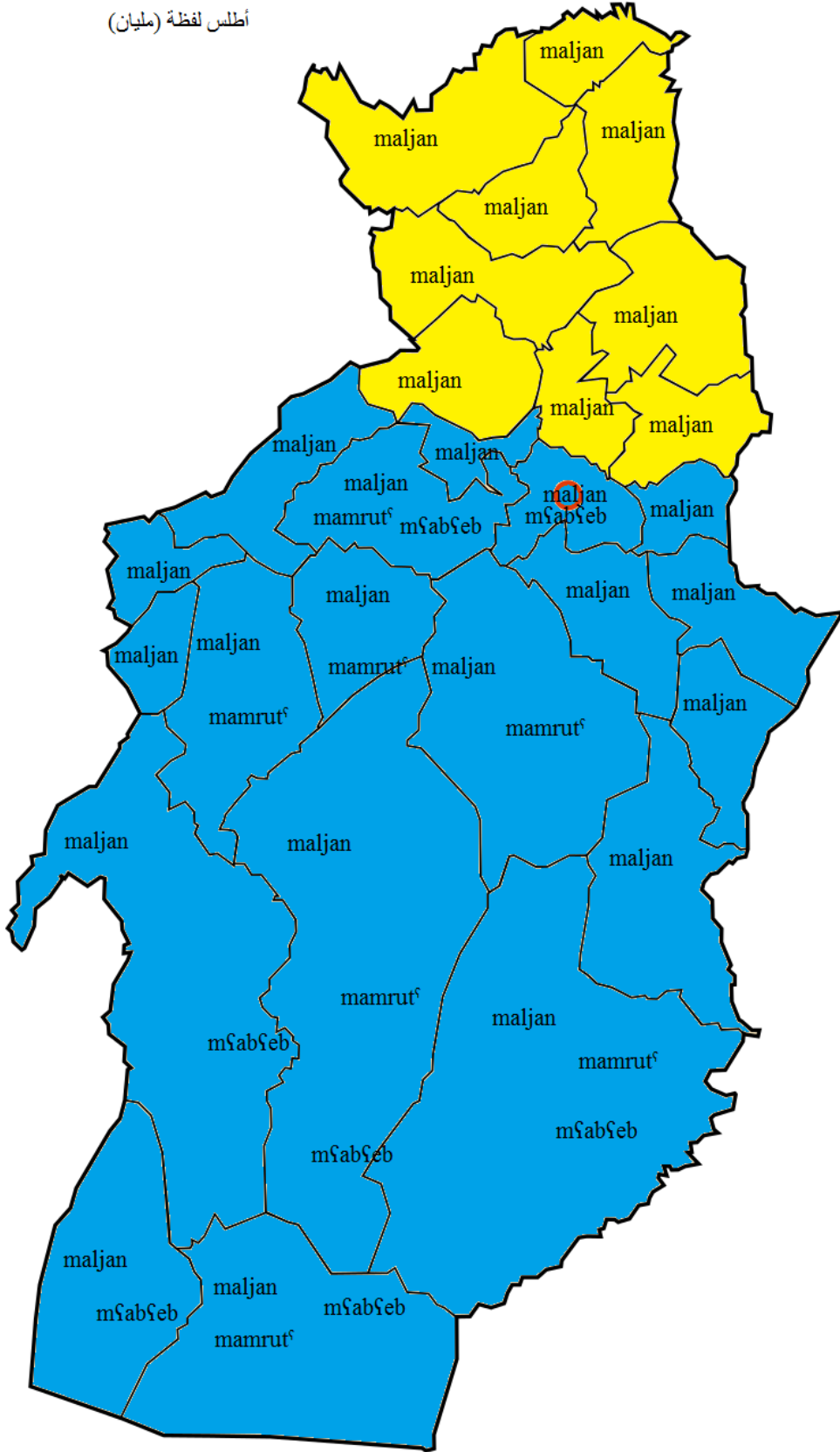


أطلس لغوي رقم 66



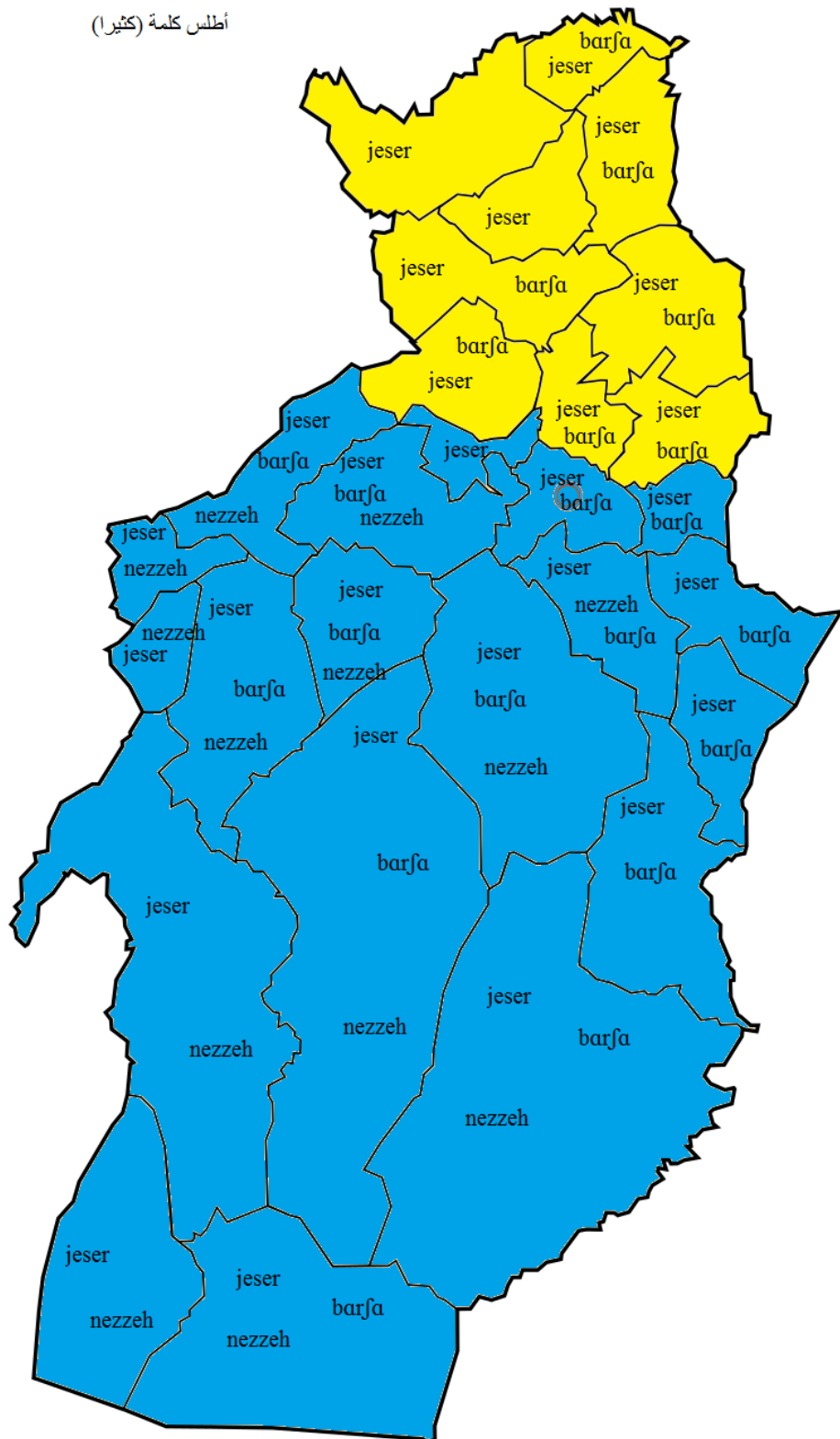
أطلس لغوي رقم 67

أطلس لفظة (مليان)



أطلس لغوي رقم 68

أطلس كلمة (كثيرا)



أطلس لغوي رقم 69

تمهيد:

تتميز كل لغة وكل لهجة في العالم بمعجمها الخاص، وتتفاضل اللغات على بعضها البعض في الاكتفاء والكفاءة والشمول؛ أي فيما كان معجم لغة ما يحقق لها الاكتفاء، دونما حاجة للاقتراض من لغة أخرى، وإن كان هذا المعجم يحقق الوظائف التواصلية واللغوية المنشودة خاصة التعبيرية منها، وإن كان معجمها قد شمل جميع المعاني والدلالات أو أغلبها، بينما تتفاضل اللهجات معجمياً في لغة واحدة فيما بينها، بالذي تتفاضل به اللغات وتزيد عليها بالأصالة، أي إلى أي مدى تقترب اللهجة من اللغة المعيارية أو تبتعد عنها، ومفهوم المعجم:

لغة: يرى الفراهيدي أن المعجم هو «حروف الهجاء المقطعة، لأنها أعجمية، وتعجم الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته ويصحح»¹ وهذا التعريف اللغوي يحيل إلى أن معنى العجمة هو عكس العروبة، أي أنها تدل على الإبهام نقيض البيان والوضوح الذي يدل على العروبة.

اصطلاحاً: يرى أحمد مختار عمر، أن المعجم هو «كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما، ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها وكتابتها، مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالباً ما تكون الترتيب الهجائي»² وهذا التعريف يحصر عمل المعجم واهتماماته باللغات فقط، وما احتوته من مفردات ومعان المفردات تلك وتوظيفاتها اللسانية، وفق ترتيب هجائي لتسهيل البحث، بينما يضيف محمد علي الخولي على هذا التعريف، ويرى أن المعجم هو «مرجع يشتمل على كلمات لغة ما، أو مصطلحات علم ما مرتبة ترتيباً خاصاً، مع تعريف كل كلمة أو ذكر مرادفها أو نظيرها في لغة أخرى، أو

¹ الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج3، ص 105.

² عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط8، عالم الكتب، مصر، 2003، ص 162.

بيان اشتقاقها أو استعمالها، أو معانيها المتعددة أو تاريخها أو ألفاظها.¹ فالترتيب الهجائي ليس شرطاً، واختصاص المعاجم في التعريف باللغات ليس شرطاً أيضاً، بل يمكن تأسيس معاجم ترتب حسب طرق مختلفة، وتتخصص في علم من العلوم كالفيزياء أو البيولوجيا أو غيرها.

والدراسة الجغرافية اللغوية لا تهتم بمعجم اللهجات، من حيث وصفه وتصنيفه، بل تقابل معاجم اللهجات داخل اللهجة الواحدة، وتسجل ما اختلف منها، لأنّ الذي تطابق وتشابه؛ لا حاجة به إلى أطلس جغرافي يوضح أماكن توزّعه، وقد تشابهت تلك الخصائص المعجمية في كلّ المناطق، فالعمل في هذا المستوى من اللغة، يُعنى بمقابلة الألفاظ والكلمات التي تشكّل معجم كلّ لهجة في تبسة، ودلالاتها ومعناها الذي تشغله في الأداء اللساني لدى المستعملين، و مفهوم علم الدلالة:

لغة: يرى الفراهيدي أنّ «الدلالة: مصدر الدليل (بالفتح والكسر).»² وتتفرّع هذه الكلمة من الجذر (دَلَل)، وله أصلان «أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء، كأن نقول: فالأول دللت فلانا على الطريق، والدليل: الأمانة في الشيء وهو بين الدلالة والدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلّل الشيء، إذا اضطرب.»³ وهذا المعنى اللغوي يشير إلى الإرشاد والأمانة.

اصطلاحاً: الدلالة عند القدماء هو «كون اللفظ بحيث إذا أرسل علم منه المعنى للعلم بوضع ذلك اللفظ لهذا المعنى.»⁴ وعلم الدلالة هو «ذلك العلم الذي يدرس المعنى.»⁵ ويضيف رجب عبد الجواد على هذا، بكون هذا العلم يدرس المعنى «سواء على مستوى

¹ الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1982، ص 74.

² الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج2، ص 43.

³ ابن فارس أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مج2، دار الجيل، لبنان، 1999، ص 259.

⁴ سعد محمود توفيق محمد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1987، ص 11.

⁵ عمر أحمد مختار، علم الدلالة، ط1، عالم الكتب، مصر، 1998، ص 11.

الكلمة المفردة، أم على مستوى التركيب، وما يتعلّق بهذا المعنى من قضايا لغوية، أي أنه يدرس اللغة من حيث دلالتها، أو من حيث إتّها أداة للتّعبير عمّا يجول بالخاطر، وهو فرع من فروع علم اللغة.¹ فعلم الدّلالة إذن يُعنى بالمعنى الذي يُراد، في أصغر وحدة لغوية وهي الفونيم إلى أكبر وحدة لغوية وهي النّص، وحاجتنا به في الجغرافيا اللغوية، هي التّعريف على معاني ألفاظ المعجم التّبسي، لنستطيع الوقوف على ما اختلف منها، وتوثيقه وتوزيعه وتصنيفه.

واعتمدت المقاربة في هذا المستوى اللغوي، على نظرية الحقول الدّلالية، والتي تعتمد على تصنيف الألفاظ حسب حقول دلالية تجمعها، والحقل الدّلالي كما عرفه ستيفن أولمان Stephen Ullmann (1914-1976) على لسان أحمد مختار، هو «قطاع متكامل من المادّة اللغوية تعبّر عن مجال معيّن من الخبرة.»² أي أنه حيّز متناسق من الألفاظ ذات الصّلة التي تجمع بينها في مجال محدّد، كحقل البيئة، وحقل الألوان، وحقل الحيوانات وغيرها، وهذه الطريقة تسهّل عملية مقابلة اللهجات في مستواها المعجمي الدّلالي، وتفتح المجال أمام الباحث لتمييز بين التّمايزات اللغوية بين كلّ منطقة وأخرى.

وتشتمل المقاربة بطريقة الحقول الدّلالية، على دراسة التّرادف والتّضاد، والاشتقاقات وعناصر الكلام وتصنيفاتها النّحوية، وكذا دراسة الحقول التّركيبية، والحقول المتدرّجة للدّلالة، لكن ما يناسب البحث الجغرافي اللغوي، هو دراسة التّرادف من المعجم اللهجي، لأنّ دراسة التّضاد وغيرها لا تمكّن الباحث من الوقوف على أهمّ الاختلافات المعجمية الدّلالية بين كلّ لهجة وأخرى، فالألفاظ المتضادّة نفسها عند كلّ المستعملين، والاشتقاقات تمّت مقاربتها في المستوى الصّرفي، وعناصر الكلام وتصنيفاتها النّحوية، لا تخدم البحث في الفروق الدّلالية

¹ إبراهيم رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص 11.

² عمر أحمد مختار، علم الدلالة، طه، 2006، ص 79.

المعجمية بين اللهجات، ولا دراسة الحقول التركيبية أو المترجّة للدلالة، فليس مجالها فرز الاختلافات المعجمية اللفظية.

وقد شملت الدراسة الدلالية المعجمية، مجموعة من الحقول الدلالية من المترادفات، التي يبرز من خلالها الاختلاف اللساني المعجمي بين كل لهجة من لهجات تبسة، وكانت كالتالي:

4_1_ بالنسبة للأفعال:

نجد من بينها الحقول التالية:

حقل الرؤية: يضم المعجم التبسي بصفة عامّة أفعالاً كثيرة تدلّ على الرؤية، وتختلف استعمالاتها حسب السياق والضرورة، ويمكن تسجيل اختلافات واضحة جدّاً بين المستعملين اللغويين، بين أهل الشمال وأهل الجنوب، وبين الحضر والبدو، فنجد الأفعال: (شَاف، خَزَر) عند الجميع خاصّة الحضر منهم، بينما يتقرّد بدو أولاد يحيى بن طالب بـ (نَظَر)، ويزيد على هذه كلّها قبائل اللمامشة ومن كان ضمن حيّزهم الإجتماعي الجغرافي الأفعال: (زَاعَى، بَصُر، شَبَح، رَاى) عند الأعراب في الشريعة وبئر مقدم والمزرعة وبئر العاتر وثليجان ونقرين وفركان¹.

حقل الإظهار: يستعمل الحضر الفعل (وَرَى) وهو من الأصل: أَرَاهُ من فَعَّلَهُ، ويشاركهم في استعمالهم مستعملوا لهجة أولاد يحيى، بينما يكثر اللمامشة من الفعل (نَعَّت)² وهو من المصدر (النَّعْت) أي الوصف، ونجد الجميع في ولاية تبسة يتشاركون في استعمال (وَضَح، بَيِّن).

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 43، والتسجيلان الصوتيان رقم 27 و28.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 44، والتسجيلان الصوتيان رقم 29 و30.

حقل الخوف: يستخدم الحضر الفعلين (خَاف، فَجَع)، ويشاركهم البدو فيهما باحتشام، بينما يتفرد البدو من اللمامشة وأولاد يحيى وغيرهم بالفعل (عَسَرَ) من (العُسْرَة)¹، ويتفرد سكان الضاحية الجنوبية من مدينة تبسة، التي يهيمن عليها اللمامشة باستعمال الفعل (خَوْش) مكان (خاف)².

حقل المناداة: يشترك الجميع في استعمال الفعل (عَيَّط)، ويتخالف أهل الشمال والجنوب في: (أَرْوَّاح) عند أولاد يحيى، و(أَرَّاح) عند اللمامشة وأصلهما من المصدر (الرَّوَّاح)³، بينما يستعمل بدو اللمامشة الفعل (تَعَالَى) والفعل (نَادَى) في بئر مقدم والشريعة والمزرعة وجميع الجنوب التبسي، وينفرد سكان الحدود شمال الولاية باستعمال الفعل (إِيَجَا) من (المَجِيء)، في رووس العيون، والمريج، والحواف الشرقية للحويجبات، كما يستعملها بعض بدو أولاد بوقصة وأولاد عبيد الشريف، الذين يقطنون شبه رحلا بالقفارات الجنوبية⁴، كما يتشارك الجميع في ولاية تبسة في الفعل (نَدَه) ومعناه «الزجر عن الحوض»⁵، ولا تستعمل عند العرب قديما إلا للابل، واستعمالها اليوم بمعنى (بَعَثَ) وأحيانا (الزجر والهجوم) هو تأكيد على بداوة القوم الضاربة، وعروبتهم الراسخة.

حقل المجيء: يشترك جميع سكان تبسة في استعمال الفعلين: (يَجِي، يَطُل) من (المجِيء، الإِطْلَال)⁶، بينما ينفرد اللمامشة بالفعل (جَبَى) وهو من المصدر (الجَبِي) أي الركوع والسجود حسب سياقها، وأيضا فعرب اللمامشة الجلامدة وأولاد حميدة وأولاد شكر وأولاد أسيد (مسعود وخليفة)، وأولاد عبيد الشريف يستخدمون الفعل (يَأْتِي)، وينفرد التكاكة

¹ ينظر التسجيل الصوتي رقم 31.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 45.

³ ينظر التسجيلان الصوتيان رقم 27 و32.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 46.

⁵ الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج4، ص 207.

⁶ ينظر التسجيلان الصوتيان رقم 20 و21.

وأولاد بوقصة بالفعل (ذَلَف يذَلِف) وفيها قلب لأنَّ أصلها (زَلَف) وقلبت الزَّاي ذالا، وتعني الاقتراب¹.

حقل السَّوَال: يستخدم الجميع في تراب الولاية الفعل (سَقَّصَى) من (الاستقصاء)، إنَّما ينفرد البدو عند أولاد يحيى واللاماشة بالفعل (نشِد) الذي يُنطق أحيانا (نجد) بالجيم، وهو من (المناشدة)، ويستعمل العرب من اللاماشة وأولاد عبيد الشَّريف الفعل (سأل) حيث ينطقونه (سهل)، وهذا عند طائفة قليلة ممن لا يتخالطون بغيرهم، من بعض عمائر أولاد حميدة وأولاد مسعود والجلامدة الغائرين في البداوة، بينما الحضر يكثر من استعمال الفعل (حَوَّس) من (الحَوَّس) بمعنى الانتشار عند العرب قديما وبمعنى عاث فسادا وانتشر، وقد تغيَّرت دلالاته في هذه الحالة لتعني البحث والسَّوَال².

حقل السرقة: يشترك الجميع في استعمال الفعل (سَرَق)، ويزيد حضر أولاد يحيى وتبسة المدينة الفعل (هَبَّش) من (هَبَّش) وهو الاحتيال، ويتفرَّد شباب تبسة المدينة وبكارية والحمَّامات، بالفعل (سَلَّت) من (السَّلَّت) وهو الأخذ، بينما يستخدم بدو اللاماشة في القسم الجنوبي الفعل (خَنَّب) من (الإخْنَاب) وهو الإفساد والخديعة³.

حقل الثَّرَب: يستعمل الجميع في الولاية الأفعال التالية: (قَرَّب)، (قَدَّم)، (زَدَم) من (صَدَم)، (رَجَع)، بينما يتخالفون ويتميزون في استعمال (وَجَّر) عند غالبية اللاماشة وأولاد عبيد الشَّريف جنوبا، و(سَاخَر) وهي من (التأخير) أيضا بيد أنهم أضافوا السَّين للتبئية، عند الحضر في تبسة وبكارية ومناطق نفوذ حلف أولاد يحيى بن طالب، وينفرد بدو الجنوب بالفعل (نَكَّب) من الفعل (نَكَّب) من المصدر (النُّكْب) وهو التَّقَرَّب والمساعدة، وهذا نجده ببئر مقدم والشَّريعة والمزرعة، والعقلة وبئر العاتر، ونقرين وفركان، وبجَن والسطح، والماء

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 47.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 48.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 49، والتسجيلان الصوتيان رقم 33 و34.

الأبيض وصفصاف الوسرة وثليجان، كما يتقرّد سگان ونزة والعوينات وبعض سگان المريج بالفعل (وَلَى)¹.

حقل الاختباء: يشترك جميع المستعملين اللغويين في الأفعال: (تَحَزَّن)، (تَخَبَّأ)، (لَبِد) وتعني الالتصاق بالأرض؛ ومن أسماء الأسد (اللابد) حيث يلبد ليصطاد، (تَدَرَّق) مشتقة من (الدَّرَقَة) وهي الترس المصنوع من الجلد، ويزيد أهل تبسة المدينة الفعل (تَتْرَس) من الترس أيضا، بينما نجد البدو عند اللامشة يستعملون (اتَّقَى) و(حَنَس) و(تَوَارَى)²، ويستعملها أيضا بدو أولاد يحيى لكن بنسبة صغيرة.

حقل الالتصاق: يستعمل الجميع الفعل (لَصَق) وينطقه الغالبية (لَزَق) بمعنى صاحبه ولم يتركه، ويزيد اللامشة وأولاد يحيى على حدّ سواء استعمال الفعل (لَبَط) من (الالتباط) أي لزوم الشيء والالتصاق به، وهي من الفعل (تَأَبَّط) وينطقها أهل الولاية (تَلَبَّط)، وهذا النطق يشترك فيه معهم بنو هذيل في السعودية، وينفرد الحضر بالفعل (تَوَلَّه) في تبسة المدينة وحواضر اللامشة كالشريعة وبئر مقدم وبئر العاتر، وكذا في الكويف ومرسط وحتى في ونزة وما حولها³.

حقل الحب: يستعمل جميع سگان تبسة الفعلين: (حَب) أي (أَحَبَّ)، و(شَتَى) وهو من الفعل (اشْتَهَى) بحذف الهاء، بينما يتقرّد البدو جنوبا بالفعل (أَبَى)⁴ عند نفي المحبة كقولهم: ما ابیتش نُشْرُب، أي: ما حَبِيْتش نُشْرُب، بينما يستعمله كبار السن للدلالة على توكيد المحبة والرغبة، كقولهم: تَابِي الدشيشة وَالْأَاحَمَّصَة؟ وأصل الفعل من (أَحَب) فيحذفون الحاء استئقالا، وأصحاب هذا الاستعمال محصورون جغرافيًا وإثنيًا في ليبيا وجنوب تونس وجزيرة العرب.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 50.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 51.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 52.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 53.

حقل الشرب: يستعمل الحضر الأفعال التالية: (شرب)، (قَرَب)، (رَشَف)، (جَعَم)،
ويزيد البدو عليهم الأفعال التالية: (حَسَى)، (زَقَى) التي أصلها (سَقَى)، (رَوَى).¹

4_2_ بالنسبة للأسماء:

حقل المكان: يشترك سكان ولاية تبسة في استعمال ظروف المكان التالية: فُوق،
تَحْت، وَسَط، ثَمَّه، لهيه، غَادِي، بينما ينفرد بدو الجنوب اللمامشة باستعمال: غَادِيَتِك،
ثَمَّتِيَك، وهذا في بئر مقدم والشريعة وما كان جنوبها من دوائر وبلديات.²

حقل الزمان: يستعمل سكان الولاية جميعهم ما يستعمله العرب من ظروف الزمان،
ويتميزون باستعمال كلمة: (تَوَّا) وينطقها بعضهم (تَو)، وهي لفظة شهيرة عند قيس من
العرب قديما، وتطرأ لفظة (دُزَك) على المجتمع التبسي، لأنها ليس أصيلة تبسة، ولا
يستعملها إلا المقلدون لمجتمعات غرب ولاية تبسة، وينفرد بعض اللمامشة وأولاد عبيد
الشريف، باستعمال لفظة (الآن).³

حقل أثار البيت: نجد اختلافا واضحا جدا بين الأسماء التي يطلقها الحضر على
أثاثهم، وبين ما يطلق البدو من أسماء على أثار بيوتهم خاصة الرّحل منهم، كذلك نجد
انفراد بعض القبائل بأسماء معينة دون غيرها، فالفراش مستطيل الشكل المحشو صوفا عادة
أو اسفنجيا، يسميه الحضر والبدو (مَطْرَحًا) في تبسة وجميع بلدياتها، وينفرد أولاد مسعود
بمختلف عمائرهم باسم (جَرَايَة)⁴، في قريقر والشريعة وتبسة وسردياس.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 54.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 55.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 56.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 57.

ويسمّي الحضر جميعهم الزّربية باسمها، ويزيدون (الحصير) و(الحصيرة)، ويستعمل البدو اسم (السّرّيد)¹ لما يفرش كالحصير وهو من جلد الغنم، بينما يسمّيه الحضر (جلدا).

وأما أدوات المطبخ، فالموقد الصّغير المصنوع من الحديد، يسمّيه سگان الشمال وبدو الجنوب (طابونة) من الطّابون وهو مكان دفن النّار، ويسمّيه أهل تبسة المدينة وبعض اللمامشة (ريشو)² وهي كلمة أعجمية فرنسية معرّبة، بينما البدو الرّحل لا يستعملون هذا بل يستعملون لفظ (الوقيد).

ويسمّي الحضر ومعهم أولاد يحيى جميعا (الصّحن) ب(الصّحن)، وينفرد الجلامدة وبعض أولاد عبّيد الشريف وبعض أولاد حميدة، بتسمية الصّحن ب(الشّقالّة) من (الشّقل)³، ويسمّي سگان الشمال ومعهم حضر تبسة وبكارية والمستعربة من بربر اللمامشة، (السّكين) ب: (السّكين) و(الموس) و(الشّفرة)، بينما ينفرد عرب اللمامشة من الجلامدة وأولاد حميدة وأولاد شكر، ومعهم عمائر أولاد عبّيد الشريف القاطنين جنوب الولاية، بتسمية السّكين ب(الشّاكريّة)⁴، ويسمّي أهل تبسة بالغالبية (الملعقة) ب(العُنْجَايَة) وهي عربية أصيلة، اشتقت من (العنّج) وهو الدّلال، وقد اعتادت العرب على الأكل بأصابع اليد مباشرة، واستعمال الملاعق دخیل عليها، فأروه تدلّلا وتغنّجا فأسموها العنْجَايَة، ويضيف بعض سگان ونزة والعوينات اسم (المغرّفة)⁵، بينما اسم (المغرّفة) و(المغرّف) يستعمله البقيّة للدّلالة على (العنْجَايَة الكبيرة).

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 58.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 59.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 60.

⁴ ينظر الأطلس اللغوي رقم 61.

⁵ ينظر الأطلس اللغوي رقم 62.

ويسمّي أهل الحضر في تبسة (المِكنَسَة) بـ(المصلّحة) و(المكنسة) أيضاً، بينما يسمّيها البدو بـ(الفَرّاحة)¹، ويسمّي جميع أهل تبسة الغريال بالغريال، إلا التكاكة وأولاد بوقصة ورهط الجلامدة، يسمّونه (الزردية)² من الزرد وهو نسج الدروع، إذ يشبّهون نسيج الغريال الحديديّ بنسيج الدروع قديماً.

حقل الرّجل: يصطلح أهل ولاية تبسة جميعهم على اسم (رّاجل) و(رّجالة)، بدلا من (رّجل) و(رجال) إلا أهل التكاكة فهم يفصحون بها، وكلمة (رّاجل) تعني: المترجل عن الفرس أو فرقة الرّجالة من الجيش الذين لا يبركبون الخيل، وأهل تبسة يستعملون هذا لسجيتهم وأصولهم المحاربة، فنجد البدو منهم في أولاد يحيى والمامشة وغيرهم، يضيفون اسم (ترّاس)³ اسم فاعل مشتقّ من الفعل (ترّس) أي المحتم بالترّس.

ويميّز جميع سكان الولاية الشّاب فيسمّونه (عزري) وهو من الفعل (عزّر) بمعنى الإعانة والمساعدة، وليس اللوم والعتب، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ المائدة 12. ويؤنثون اسم (عزري) إلى (عزريّة) وهذا استعمال شامل في كامل تراب الولاية.

حقل الأفتدة: يجتمع سكان تبسة كلّهم على استعمال لفظة (فواد) التي تنطق هكذا (أفاد) = [effed]، واسم (القلب) على ما يريدون به الأفتدة والجوارح، ويستعمل البدو منهم (الجوارح) ويشاركهم بها كثير من الحضر، بينما الغائرون في البداوة عند المامشة وأيضاً عند أولاد يحيى وأولاد عبيد الشّريف، يستعملون (جوانح) و(جواجي) من (المُجاج) وهو عصير الشّيء ولبّه، وينفرد أولاد عبيد الشّريف وأولاد بوقصة والتكاكة وبعض عمائر أولاد

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 63.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 64.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 65.

حميدة، باللفظ (كِنِين) من المكنون والكنائن، وكذا يتقرّد التّكاكة ب(نوابض) و(خوافق)¹ للدلالة على القلب والفؤاد.

حقل الحال: لا يختلف أهل ولاية تبسة كثيرا في استعمال ما يدلّ على الحال، أو ما يصفون به الموصوفات، لكنّهم ينفردون عن غيرهم من الجزائريين بألفاظ خاصّة جدّا بهم، فوصف التّعبان عندهم تستعمل فيها هذه الألفاظ زيادة على لفظ (تَعْبَان) و(فَشْلَان): (مُمرّمِد) كناية عن (المَرْمِدة) التي يُجمع فيها رماد النّار عند البدو، ونجد لفظة (تَام) أي منته من التّعّب، وينفرد الجلامدة بلفظ (مُتَعّع) من (تَعنّع الشيء أي حركه بقوة)، وكذا لفظ (مُضَعّض) من الهدم والخراب².

وإذا أرادوا وصف حالة الامتلاء، قالوا: (مَلِيَان)، وزادوا (مُلَعّم) للدلالة على الامتلاء للحد الأقصى، ويزيد التّكاكة وبعض الجلامدة وعرب أولاد مسعود لفظ (مَمْرُوط)، وهذا اشتقاق من اسم (المَرطَة) وهي عصا رقيقة ولها حواف كاللّوحة، يوزن بها ويستعملها الفلاحون والبدو، وانفرد التّكاكة وأولاد حميدة وأولاد عبيد الشّريف بلفظ (مُعَبّ) ³.

أمّا إذا أرادوا الكثرة، فإنّهم يستخدمون (يَاسِر) من المصدر (اليُسْر) و(المَيَسُور) هو الغنيّ، ويستخدمون (بِرْشَة) كناية عن «الأرض برشاء وسنة برشاء كثيرة العشب، والبرشاء النّاس، أو جماعتهم»⁴ والبرش «لون مختلط بنقطة حمراء واخرى سوداء»⁵، لكن يمكن تمييز موقع كلّ من الكلمتين، فكلمة (ياسر) موضعها بعد المسند إليه كقولهم: (مَشِيْت يَاسِر)، وأمّا (برشة) فتكون هي المسند إليه كقولهم: (برشة أمور صرّت في غِيَابِك).

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 66.

² ينظر الأطلس اللغوي رقم 67.

³ ينظر الأطلس اللغوي رقم 68.

⁴ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، ص 116.

⁵ الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج 1، ص 130.

وهذان اللفظان مستخدمان في كامل تراب الولاية، بينما يتفرد سكان البلديات الجنوبية، وبدو القفارات الشمالية، باللفظ (نَّزّه)¹ من النّزاهة أي يراد بها التّمام والكمال، كقولهم: إكْبَسْ نَزّه. و: نَحَبْكَ نَزّه. وقولهم: تعبان نَزّه، بكسر النّون أحيانا كثيرة.

¹ ينظر الأطلس اللغوي رقم 69.

الفصل الثاني

التشكّل الجغرافي اللّهي بولاية تبسة _ دراسة إثنّية وتاريخية_

- 1_ الأصول الإثنّية وتوزّعها في ولاية تبسة.
- 2_ تطوّر الخصائص اللغوية للهجات تبسة.
- 3_ عوامل تشكّل اللّجات في ولاية تبسة.

1_ الأَصُولُ الإِثْنِيَّةُ

وتوزَّعها على ولايئة

تَبَسُّة

تمهيد:

عُرفت تبسة منذ القدم مدينةً قديمةً أسسها الرومان، بل زعموا أنّ البربر الأوائل هم من بناها، كما عُرفت بلدياتها التي صارت اليوم جزءًا من الولاية، والتي لم تكن أسماؤها كما هي اليوم، وقد كانت هذه المنطقة مركزًا مهمًا للأحداث، فموقع ولاية تبسة الجغرافي جعل منها نقطة عبور من المغرب الأوسط¹ إلى إفريقية² ومن ثمّة إلى ليبيا ومصر، مما جعل أرض الولاية مسرحًا لمعارك تاريخية وحروب، فكانت منطقة تبسة محطة لا يقيم بها شعب أو يمكث، بعكس ما يظنّه بعض الباحثين المعاصرين بأنّ سكان تبسة يمثلون الإثنية نفسها منذ آلاف السنين، وهذا أمر لا يستقيم عقليًا ومنطقيًا وعلميًا، وإذا أردنا معرفة المكوّن الإثني التّبسي الحالي، علينا السّفر عبر الأزمنة والأمكنة إلى آلاف السنين من الماضي البعيد، ونقارب جغرافيّة المنطقة إثنيًا في كلّ مرحلة حتى تتجلى لنا حقيقة البنية الإثنيّة، التي تكوّن هذا النسيج القبلي العشائري المتماسك في الولاية.

فالنّظام الاجتماعي في تبسة هو نظام قبليّ، والنّزعة العشائريّة العروشيّة هي السائد بها، فالعرش لا يعني القبيلة أبناء الجدّ الواحد، بل هو مصطلح يعني بالدرجة الأولى العزوة والسند والحلف والموالي، فالقبيلة نسيج اجتماعي يتشكّل إمّا أصالة من رجل واحد، أو حلفًا بين عمائر وعشائر متعدّدة، أو موالاة بين إثنيّات عديدة لأسباب مختلفة، وقبائل اليوم في العالم بأسره إنّما هي مكوّن حلفيّ له نواة أحيانًا تتراكم عليها الأحلاف والموالي.

وحثّى نتبيّن المكوّن العشائري التّبسي، وحقيقة أصولهم، هذه الحقيقة التي تساعد في فهم عوامل تشكّل اللهجات السّابقة، التي تمّت مقاربتها آنيًا، ووجب تتبّع التّطوّرات الإثنيّة التّاريخيّة بالمنطقة، حسب ما وضّحته المصادر التّاريخية والأنثروبولوجيّة.

¹ المغرب الأوسط: هو الوسط الجزائري اليوم من وراء قسنطينة وصولًا إلى تخوم تلمسان، كما جاء في كتاب العبر.

² إفريقية: هي الرقعة الجغرافية الممتدّة من طرابلس شرقًا إلى بجاية وقسنطينة غربًا وتضم الوادي وورقلة أيضًا، كما جاء في كتاب العبر.

وقد كانت تبسة قبل الفتح أرضا لبربر زناتة ونفزاوة وأوربه، وكثير من شعب أوريغة، وروم بيزنطة الذين منهم من هو موجود فيها منذ أحقاب طوال، ولما تمّ فتح المنطقة لم يقيم العرب فيها، وحتّى القبائل التي كانت بها، دخلت في دوامة المدّ والجزر السياسية، فقد رحل كثير من مغراوة وجلّ جراوة من زناتة نحو الغرب، وتشتّت نفزاوة، وهاجرت أوربه إلى غرب الجزائر، هذا كلّه خلال المراحل التاريخيّة التي حكم فيها بنو أمية، وبنو العبّاس أمّة الإسلام.

لكنّ التنوّع الحقيقي وقع خلال العهد الفاطمي، حين استجلب الوزير اليازوري جحافل أعراب بني هلال وبني سليم، من صعيد مصر إلى بلاد المغرب لضرب الدولة الصنهاجية آنذاك، ومنذ القرن 11م، صارت تبسة منطقة عبور وحروب، فقد وطء بنو هلال تبسة بعد معركة الناصر بن علناس، ثم «تلاحقت طوائف الأعراب بأحلافهم إلى المغرب الأوسط عن طريق سيبية، ودخلوا تبسة وانتشروا في جنوب الأوراس، وقرى الزاب.»¹ كما يؤكّد الباحث خالد عبد المجيد قائلا: «وهلال بفرعيها الأثبج ودريد انتشروا في نواحي الأوراس وتبسة.»² إذن فبنو دريد وبنو الأثبج منهم من مكث في تبسة.

ثمّ ما لبث الوضع أن احتدم مجدّدا، ليزيح بنو سليم بني هلال من إفريقيّة إلى المغرب الأوسط، وسيطر بنو سليم على تونس من جنوبها إلى شرق الجزائر، بعناية والطّارف وسوق أهراس وتبسة والوادي، وقد دخل فيهم الطرود وعدوان، وبنو هذيل وعديد بلحارث القحطانيّة، وكما تؤكّد الدّراسات التاريخيّة القديمة أنّ «بني سليم، كانوا أكثر من الهلاليين عددا، تحوّلوا جميعا إلى مصر وبلاد المغرب فيما بعد، ولبثوا كثيرا من الزّمن، وانضمّ إليهم جماعات شتّى من القيسيّة والسبئيّة، مثل فزارة من القيسيّة، والمعقل من اليمنيّة، وبطون أخرى من القيسيّة. وصار اسم بني هلال علما على هذه الجماعات المتنوّعة

¹ خالد عبد المجيد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 107.

² المرجع نفسه، ص 171.

المتحالفة.¹ وقد سيطر هؤلاء العرب على المغرب كلّه، وتعاقت على منطقة تبسة القبائل والأعراق ولم تستقرّ الحالة الإثنية الاجتماعية، وقد وصف ابن خلدون الشكل الإثني جيّداً في عهده خلال القرن 15م، قبيل نهاية العهد الحفصي في المنطقة.

1_1_ التوزع الإثني في ولاية تبسة خلال عهد ابن خلدون:

وصف ابن خلدون (1332م-1406م) التّوزع الإثني بتبسة في زمانه أي خلال القرن 15م، حيث أكد أنّ هوّارة تنتشر من شمال مدينة تبسة إلى باجة نحو الشمال الشرقي، وأنّ هوّارة هذه صارت في عداد بني هيب السّلميين، وقد تعرّبوا تماما، فيقول: «ويظعنون مع الحرة من بطون هيب من سليم بأرض التلول من إفريقية ما بين تبسة إلى مرماجنة إلى باجة، ظواعن صاروا في عداد الناجعة عرب بني سليم في اللغة والزّي وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب/.../ فأولهم مما يلي تبسة قبيلة ونيفن ورئاستهم لهذا العهد في ولد يفرن بن حناش.»² أذن فبنو حناش يقطنون بداية ممّا يلي تبسة، أي بعد تبسة المدينة، وهم قبيلة الحنانشة المعروفة.

ثمّ إنّ ابن خلدون يؤكّد أيضا أنّ قبيلة جراوة الزّناتية، التي كانت تهيمن على جبال وسهول جنوب ولاية تبسة، قد اندثرت واختفت من المنطقة، فيقول: «وافترق جراوة أوزاعا بين قبائل البربر، وكان منهم قوم بسواحل مليلة، وكان لهم آثار بين جيرانهم هناك/.../ والفل منهم بذلك الوطن إلى الآن لهذا العهد مندرجون في يطوفت ومن إليهم من قبائل غمارة.»³ فالقول إذن بوجود جراوة في تبسة أمر خاطئ، لكنّ قبائل زناتية أخرى ذكرها ابن خلدون تظعن في أقصى شرق الأوراس، حيث يقول: «ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي

¹ المرجع السابق، ص 75.

² ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، تح: أبو صهييب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ص 1624.

³ المرجع نفسه، ص 1804.

إفريقية، وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد.¹ في إشارة واضحة إلى تعرّب هؤلاء الزناتيين، «فهم على ذلك زناتيون متعرّبون في أسلوب الحياة والتّفكير فقط، تعلموا من العرب الهلاليّة سكنى الخيام واتّخاذ الإبل وما إلى ذلك ممّا ذكره ابن خلدون.² وهذه إشارة أخرى إلى عدم تعرّب هؤلاء الزناتيين تماما، خاصّة في لغتهم فهم لا يزالون يحافظون على لغة البربر، وزيانة هذه هي قبائل يفرن ومرنجيسة وبني عبد الواد ومرين ومغراوة.

ويصف ابن خلدون المنطقة عامّة في عهده قائلا: «وأما إفريقيّة كلها إلى طرابلس فبسائط فتح كانت ديارا لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر، وكانت قاعدتها القيروان وهي لهذا العهد مجالات للعرب من بني سليم وبني يفرن وهوارة مغلوبون تحت أيديهم وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم.³ إذن فالمنطقة الممتدّة من تبسة إلى طرابلس (إفريقية التي يريد ابن خلدون هي تبسة وضواحيها، لأنّه لو أراد قسنطينة وضواحيها لذكر بني هلال وهم الأشهر فيها) كلّها مجالات لبني سليم القبيلة العربيّة القيسيّة، وقد سيطرت بنفوذ واضح على يفرن الزناتية وهوارة، وإذ أنّهم نسوا رطانة الأعاجم أي لغة البربر، فهذا يعني أنّ بني سليم لم تتجبر على البربر، بل كان هيمنة ثقافيّة نفسيّة بالدرجة الأولى، لأنّهم لو تجبروا على البربر كما فعلت هلال من قبل، لاعتزل البربر العرب ولحافظوا على ثقافتهم ولغتهم.

1_2_ التوزع الإثني في ولاية تبسة خلال عهد الشّابيّة:

بعد عصر ابن خلدون كانت الدّولة الحفصيّة على مشارف نهايتها، وقد توسّعت الدّولة العثمانيّة في بلاد العرب، وكانت عائلة من بني هذيل من نسل الصّحابي الجليل عبد

¹ المرجع السابق، ص 1802.

² ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل فرج بن إسماعيل، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001، ص 05.

³ المرجع السابق، ص 1604.

الله بن مسعود رضي الله عنه، تقوم على الطريقة الناصرية في التصوّف، يتزعمها عرفة بن أحمد بن مخلوف الشّابي الهذلي خلال القرن 16م، وقد تجمّعت قبائل البدو حول عرفة الشّابي، الذي أراد مواجهة العثمانيين والإسبان الطامعين، والاستقلال عن الحفصيين، فحشر من العرب والبربر كثرة من البدو، وتجيّشوا من بني هلال وبني سليم وزناتة وهوّارة ونفزاوة ولواتة وطرود وعدوان، وقريش وبلحارث وفزارة وغيرها، هؤلاء البدو معظمهم من الرّحل الذين لا يستقرّون، جاؤوا من ليبيا ومن أقصى المغرب مع كلّ موجة من موجات الحروب والنّزاعات، بين دول بني مرين وبني عبد الواد وبني زيان والحفصيين وغيرهم، يقول ابن عبد العزيز في قبائل المنطقة التي حالفت الشّابية: «البدو الرّحل المنحدرون من أعقاب الهلاليين وبقايا البربر وغالبهم ينتج الكلاً لتربية المواشي، وليس لهم قرار دائم وأولئك هم معاسير الحروب ومواقيد الفتن من قديم، لا يحكمهم سلطان، ولا يضبطهم ديوان، تتردّد القبيلة منهم بين الدّول، كلما أضرّبتها دولة نزعت إلى أخرى كما تكرّر ذلك من الحاناشة والنّمامشة والهمامة ودريد وغيرها...»¹ إضافة إلى قوة الدّواودة الكبرى في ذلك الزّمان، وقد دخل في الحاناشة كثير من الكعوب ومرداس سليم.

ثمّ دخل الشّابية في حروب مع الحفصيين والإسبان، وأخيرا ضدّ العثمانيين، وقد بدأت القبائل المتحالفة تتخلّى عنهم شيئاً فشيئاً، حتّى بقيت مع الشّابية مجموعة من عشائر البربر والعرب في أرقو بالقرب من مدينة الشّريعة، كانت تلك العشائر مختلطة جدّاً، في الوقت الذي كانت فيه قبيلة الحاناشة التي تكوّنت من بني بعة بن حناش بن ونيغن الهوّاري، وأحلاف من هلال وسليم، قد انفصلت عن الشّابية وصارت موالية للعثمانيين، وقد فسحت المجال لقبيلة من أحلاط الكعوب وهوّارة وهلال وملا البربريّة، وهي قبيلة أولاد يحيى بن طالب، ومكّنتها من شمال تبسة الذي كانت الحاناشة تسيطر عليه، حتّى تحالفتها في مواجهة الأحلاف الجديدة التي تشكّلت، جزاء الوضع السياسي الجديد، خاصّة بعد ظهور الهمامة

¹ ابن عبد العزيز حمودة بن محمد، الكتاب الباشي، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 13.

كقوة كبيرة في الوسط التّونسي، والفرانسيش الذين يمثّلون البدو المحاربين في غرب تونس إلى شرق تبسة.

اجتمعت قبائل شتّى في جبال خنشلة وصحاري تبسة، لمواصلة قتال العثمانيين، وكانوا قبلها متحالّفين مع الحراكّة، الذين كان اسمهم عندها العواسي نسبة إلى عيسى بن حركات بن أبي الشيخ بن عساكر الرّياحي، وليس حركات بن زعازع الهوّاري فذلّم في ولاية الكاف في تونس، يقول الشّيخ العدواني في أوّل ظهور للمامشة بعد انهزام العواسي: «قلت له: لماذا تقول العواسي ونحن نتكلم بالمامشة؟ قال لي: أوّل الكلام يسمّوا بالعواسي، فلما وقعت بهم هذه الواقعة سموها بها.¹» ويعلق أبو القاسم سعد الله على هذا القول: «حسب هذا التّوضيح فإن (ف) ذكرت أن العواسي مشتقة من (عيسى) وأن كلمة اللمامشة أطلقت عليهم منذ القتال السّابق مع الأتراك، وعلق فيرو على ذلك بقوله أن العواسي هم سگان عين البيضاء.²» وهذا الأمر يؤكّده جميع شيوخ ونسابة اللمامشة، وليس كما يدّعيه بعض الهواة بأنّ اللمامشة من جدّ اسمه لموش أو موش بن جراو، فلفظة اللمامشة تعني المبعثرين، وهي من الفعل (لمشّ) أي بعثر، وحُرّفت اللّام إلى التّون بلسان الفرنسيين العجم في عهد الاحتلال، واشتهروا باللمامشة.

يقول العدواني في سبب التّسمية: «رجع الجزيري ببقية عسكره ونزل الجزائر، فصار يسأل عن أعداءه ويقول: خبروني تلمّوشي لكي نمضي إليهم؟ هذا الخبر صحيح، ماكان حديثاً يفترى.³» كان هذا أوّل ظهور لعرش اللمامشة بالمفهوم المتداول اليوم، وكان أوّل من أطلقت عليهم هذه التّسمية، هم أولاد رشاش ثمّ شملت العلّونة والبرارشة المتحالّفين معهم، وكذلك فإنّ أولاد رشاش هؤلاء والعلّونة والبرارشة عبارة عن أحلاف، تشكّلت قبل العهد الحفصي وأثناءه وبعده.

¹ سعد الله أبي القاسم، تاريخ العدواني، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1996، ص 306.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 307.

ثم بدأت الحركات والانتقالات الإثنية تثبت جغرافيًا شيئًا فشيئًا، حتى عهد الاحتلال الفرنسي الذي ثبتت فيه تلك القبائل في جغرافيتها المعروفة اليوم، بعدما حصل تمازج واختلاط كبير جدًا بين الإثنيات، بسبب الحروب من جهة والعوامل الدينية من جهة أخرى، وبسبب الحاجة الاقتصادية للمراعي والسياسات المتوالية على المنطقة.

1_3_1_ أصول القبائل في ولاية تبسة:

يحتوي المكوّن الإثني في تبسة أربع إثنيات متميزة، واضحة النّفوذ الاجتماعي والتّاريخي، وهم اللمامشة، وأولاد يحيى، وأولاد عبيد الشّريف، والفراشيش، وقبائل قليلة العدد لا يظهر نفوذها كثيرا، وهم الزّغالمة، الكلاع، أولاد ملول، أولاد دراج، الحراكطة، النّقارنية، بعض شاويّة الحنانشة في العوينات وونزة، وكذا نجد المزابيّة في تبسة المدينة، والقبائل في تبسة المدينة والكويّف، وبعض السّاكنين من سوف ومن ولايات أخرى، أمّا القبائل ذات القوّة والكثرة فهي:

1_3_1_1 حلف اللمامشة:

هي مجموعة من العشائر مختلفة الأصول، كوّنّت أكبر حلف في شرق الجزائر، ظلّ الجدل يدور حول أصول هذه العشائر حتى هذه السّاعة، فمنهم من نسبها إلى هوّارة، ومنهم من نسبها إلى زناتة، ومنهم من نسبها إلى هلال، لكنّ كثيرا من الباحثين أكّدوا أنّ اللمامشة عبارة عن حلف كبير، وهذا ما يراه الباحث الذي يعيش بينهم مدة من الزّمان، حيث يرى اختلاف لغاتهم ولهجاتهم وثقافتهم وعاداتهم، وحتى أشكالهم تختلف بين هذا وذاك، وقد رأى كاريت E. Carette (1808م-1889م) أنهم حلف من هوّارة وزناتة وعرب هلال وسليم وفرّق بين عربيهم وبربرهم ببراعة، وكذلك فعل فيرو CH. Férau (1829م-1888م) حيث رأى أنهم أحلاف هلالية هواريّة زناتية، يقول فيكتور بيكات Victor Piquet (1876م-19..م): «في الأوراس، تقطن نفاوة ولواتة. أمّا هوّارة فتقيم بمنطقة البدو الرّحل وتختلط

بقبائل العرب هناك، حيث تسمّى: الحنانشة، النّمامشة، الحراكطة.¹ ويتكوّن اللمامشة من ثلاثة فروع كبيرة هي: العلاونة والبرارشة والرّشائش، يقول ماسكراي E. Masqueray (1843م-1894م): «إذا درسنا بعناية الفروع الثلاثة التي تتكوّن منها هذه القبيلة الشّهيرة (أولاد رشاش، برارشة، علاونة) فإنّنا نجد مجموعات عرقية عربيّة غير متساوية، تشكّل هذه المجموعات العربيّة خمسي البرارشة، وأربعة أخماس العلاونة الذين نكرهم ابن خلدون بأنهم عرب أقحاح، وعلى العكس من ذلك، فإنّ أولاد رشاش الذين يطلقون على أنفسهم زناتة، لا يحتوون إلّا على عنصر ضئيل من العرب.»² وهذا تدقيق من الرّجل لم يسبق إليه أحد قبله، ويبرّر لذلك قائلا: «ومن ناحية أخرى، فقد اتّخذ البرارشة والعلالونة الحدود التّونسية طريقا لهم، وغالبا ما يذهبون إلى الجريد، ونتيجة لذلك، استقبلوا من الشّرق عناصر عربيّة واستوعبوها، ولم تستطع اختراق أولاد رشاش.»³ بينما يصفهم توماس شو Thomas Shaw (1694م-1751م) بأنّهم عرب، حيث يقول وهو يصف الطريق بين تبسة وخنشلة: «على سبع أماكن نحو الجنوب فقط، قرية النّمامشة، التي اشتقت اسمها من غابات أشجار التوت التي تنمو بشكل مذهل هنا، المحمل... القرية الرئيّسة لهؤلاء العرب.»⁴ وهذا تفصيل قبائل اللمامشة وفروعهم الذين في ولاية تبسة، لأنّ أولاد رشاش في ولاية خنشلة :

أ_ البرارشة: حلف نواته بنو أبي الريش بن مهايا المعقلي، وقد ذكر ابن خلدون وجود المعقل في منطقة إفريقية، أي تبسة وما إليها من مناطق إلى طرابلس، حيث قال: «وبإفريقية منهم فرقة وبرية ترتحل وتنزل، وهؤلاء هم المعقل الذين بإفريقية.»⁵ والمعقل هم قبيلة بلحارث الشّهيرة، فهم من «بني الحرث بن كعب بن عمر بن علّة بن جلد بن مذحج، واسمه مالك،

¹ PIQUET VICTOR, Les Civilisations de l'Afrique du nord _Berbères- Arabes- Turcs_, 3eme édition, Librairie Armond Colin, France, 1929, p : 366.

² MASQUERAY. E, Ruines anciennes de kenchla, Revue africaine, 23 eme année, Adolphe Jordan LIBRAIRE-EDITION, France , 1879, p: 89

³ MASQUERAY.E, RP, p: 89.

⁴ SHAW THOMAS, Voyage dans la régence d'Alger, TR: J.MC Carthy, Marlin éditeur, France, 1830, P: 381_382.

⁵ ابن خلدون، ص 1583.

ابن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زير بن كهلان، وهو معقل واسمه رببعة بن كعب بن رببعة بن كعب بن الحرث.¹ ويتكوّن البرارشة من القبائل التالية:

قبيلة الزرامة: هي أكبر قبائل اللمامشة عدداً، من بربر نفزاوة من مرنسية، ذلك أنّ موطنهم الأصلي كان قرية نفزاوة جنوب نفطة، وقد ذكر ابن خلدون أنهم اختلطوا بالشريد من بني سليم وزغبة بن مالك السلمي، عمائرهما كثيرة وهي: أولاد مبارك، أولاد عمر، أولاد البهلول وقيل أنّهم من الأدارسة، أولاد علي بن موسى، الفراحنة، أولاد سليمان، أولاد عبد الله، أولاد زيد وهؤلاء من بني هلال وقد عدّهم كارات من العرب، الشعاشة وهؤلاء من بني عوف السلمية كذلك قد عدّهم كارات من العرب، الجرارفة وهم من الشابية المتبقين في تبسة وأصلهم من عرب هذيل، ولسان الزرامة بربري بلهجة الشاوية، ويهيمنون على قريقر والشريعة والمزرعة وتليجان والعقلة وتبسة، ومنهم في توزر بتونس وعديد في قالمة، وبوسعادة وقسنطينة وسطيف.

قبيلة أولاد حميدة: من أفصح الأعراب هم، وهم نسل أبي الريش الأقحاح، عدّهم العوامر في حلف الأعشاش في عهده، وأكّد أنّهم من اللمامشة، وذكر نسبا فيهم ولم ينهه، وكان في بني بلحارث، وحسب قول عارفيهم فهم من ولد حميدة بن سعيد بن علي، فهم من حميدة بن سعيد بن علي بن أبي الريش بن مهايا بن عثمان بن خزّاج بن مطرف المعقلي، يهيمنون على الشريعة وتليجان، وتبسة ومنهم في بوسعادة وتوزر والوادي، وفخوذهم كثيرة تنقسم إلى ثلاث عمائر كبرى هي:

أولاد سي علي بن حميدة وهم: أولاد موسى، أولاد عبّاس، أولاد عبد الله، الزرارفة، أولاد أحمد بن علي، أولاد جبارة.

أولاد سعيدان وهم: أولاد سي سعد بن نصر، أولاد ربيعي، أولاد بوعزيز، أولاد تومي، اليعايشيّة، الشرف.

¹ المرجع السابق، ص 1583.

أولاد السّاسي وهم: أولاد السّايب، أولاد سعيد، أولاد بوعلي، أولاد خليفة.

قبيلة أولاد خليفة: ينتسبون وأولاد مسعود إلى أسيد وهو أسيد بن زافر السّلمي، ينسب أحمد عيساوي القبيلة هذه إلى محمد بن عبدون الهوّاري قائلا: «وهو جد أو لاد خليفة.»¹ وهذا نسب باطل، فهم بانتسابهم إلى أسيد فهم من الأعشاش، وقد ذكر ابن خلدون أنّ بني علاق وبني مرداس من سليم، كانوا يفاخرون براية جدّهم التي حملها مع رسول الله ﷺ، وهي راية سُليم الحمراء، ويسمى أولاد خليفة بالعرش الأحمر نسبة لراية سُليم الحمراء، فهم بنو خليفة بن يزيد بن عمر بن يعقوب بن عبد الله القوس بن كثير بن حرقوص العوفي السّلمي، وعمائرهم: أولاد سي محمد، أولاد مراح، أولاد عبودة، العداة وهم من بني عدي بن جشم من هوازن وهم: أولاد حمّاد، أولاد عبّاس، أولاد بوصبع، أولاد بوعزيز. وينتشرون في الماء الأبيض والدّكان وبحيرة الأرنب وتبسة وعددهم كثير جدا، ولا يتكلمون البربرية أبدا ولسانهم عربي في البادية وفي الحضر.

قبيلة أولاد مسعود: حالفوا أولاد خليفة وانتسبوا معهم إلى أسيد، لكنّهم من بني هلال الدّوادة الذين فصل ابن خلدون في ذكر أخبارهم، وأنّهم اندمجوا في سُليم بعد حروبهم الكثيرة مع الدّول، وجدّهم هو: مسعود البلط بن سلطان بن زمام بن ورديفي بن داوود بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة. وهم من أشرف بني رياح الهلاليين، وهم ممّن انقطع عن بني رياح وفصل مخالفة البربر بتبسة، بعد معارك هلال والمصامدة، حيث «استدرج المصامدة البدو إلى ناحية سطيف حيث دارت المعركة طيلة ثلاثة أيّام، وقد استعرض العرب فيها ضروبا من الحماسة، على أنّها انتهت بهزيمتهم وفرارهم إلى ناحية تبسة.»² وهكذا كان بعد دخولهم تبسة أن تحالفوا مع بقية القبائل.

عمائرهم ثلاثة، اثنتان منها أصليّة وواحدة حلف وموالة، فأما الأصليّتان فهما: أولاد سليمان، وهم من نسل أربعة أخوة رجب وخالد وعمّار ويوسف أبناء الطيّب بن أحمد بن

¹ عيساوي أحمد، ص 32.

² حسن محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، جامعة تونس، تونس، 1999، ص 41.

يوسف بن سليمان بن علي بن سباع بن يحيى بن مسعود البلط، ومن الأبناء الأربعة نشأت هذه العميرة الكبيرة.

أولاد شنينة: وهم من ثلاث رجال؛ صالح وعثمان وعبد الله أبناء عمرو بن علي بن شنينة بن محمد بن سباع بن يحيى بن مسعود، وأما العميرة المحالفة فهي أولاد بلحارث، وهم من مذحج القحطانية، وينتشر أولاد مسعود في قريقر وتبسة والشريعة وسردياس، ويتكلمون العربية ولا يعرفون من لسان البربر شيئاً.

قبائل أولاد المحبوب:

قبيلة أولاد بويحيى: قبيلة بربرية مستعربة، تتكلم الشاوية في بئر مقدم والشريعة والعقلة المالحة، بينما أهلها مستعربون جدا في تبسة المدينة وضواحيها، أصولهم من أمليلة من ولد بن أوريج، ذلك أنهم كانوا ضمن الحراكتة من قبل وتلك أرض أمليلة البربرية، عمائرهم: أولاد حامد، السكاكوية نسبة إلى خوارج السكاكية، أولاد بابار، أولاد يسعد.

قبيلة أولاد جلال: ذكرهم العوامر في مصنّفه، وقال أنهم من بربر اللمامشة وفيهم من الأتابج، هم اليوم في العقلة المالحة والماء الأبيض وبئر مقدم وتبسة، يتكلمون الشاوية في البوادي والعربية في الحضر، وهم حسب تواجدهم قديما من مغراوة الزناتية، إذا اختلطت مغراوة بهلال كثيرا، عمائرهم ثلاث: أولاد نورة، المخاننة، أولاد سالم.

قبيلة أولاد إبراهيم: قيل كانوا يتكلمون الشاوية، بينما هم اليوم لا يستعملونها أبدا، وهم من يفرن الزناتية التي كانت بتوزر بجريد تونس، ودخل بها من طليان سردينيا وروم بيزنطة القدماء، ثم دخل بهم عرب هلال وسليم، وكذا من الشركس العثمانيين كلقب باي وودّي، ينتشرون بالعقلة المالحة، وبئر مقدم والشريعة وتبسة.

قبيلة أولاد شكر: هي القبيلة العربية الوحيدة في حلف أولاد المحبوب، وهم من بني هلال لا محالة، وجاء في كتاب الإحياء بعد الإنساء: «أما قبيلة أولاد شكر فيقال أنهم من

قبيلة أولاد شكر الهلالية وهم كثر.¹ وهم من بني شكر بن حامد بن كسلان بن غيل بن دحل بن جماعة بن مسلم بن حمّاد بن مسلم بن عقيل بن مرداس بن رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة. ينتشرون بالعقلة المالحة وبئر مقدم والشريعة والحمامات وتبسة، ويتكلمون العربية ولا يفقهون الشاوية البربرية أبداً.

ب_ العالونة: حلف نواته بنو علي بن سالم الدبابي، ينتمون إلى شعب العالونة الذي ذكره ابن خلدون ضمن شعوب آل سالم الدبابي، ويؤكد النسابة والشيوخ بهذه القبائل، أنّ الجلامدة هم فقط العالونة الأصليون، بينما البقية أصهار وأحلاف لهم، حيث أنّ جلمود بن الحارث بن منصور العلواني، صاهر رجالاً قدموا من المغرب ومن ليبيا لا ندري ما الذي جمعهم، فزوّجهم بناته وكان هذا في نهاية العهد الحفصي.

اتفقت المصادر التاريخية والأنثروبولوجية جميعها، على أنّ العالونة من عرب بني سليم، ذكرهم ابن خلدون في كتاب العبر وهو يعدّ شعوب بني دباب، وقد «حصر المؤرخ أحمد توفيق المدني قبائل سليم بن منصور العدنانية في بلاد الجزائر في منتصف القرن الرابع عشر الهجري أي عام 1350هـ وقسمهم إلى قسمين:

' ذباب بن مالك ' و ' عوف بن بهثة ' :

1. قبائل ذباب منهم: أولاد أحمد، وبنو زيد، وصحبة، وحمارنة، وخارجة، وأولاد وشاش وفيهم حريز _جوازي_ محاميد، وأولاد سليمان، والنوائل، وأولاد سنان، وأولاد سالم وفيهم أولاد مرزوق _عالونة_ أميين.² ثم أضاف قوله بأن: «العالونة: قرب جبل وق وفي الجرف.

قلت: وهم من ذباب من بني سليم، وذكرهم ابن خلدون من بطون هيب من ذباب من بني سليم بن منصور، وكذلك ذكرهم المدني في تاريخ الجزائر من قبائل ذباب من سليم في

¹ شكر عبد الفتاح فتحي، الاحياء بعد الانساء، ج2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر، ص: 128.

² الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، ج1، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1997، ص 1006.

الجزائر، ومنهم في ليبيا ومصر بالوقت الحاضر.¹ كما يؤكّد ماسكراي Masqueray نسبهم إلى عرب سليم قائلًا: «وأربعة الأحماس من العلاونة، هم من العرب الأقحاح حسب ما أكّده ابن خلدون.»² وفي كلام الطيّب وجه من الحقيقة، فالعلاونة آل سالم بليبيا أبناء عمّهم علاونة اللمامشة، لكن ليسوا كلّهم من آل سالم، وقد ذكر الفايدى نسب العلاونة الدّبابية في ليبيا والجزائر قائلًا: «ينتمي العلاونة إلى علي بن سالم بن وهب بن رافع بن ذباب بن مالك بن بهثة بن سليم.»³ والعارف بأنساب وأحوال هؤلاء القوم، يدرك تمامًا أنّ الجلامدة هم العرب الأقحاح في العلاونة، ومعهم أولاد عون الله، خاصّة وأنّ الجلامدة موجودون في الجفرة بليبيا معقل عشائر العلاونة هناك، وهذا دليل آخر يؤكّد أصالتهم إلى سليم، وينسبهم كحالة قائلًا: «العلّونة: بطن من سالم، من هيب، من سليم بن منصور، كانوا يقيمون بإفريقية الشّمالية.»⁴ وقبائل العلاونة في تبسة هي:

ب_1_ الجلامدة: وهم خمسة قبائل عربيّة الأصل والثّقافة واللّسان، من جدّ واحد هو جلمود بن الحارث بن منصور بن المنور بن عون بن سلامة بن علي بن سالم بن جمعة بن كعب بن رافع بن وهب بن ذباب بن ربيعة الأخنسي الخفافي السّلمي، حسب اتّفاق النّسابة على هذا قبولا وشهرة وتواترا، ذكرهم العوامر في كتاب الصّروف، عندما تحدّث عن هجرة بني سليم من الوادي إلى جبل سيدي عبيد (العقلة)، بعد سوء مفاهمة مع أبناء عمّهم طرود بن فهم، إذا صاهر الجلامدة بربيرا من زناتة، فارتحلوا وإيّاهم إلى العقلة وتكاثروا هناك ثمّ سيطروا على نقرين وصحراء تبسة، وقبائل الجلامدة هي:

أولاد بوقصة: قبيلة كبيرة العدد تتوزّع في تبسة وبئر مقدم والشريعة والمزرعة ونقرين، وثليجان والعقلة، وتوزر والجفرة بليبيا، عمائرها خمسة وهي: أولاد محمد بن بوقصة، أولاد

¹ المرجع السابق، ص 1028.

² MASQUERAY, E, RP, P: 89.

³ الفايدى حمدي محمود الديداني، الماضي والحاضر في أنساب القبائل العربية، ج2، مكتبة دار العلم، مصر، 2010، ص 57.

⁴ كحالة عمر رضا، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج2، المكتبة الهاشمية، سورية، 1949، ص: 806.

منصور بن علي، أولاد حرّاث بن علي، أولاد عبيد بن علي، أولاد عبد الوهّاب بن علي، والأخيرة نسبها العوامر (1881-1934) إلى عبد الوهّاب السّلامي، فقال: «ينتسبون حسب قول قدمائهم إلى عبد الوهّاب السّلامي. أقول: فإن كانت نسبة السّلامي إلى أولاد سلام الذين هم بالهامة الآن فهم من أولاد سلام بن لبيد بن لعتة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن مالك بن زغبة بن نصر بن زايد بن سليمان بن وهب بن رافع بن ذباب بن مالك بن بهثة بن سليم... إلخ.»¹ ويضيف: «أقول: ويقرب هذا النّسب لهم إذ أنهم يعرفون الآن بالرّغبيين أيضا.»² وقد تداخلت سلاسل النّسب لدى العوامر فظنّهم من بني سليمان الدّبابي أخو سالم الدّبابي، لكنّ نسبة السّلامي ليست لسلام بل لسلامة بن علي بن سالم، وقد اعتمد العوامر على المنهل العذب، بينما صاحبه ينسب العلاونة إلى سالم قائلا: «وشعوب آل سالم بن وهب "العلّونة"»³ وقد ذكر المستشرقون أولاد بوقصّة ضمن عرب سليم وهلال.

قبيلة التكاكة: قيل هي اتحاد بين عمائر من بلقاسم بن جلمود ومحمد بن بوقصّة، فهم أبناء عمومة عاشوا سوياً وأطلق عليهم اسم الجلامدة بداية، ثمّ التكاكة بعد معارك اللمامشة والحنانشة قبيلة مخزن العثمانيين سنة 1830م، وتعني مجانين الحرب لشدة بأسهم وشجاعتهم، والتكاكة هم أربعة عمائر: أولاد بوقطف بن أبي القاسم بن جلمود، وأولاد عمارة بن أبي القاسم بن جلمود، وأولاد نويوة بن مختار بن أبي القاسم، وأولاد سالم بن محمد بن محمد بن بوقصّة بن جلمود، وهي تعتبر أصغر قبائل اللمامشة عددا، تتوزّع في بئر مقدم وسفوح تازينت، وجنوب شرق ثليجان ببادية بوموسى والموموثية، ونجدهم بالحمامات وبالأحياء الجنوبية بمدينة تبسة، لا يعرفون من لسان البربر شيئا، ولغتهم عربية فصيحة.

قبيلة أولاد حرّاث: هم بنو حرّاث الأقرع بن الحارث بن جلمود، حسب قول نسّابتهم، قبيلة كبيرة عربية اللسان والثّقافة رغم دخول هوّارة ويفرن فيها، عمائرهما: أولاد بوعون،

¹ العوامر إبراهيم ساسي، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تح: الجلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 405.

² المرجع نفسه، ص 406.

³ الأنصاري أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، مكتبة الفرّجاني، ليبيا، ص 111.

العبادلية، أولاد السّاسي، أولاد بوضياف، أولاد بوعزيز، أولاد عبّاس، الكراكدية وهؤلاء الأخيرين من قبيلة كركودة من مغر بن أوريغ البرانس، تتوزّع القبيلة في العقلة وتبسة ونقرين وسوف، ومنهم رهط كبير في توزر في مشيخة زبيد.

قبيلة أولاد موسى: من موسى بن الحارث بن جلمود، ينتشرون في الأماكن التي ينتشر فيها اخوانهم أولاد حرّاث ويزيدون عليهم في منطقة سردياس، عمائرهم هي: اللذايرية، أولاد سعيد، السّقارسية، العمامريّة، الشّرايفية، الجواينية وهؤلاء من بني هلال، وقد نسب العوامر أولاد موسى إلى بني حريز بن تميم بن عمرو بن وشاح بن عامر بن جابر بن دبّاب، ولكنهم من بني سالم وليسوا من بني جابر، وقد دخل فيهم كثرة من يفرن الزّناتية.

قبيلة الفجوج: هم ولد عزيز بن الحارث بن جلمود، سمّوا بالفجوج لاستقرارهم في فجوج الجبال، في فترة زمنيّة ما، منهم بطون انضمت إلى أولاد سيدي سالم الزّاوية في نفطة، وأمّا من هم بالمامشة فنجدهم في العقلة وتبسة وفي الأماكن التي ينتشر فيها اخوانهم أولاد حرّاث وموسى. وهذه هي قبائل الجلامدة الخمسة ذات الأرومة الواحدة.

ب_2_ أولاد بريك: يقول العارفون والشيوخ منهم أنّ بريك هذا رجل من بربر المغرب، من سلالة كانت ملوكا هناك، ويزيد بعضهم ويؤكد أنّ لهم جدّا اسمه كرماط، ولا نجد هذه المعطيات إلّا في بني مرين، فقد أكّد ابن خلدون أنّ الجهة الشّرقية للأوراس وصحاريه كانت مجالا لبدو بني مرين الزّناتيين، و«قال صاحب المؤنس: كان بنو مرين يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقيّة وينتقلون من مكان إلى مكان، وجلّ أموالهم الإبل والخيول وطعام اللحم والتّمّر، وجاء في كتاب رحلة بني هلال: لم يكن قوم أدرب من بني مرين في ركض الخيل وتعليمها وكانوا بادئ الأمر بالصّحراء.»¹ ويقول ابن الأحمر (1325-1405): «وكان بنو مرين موطنين ببلاد القبلة من زاب إفريقيّة إلى سجلماسة وينتقلون بين تلك القفار والصّحاري، لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتألم الدولة بهزيمة، ولا يؤدّون

¹ العوامر إبراهيم ساسي، ص 169.

إليها ضريبة كثيرة ولا قليلة، ولا يعرفون تجارة ولا حرثة، وإنما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد. وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوله زمان الربيع والصيف فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون إليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة أنعامهم وشاءهم، حتى إذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم بآكر سيف، ثم شدوا الرحلة إلى بلادهم فكان ذلك دأبهم على السنين.¹ وقد أكد ابن أبي زرع (ت 1326) وصف ابن الأحمر فيهم قائلاً: «كان بنو مرين أهل تصميم وصحة يقين يسكنون القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة ينتقلون في تلك البراري والقفار.»² وقبلة الزاب هي خنشلة وتبسة.

فهم حسب نسابتهم بنو بريك بن مركيش بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورزير بن فكوس بن كرماط المريني، وهم قبيلتان فقط في العلاونة:

أولاد سعد: قبيلة مستعربة لسانها بربري شاوي في البوادي وعربي بالحضر، نسبها كارات Carette إلى العرب في المجلة الإفريقية، لكنهم زناتيون يهيمنون على صحراء اللمامشة وجبل تازينت منذ ما قبل الفتح الإسلامي، ويضعنون قديماً إلى أقاصي المغرب الأقصى، دخل فيهم المصامدة وعرب فزارة، وعمارتهم: أولاد عيسى ومنهم: أولاد أحمد، كما نجد من عمائر أولاد سعد أيضاً: أولاد إبراهيم، البراقعية، أولاد الرايس، أولاد سلطان، الصوالحية، أولاد مسعود، أولاد خالد وغيرهم، وقيل عميرة أولاد مسعود هم من جراوة من ولد الكاهنة حسب قول المؤرخ عثمان سعدي، ويتوزع أولاد سعد في بئر مقدم بتازينت الجبل، وبعجيرة الأرنب، وبئر العاتر والحمامات، وصحاري المرموثية والرق، وتبسة المدينة، وهم كثرة بعنابة والعاصمة ووهران، ومنهم رهط عظيم بفرنسا أيضاً.

قبيلة الزرادمة: هم اخوة أولاد سعد وأممهم تدعى نواجع بنت جلمود؛ حسب قول شيخ العلاونة، وهم بنو محمد بن بريك بن مركيش المريني، وأطلق عليهم الزرادمة نسبة إلى زردمة

¹ ابن الأحمر، ص 07-08.

² الفاسي ابن أبي زرع أبي الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل يوجن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، السويد، 1823، ص 187.

بصوت جدّهم أي بحّة وقرقرة، ينتشرون في الأماكن التي تنتشر فيها قبيلة أولاد سعد، إلا أنّهم يزيدون عليهم بملك الأراضي التي تقع غرب تبسة المدينة، وبكارية، ولا نجدهم بتارينت إلاّ أسرتين فقط، وعمائرهم: أولاد عبد الرزّاق: ومنها: أولاد المودّع، أولاد عمارة، الدرع، العصيان، أولاد محمد الأزرق، القراوشية. ثم نجد العباددة ومنهم: أولاد رابح قيل من بني زعب، أولاد عون، المزاهدة، والمراغدية وهم فرع ضخم منهم، ولسان الزّرادمة شاوي بالبوادي وببئر العاطر بينما هو عربي بالحواضر.

ب_3_ أولاد ساعي: وهم حلف بربريّ عربيّ مكوّن من قبيلتين هما:

أولاد الشّامخ: قوم من البربر الأقحاح من نفوسة قدموا من ليبيا وقد خالطوا صبيحا الفزاريّة، واستقروا بين بني واسين في جنوب تونس، ثمّ التحقوا بالعلونة في جنوب تونس، يتوزّعون في تازيننت والحّمّات وتليجان، وبئر العاطر والشريعة وتبسة، ومنهم كثير بتونس وبنفوسة في ليبيا، عمائرهم ثلاث: أولاد منصور، وأولاد أحمد، وأولاد التّونسي، لسانهم بربريّ شاويّ في الحضر والبادية، لكنّ شبابهم في المدن أضاعوا البربريّة واستعربوا تماما.

أولاد عون الله: قبيلة عربية أصيلة دخل بها بعض هوّارة، وهم بنو عون الله بن عبد الحفيظ بن حسن من حساسنة صبيح، وهذا نسب مقبول من نسّابتهم، أصولهم من بني صبيح الفزاريّة وقد حالفوا بني يغرّمين، هكذا أشار شيوخهم في تبسة، ومنهم في أحلاف الفراشيش في تونس، ومنهم ما يزال في شرق ليبيا باسم أولاد عون الله حتى السّاعة، وعمائرهم: الحساسنة، الخلايلية، أولاد جاب الله، ولسانهم عربيّ في الحضر والبادية، ويتوزّعون في سفوح تازيننت، والحّمّات، وتبسة وبحيرة الأرنب.

ب_4_ الدّراويش: وهم قبيلتان بربريّتان أطلق عليهما اسم الدّراويش من طرف المستشرقين الفرنسيين، إذا أنّهم كانوا يتبنّون الطّريقة القادريّة الصّوفية، وهما من زناة من بني مرنجيسة، وهما من صاهرا الجلامدة في سوف وانتقلوا سويا إلى جبل سيدي عبيد أي العقلة، وهما:

أولاد بلعيساوي: لا يسمى جدّهم العيساوي أو بلعيساوي، ولكن هي نسبة إلى جماعة العيساوية التي تتبنى الطّريقة القادريّة، وهم من مرنجيصة الزّناتية، ويؤخذ هذا الأمر على ما أكّده المؤرّخون من تواجد زناتة في المناطق التي يهيمن عليها أولاد بلعيساوي، قبل انضمامهم إلى العلاونة، فقد كانوا بين بسكرة وخنشلة، يرتحلون إلى سهول القيروان ثمّ يرجعون دونما مكان محدّد يستقرون به، حسب قول عارفيهم، وهم اليوم في العقلة ونقرين وتبسة، وسطح قننيس وبوادي بجنّ، ويرافقون الجلامدة ولا يتخلّون عنهم، وعمائرهم هي: أولاد سي عون ومنهم: الأحباب وهم أولاد خالد، الاخوان وهم أولاد يونس، كما نجد من البلعيساوي: أولاد بوالزرايب وأولاد الناصر، والشّاخرة فيهم: أولاد إبراهيم وأولاد السّاسي، وأولاد أحمد بن سليمان، ونجد أولاد أحمد بن إبراهيم ومنهم الخلالطيّة وأولاد علي. ولسانهم بربريّ شاويّ في كلّ مكان وهم مستعربة، تعرف العجمة في لكنّتهم ولهجتهم.

أولاد لمرّا: قيل هم عميرة كبرى من أولاد بلعيساوي، وصرّفوا في ذلك الأقاويل والأساطير، لكنّهم طائفة من قبيلة الكعوب العربية، من بني مرّا بن قاسم الكعبي السّلمي، خالطوا مرنجيصة ودخلوا فيها وهم في تونس، خوفا من بطش أبناء عمومتهم من الكعوب إثر الفتن التي كانت بين الكعوب، من أجل السّلطان والسّيطرة على إفريقية، وقد تبرّروا تماما في أولاد بلعيساوي، يعدّهم الأنثروبولوجيّون الفرنسيون المستشرقون من العرب، وعمائرهم هي: أولاد محمد، وأولاد عمارة وأولاد جوين وهم الخنافسة، كما نجد أولاد سي عيسى وأولاد إبراهيم منهم. ينتشرون في المناطق التي ينتشر فيها أولاد بلعيساوي والجلامدة.

الجدور: هم إخوة أولاد بلعيساوي وهذا ظاهرهم، ومنهم العلامّة الشّيخ العربي التّبسي، مستعربون بالمدن وبربر شاويّة بالأرياف، ينتشرون بالعقلة وتازينت وتبسة والحمامات، ويقيمون بالأماكن التي يقيم بها اخوتهم، وهم عميرتان: أولاد حريز، وأولاد صوّار.

هؤلاء هم لمامشة تبسة وهم فرعان كبيران؛ البرارشة والعلالونة، بينما أولاد رشاش فهم في شرق خنشلة ببلديات: الزّوي، المحمل، بابار، وقلة منهم تقيم في أقصى غرب تبسة قرب

الزّراممة وأولاد بلعيساوي، وفي الخريطة الإثنية التّالية توزّع قبائل اللمامشة على التّراب التّبسيّ.



X Wilaya de Tébessa

خريطة التوزّع الإثني لقبائل اللمامشة في تبسة

1_3_2_ حلف أولاد يحيى بن طالب:

حلف عشائري كبير، يحتلّ المرتبة الثّانية من حيث تعداده بعد اللمامشة، نواته الرّئيسة هي قبيلة الكعوب السّلمية، وقد انتسبوا إلى يحيى بن طالب بن مهلهل زعيم العرب الشّهير، الذي ذكره ابن خلدون وذكر إخوته الزّعماء مّجد وعبد الله، ثمّ تراكت عليهم

الأحلاف من أعراق مختلفة، وفي العهد العثماني ادّعى أولاد يحيى أنّ ضريح يحيى بن طالب، الموجود في عين الزّرقاء إنّما هو لولي صالح قدم من المغرب، وهو جدّهم الذي نسلوا منه، وهذا للتّقرّب من العثمانيين الصّوفيين آنذاك، لكنّ الحقيقة ليست كذلك أبداً، فيحيى بن طالب هو ابن مهلهل بن قاسم بن أحمد بن كعب بن علي بن يعقوب بن كعب بن أحمد بن ترجم بن حمير بن يحيى بن علاق ابن عوف بن بهثة بن سليم، ذكرهم ابن خلدون قائلاً: «وهم على ذلك لهذا العهد، والرّئاسة في بني مهلهل اليوم لمجد بن طالب بن مهلهل وأخيه يحيى.»¹ وقد كان يتحدث عن الأعشاش عامّة في زمانه وفيهم من هوّارة المستعربة.

ويضيف مجد حسن مؤكّداً ذلك: «أولاد يحيى: انتسبوا في الأصل إلى يحيى بن مهلهل، الذي ورد ذكره في ابن خلدون، وذلك خلافاً لما ذهبت إليه الوثيقة الإسبانية من كونهم تسمّوا برياح.»² وقبائلهم عديدة وكثيرة وهي:

الهرايسية: وهم من نسل مجد الأزرق بن جامع المرادسي السلمي، ودخل فيهم خلط كثير، وعمائرهم هي: أولاد علي بن ساعد، أولاد مبارك، أولاد مجد بن سالم، أولاد نصر، أولاد بن سودة، الاعشاش، العراوفية، النواصرية، أولاد الواعر، المكارهية، يتوزّعون في ونزة وعين الزّرقاء والمريج، وبوخضرة، وتبسة، لسانهم عربي وثقافتهم عربية ولا يعرفون من البربرية شيئاً.

الهمايلية: وعمائرهم هي: السّماعلية، الزّوايرية، الخلايفية، الدّوايبية، العرايبية، الزّدايرية، وينتشرون في الكويف والرّميلة والدّبدوبي وضواحي بلدية الكويف.

الطوايبية: حسب نسابتهم فهم من دريد الهاللية الذين قدموا من غرب تونس، وينتشرون في الكويف والطّباقة وغيرها، وعمائرهم: أولاد يعقوب، أولاد بلقاسم، الدّرابلية، أولاد تواتي، أولاد أحمد، الشّواش، المرارمية، الكوايشية.

¹ ابن خلدون، ص 1592.

² حسن مجد، ص 126.

السّحائرية: وهم من يفرن الزّناتية الذين كانوا بجريد تونس، ودخلوا في بني المهلهل وصاروا منهم، وعمائهم: أولاد بلقاسم، أولاد ساسي، أولاد طالب، أولاد قدرى، وهم من أهل الكويف، وبادية النّصلة وكاف عقاب، ولهم تواجد في تبسة والحويجبات.

المغارسة: قال بعض المهتمين بالإثنولوجيا أنهم من مجريس الهوارية، لتقارب أصوات الاسمين، وقال شيوخ أولاد يحيى أنّ المغارسة من نسل خادم ليحيى بن طالب، لكنهم قوم من بلاد تونس من جهة طلبة، من العرب والبربر الذين خدموا من يسمّونهم بالأولياء الصّالحين، فكانوا من مريدي الشّيوخ الصّوفيّين، وعمائهم: الرّوابحية، النّواصرية، الشّتاتحية، زغبة، القناينية، وينتشرن في مرسط وبوخضرة وتبسة، وعين الزّرقاء.

العبادنة: هم من أصلاء هوّارة التي كانت تهيمن على تبسة قديماً، وجدهم كان بعهد ابن خلدون، وقد أقام عنده ابن خلدون، قال في رحلته: «ثمّ تحوّلت إلى تبسة، ونزلت على محمد ابن عبدون صاحبها، فأقامت عنده ليلي حتى هياً لي الطّريق، وبذرق لي مع رفيق من العرب، وسافرت إلى قفصة»¹ وقد كانت تبسة المدينة في ذلك العصر، تحت سلطة ونيفن الهوّارية، وعمائر العبادنة هي: السّوالمية، الهداهدية، المحارزية، الحسانية، الرّزابية، أولاد عوّادي، أولاد العايدة، زلاص وهذه من قبيلة لماية البربرية من جلاص الشّهيرة، بوجابر، اللحاسنية، ويهيمنون على عين الزّرقاء والمريج، ورووس العيون بالكويف.

المرازقة: عمائهم هي: أولاد صالح، أولاد رايس، الغرايرية، أولاد زايد، الغيانة، الخمايلية، ويتوزعون في عين الزّرقاء، بوخضرة، مرسط، ونزة، المريج.

أولاد بريك: زعموا أنهم من اللمامشة، وعمائهم: الطّوايفية، الطوالبيّة، الموازية، المامشية، العلايلية، ينتشرون في الكويف ومرسط وتبسة.

أولاد مولى: حقيقتهم أنهم من البلالة، فهم نسل مولاهم بن عمر بن أبي الليل الكعبي، وانفصلوا عن البلالة ودخلوا في أولاد يحيى بن طالب، وعمائهم: أولاد حمّودة، أولاد أحمد،

¹ الطنجي محمد بن تاويت، رحلة ابن خلدون 1352_1401، تحرير: نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص 100.

الموازي، أولاد بوغانم، أولاد علاية، أولاد حمزة وهؤلاء من حمزة بن عمر بن أبي الليل أخو مولاهم؛ وقد دخل في أولاد حمزة ذرية إدريسيّة من نسل أحمد بن خذير، شقيق عبيد الله بن خذير الإدريسي جدّ أولاد عبيد الشّريف، وهم أبناء بشير بن علي بن الحفصي بن بومعزة بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن الهادي بن أحمد بن خذير الإدريسي العلوي القرشي، ويتلقّبون بلقب سراج، وينتشر أولاد مولى في المريج، وعين الزّرقاء، ومرسط.

البالّة: أبناء أبي الليل بن حمزة بن عمر بن أبي الليل بن أحمد بن كعب بن علي بن يعقوب بن كعب بن أحمد بن ترجم بن حمير بن يحيى بن علاق ابن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم العدناني، وقد تشتّت هذه القبيلة أوزاعا بين القبائل، لما كانت عليه من تمرّد وشدة في البداوة، وقد ذكرهم النّميري (1313-1367) قائلا: «إلى أن أسلمت سليم بن منصور على اختلاف شعوبها وقبائلها، وتكاثر عمارتها وفصائلها، الفرقة الذّميمة أولاد أبو الليل الذين أشاد مولانا أيده الله بعدم الرّضا عنهم.»¹ وأضاف في سبب انضمام الجميع لأولاد ابن طالب قائلا: «وأتى جميع الكعوب لكعبة الجود /.../ وكان شيخ العرب الافريقية وأميرها أبو عبد الله محمد بن طالب بن مهلهل الكعبي ممن انقطع إلى هذه الدولة العلية /.../ فعدل أمور الكعوب تعديل كعوب الرّماح، وأقرّ في الأعشاش طيور اليمن والنّجح. وأعد لصحة رأيه حكيمًا، فعاد بالسّلامة والرّيح وسكن بأولاد سوره سورة الحرب وجعل الحصون حصونا، لكن يوم الطّعن والضّرب، وأدخل في توالفه مرداسا /.../ وأذهب عن هوّارة الهور فذهب، وأتى بوجوه هذه القبائل معملا وجوه الرّأي السّديد.»² وهذا يؤكّد حلفيّة قبائل أولاد يحيى وسبب مولاتهم، وكيف انضمت لهم هوّارة أيضا وأولاد أبي الليل.

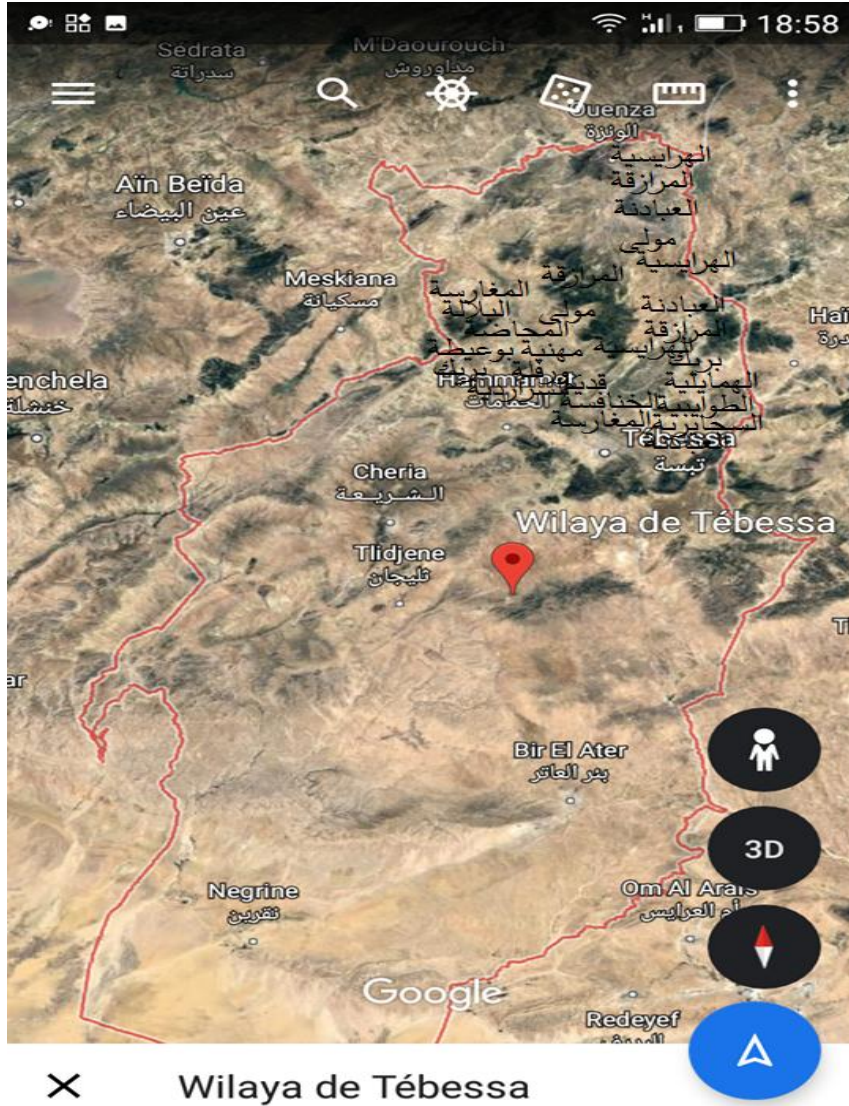
¹ النّميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزّاب، تح: محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص: 345.

² المرجع نفسه، ص 345-346.

وعماثرهم اليوم هي: المحاصّة، أولاد مولى، أولاد يحيى، العوايسية، أولاد مهنّية، وأكثرهم بمسكيانة، وأما الذين في تبسة فنجدهم في الحمّامات وبئر الذهب، ومرسط وبوخضرة وتبسة.

ورفلة: لا شكّ أنّها ورفلة اللهان البربرية، من قبيلة ملد بن أوريج البرانس، أصولهم من ليبيا وقد جاؤوا زمان هجرة بني سليم من ليبيا إلى تونس وشرق الجزائر، بعدما دخلت ورفلة في سليم، وأيضا دخلت سليم في ورفلة في ليبيا، ويتوزعون في بئر الذهب، بوخضرة، تبسة.

كما توجد بحلف أولاد يحيى قبائل أخرى وهي: الخنافسة وهم من بني هلال بالكوف وبولحاف الدّير، الخمايسية وهم من هوّارة متواجدون ببولحاف الدّير، المرآونة وأصولهم من كتامة باتنة، السّرادية وهم من سُليم يتوزعون في بوخضرة والحويجات وبكارية وتبسة والكوف، البطاطشية ببولحاف الدّير، وغيرهم من العمائر المتداخلة فيما بينها، والخريطة التّالية توضّح توزّع أولاد يحيى في تبسة.



خريطة التّوزع الإثني لحلف أولاد يحيى في تبسة

1_3_3_ قبيلة أولاد عبيد الشّريف:

هي قبيلة عربية قرشيّة النّواة، كانت نشأتها الأولى خلال القرن 17م، فهذه القبيلة تنتسب إلى عبيد الله بن خذير الإدريسي العلوي الشّريف، ونسبه موثوق مشهور لا اختلاف فيه، وقد ولد سنة 1550م حسب ما جاء بمصنّف أحمد عيساوي، لكن الاختلاف يكمن في المكوّن الداخلي وانتسابهم لهذا الشّريف القادم من المغرب، وما اتّفق عليه المؤرّخون لهذه القبيلة، هو أنّ نسل عبيد الله بن خذير يقطنون تونس بالرّديف وتوزر، ومنهم كثرة في سوق أهراس، بينما من هم بتبسة هم أبناء أخيه أحمد بن خذير الشّريف، ودخل فيهم من بني سُلّيم أولاد عبيد بن أحمد بن ترجم بن كعب، وكذلك دخل فيهم أثابج بني هلال، من

أجل نيل شرف الانتساب لآل بيت رسول الله ﷺ، لكنّ الرّاجح والذي بيّنته الأبحاث الميدانية وما توقّر من مشجرات لدى أفراد هذه القبيلة، فأولاد عبيد الشّريف الذين هم بتبسة هم بنو عبد المالك بن أبي الهادي بن أحمد بن خذير الشّريف، وقبائلهم اليوم هي:

أولاد دلال: هم الغالبية السّاحقة للقبيلة في ولاية تبسة، ينتشرون ببئر العاتر

وصفصاف الوسرة وونزة والعوينات، وتتفرع منها قبائل كبيرة وهي:

أ_ أولاد كعبية: ومنها أربع عمائر تقطن شرق بلدية بئر العاتر بأكملها، وهم: أولاد

موسى، أولاد عبد الباسط، أولاد بوديار، أولاد سي إبراهيم وهؤلاء منهم: أولاد مبارك، أولاد نونة، أولاد سي ضيف الله، أولاد سي أحمد، أولاد سي سليمان.

ب_ أولاد دلالة: وهؤلاء أيضا سكان بئر العاتر وباديته وصحاريه، وهم: أولاد سي

محمد ومنهم العواو وأولاد حويشي، أولاد عمر، أولاد سي خذير، أولاد عبد السلام: وهؤلاء ببئر العاتر والعوينات رفقة أولاد عمران.

أولاد أبي القاسم: يحتلون المرتبة الثانية من حيث التعداد بعد أولاد دلال، وعمائهم

بحجم القبائل ينتشرون ببئر العاتر وصفصاف الوسرة، وهم: أولاد رقية، أولاد سي العيفة، أولاد منصور، أولاد زيرايوي، أولاد أم ثابت، وهؤلاء الذين سبقوا يشكلون تكتلا حلفيا مع بعضهم دون غيرهم، وهم: أولاد سي محمد الغرابية، أولاد سي علي، أولاد محمد بن عبد الله، أولاد صالح بن مسعود، أولاد أحمد بن بلقاسم، أولاد سي حامد، الرواونية، أولاد سي بولطيف، أولاد سي سليمان.

أعمام العرش: وعمائر القبيلة اثنتان وهما: أولاد ضيف الله بن أحمد، وأولاد قاسم،

وهؤلاء ببئر العاتر كإخوانهم المذكورين آنفا.



خريطة التوزيع الإثني لقبيلة أولاد عبيد الشريف في تبسة

1_3_4_ حلف الفراشيش:

قيل أنّها من الفركسيس المذكورين في كتب التاريخ القديمة، من جنود حنبعل، وهذا لا يقبله العقل، حيث أنّه يستحيل أن يختفي اسمه الفركسيس قرونا طوالا ليظهر في أواخر العهد الحفصي، إنّما تشابه أسماء لا غير استغلّه أصحاب النّزعات العنصرية لغايات بعيدة عن العلم.

والفراشيش في حقيقتهم حلف عربيّ بربريّ، بين زعب وهيب من سُليم، وبربر قيصرون هوّارة، وهذا يظهر جليّا في كتاب العبر، كما يتّضح هذا لمن خالطهم ورأى شدّة عربيتهم، وهم أهل شمال شرق تبسة وشرقها الأصليّون، وكانوا يرتحلون من تبسة إلى القصرين والكاف، ثمّ تمّ منعهم من دخول أراضيهم بتبسة باتّفاق بين الفرنسيين وأولاد يحيى والحناشّة، ومنهم قلّة في تبسة والغالبية منهم في تونس، وقبائلهم في تبسة تنتشر في أم علي والماء الأبيض والحويجيات، وقبائلهم: القماطة، الشّوافعية، أولاد بوعلاق، الظّواهر، السّبايكية: (أولاد نصر، أولاد أحمد (منهم الرقايعية والمعامرية)، أولاد إبراهيم)، الخمارة، الرّوابح، الصّمايدية.

2_ تطوّر الخصائص

اللغويّة للهجات تبسّة

تمهيد:

يمكن مقارنة التطور اللساني الذي يمسّ الخصائص اللهجية، من خلال ما يتوفّر من مخطوطات، فيها نسخ للهجة العيّنة المراد دراستها، لكنّ الخصائص الصوتية تبقى محلّ إبهام، فهي مسموعة غير مكتوبة، وارتباط المستوى الصوتي ببقية المستويات وثيق جدّاً، فالمورفيم الصرفي هو تلاحم فونيمات، وكذلك فإنّ التغيّرات النحوية هي عبارة عن تغيّرات صوتية تطرأ على الكلمات وعلى الجمل، وهذا يمسّ المستوى المعجمي الدلالي أيضاً، لذا كان الاعتماد على المدونات الشفوية هو أنسب ما يمكن فعله في هذه الحالة، خاصّة بمنطقة تبسة التي لا نجد أيّ مكتوب بلهجاتها، لكنّ المرويّات الشعبية خاصّة الشعرية منها، حافظت على الخصائص الصوتية للهجات تبسة، منذ عهد العثمانيين، ولا نجد قبله أيّ أبيات خاصة بمنطقة تبسة.

وقد تمّت مقارنة تطوّر الخصائص اللهجية في تبسة، خلال العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي وفترة الثورة التحريرية، وأمّا الفترة ما بين الثورة وهذا العهد، فهي تخضع للاستعمال اللغوي نفسه الذي في عهد الثورة التحريرية، اعتماداً على ما تطابق من خصائص لغوية لأشعار المراحل التي تلت الاستقلال حتى التسعينات.

من خلال جمع ما توفّر من أشعار شعبية في هذه العصور، انتقلت مشافهة تواترا بين الأجيال، لا يمكن أن يطرأ التغيّر على خصائصها الصوتية، لأنّ أيّ تغيّر في المستوى الصوتي؛ سيكسر البناء الشعري الذي يعتمد على الإيقاع بالدرجة الأولى، وهذا ما تعوّل عليه هذه الدراسة التاريخية.

وقد جمعت الأشعار والأبيات من قبائل عربية وأخرى بربرية مستعربة، من مختلف إثنيات المنطقة، خاصّة القبائل التي اشتهرت بالنظم الكثير للأشعار، مثل أولاد عبيد الشريف، وأولاد بوقصة، والتكاكة، وأولاد حميدة، والزّرادمة.

كما أنّ الدّراسة التّاريخيّة تحتاج إلى الاعتماد على علوم أخرى، لبناء معطيات ذات قاعدة متينة من المعلومات الدّقيقة، والمتنوّعة والشّاملة، فعلم اللغة بشكل عام «شأنه شأن سواه من العلوم الاجتماعيّة، علم تاريخي على نحو ما، فاللغة التي هي موضوعه لا غنى في دراسة تطوّرها وصلتها بالمجتمعات، وفي دراسة انقسامها إلى لهجات، ودراسة ظهور اللغات عامّة، لاغنى في دراسة ذلك كله وسواه عن الاستعانة بمعلومات من التّاريخ والجغرافيا.»¹ لذلك كان من الضّروري تتبّع حركة الانتقال اللهجي جغرافيًا، أي ملاحظة العوامل الجغرافيّة الإثنيّة، وتاريخ الهجرات الإثنيّة في كل مرحلة زمنيّة، فهذا مرتبط جدًا بما يمكن جمعه من معلومات لسانیّة، حول العيّات المدروسة.

وفي هذا الفصل اعتمد البحث على بعض القصائد من العهد العثماني، منها قصيدة "أعمام عايشة"² المنقولة مشافهة تواترا منذ أواسط العصر العثماني بالمنطقة، وقصائد لشيخ بعهد البايات، ومجموعة من القصائد لقبيلة اللمامشة خلال عهد الاحتلال، في القرن 19 م، وأخرى خلال الثّورة أيضا.

2_1_1_ المستوى الصّوتي:

2_1_1_2 مخارج الأصوات:

نلاحظ أنّ مخارج الأصوات في لهجة اللمامشة ومن كان ضمنهم، لم تتغيّر خلال العهد العثماني، وعهد الاحتلال الفرنسي وسنوات الثّورة، وذلك من خلال دراسة مخارج

¹ وافي علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، ص 74-75.

² قصيدة أعمام عايشة: من أطول قصائد العلاونة وأشهرها، وهي حماسية حزينة نظمها أمّ فارقت ابنتها الوحيدة، التي كانت ستهدى إلى زعيم الحركة، خلال معارك طاحنة بين اللمامشة والحراكتة انهزم على اثرها اللمامشة، فما كان من زعيم اللمامشة إلا أن أراد إشعال العزائم، باستفزاز غيرة الرجال على عايشة ابنته ذات الجمال والعلم والأخلاق، فقرر أن يأخذها هدية ليتزوجها زعيم الحركة إذا لم يواصلوا القتال واسترجاع أراضيهم، وقد نجحت خطته إذ انتقض فرسان اللمامشة وأعادوا عايشة، من قبل أن تصل إلى الحركة، ودحروا الحركة من تبسة كاملة إلى عين البيضاء _حسب الروايات الشعبيّة عند قبائل العلاونة_.

الأصوات في قصيدة "أعمام عايشة" في العهد العثماني، وقصيدة "عين الشرود"¹ في عصر الاحتلال قبل الثورة، وقصيدة "مهول"² خلال سنوات الثورة.

تقول قصيدة أعمام عايشة:

قَبْلَ قِيسَى عَلَى عَمِّ	عَايشَةَ رِحْلٍ وَبَيْنَ جَا
عَايشَةَ الْبِنْيَةِ رَحَلُوا	مَنَا وَقَصُّوا عَايَا
وَأَنَايَ وَلِيَّةَ وَمَشِي	الْتَّايَا يَكِيدُ النَّسَا
عَايشَةَ عَيْشُوشِ	رَحَلُوا بِيكَ وَمَا حَطُّوشِ
حَطُّوا الصَّلْعَةَ مَا رَحَلُوشِ	يَا حِزْنَ قَلْبِي قَعَدْنَا هُنَا
يُمُوتُكَ تَهَسُ وَمِنْ	دُونِ الْجِبَالِ تَلْقِيطِ الْحِسِّ
زُرْعًا يَبْسُ وَجَاتُو	الدَّرَارِي مِتَّحَ زَمَةَ
يَجْعَلُكَ تَدِسُ مِنْ دُونِ	نِتَاجِكَ تُفْعَدُ تَهَسُ
جَلْفًا يَبْسُ وَجَاتُو	الْحَبَايِلِ مِتَّوَهَّمَةَ
أَهْ يَا دَرَارِي شَفْتُوشِ	عَزَالِي رِيمَ الصَّحَارِي
أُحْيِيَّ الْعَمَّارِي وَهَذَا	حِزْنَ قَلْبِي قَعَدْنَا هُنَا
أَهْ يَا مِلَاحَ سَخَابِ	الصَّغِيرَةَ عَالِصَدْرَ فَاحِ
يُبْرِي الْجِرَاحَ يَا حِزْنَ	قَلْبِي وَقَعَدْنَا هُنَا

ينطق أهل تبسة جميع الأصوات كما هي عند الأعراب، صحيحة وبقلب القاف جيما مصرية ولا ينطقون القاف الصحيحة أبدا، ونطق الجيم جيما معطشة، ويبدو أن أهل تبسة قد حافظوا على الاستعمال التاريخي للأصوات، فما كان في الدراسة الآتية أنفا لم نجد ما

¹ عين الشرود: من أشهر القصائد الشعبية التي يغنيها سكان الرديف بتونس والجلامدة بتبسة، صاحبها هو: الأخضر بن أحمد رقاب بن بلقاسم السالمي العلواني.

² مهول: قصيدة غزلية فخرية حماسية طويلة جدا، صاحبها هو: فرحي صميذة بن النّوي، من شعراء الثورة في أوراس اللمامشة، نال تكريما من الرئيس الراحل أحمد بن بلة على شاعريته، ويعتبر أشعر جيله في منطقة تبسة وما كان حولها.

يخالفه، إلا أنهم لا ينطقون صوت القاف كما هو، وقد مال أهل تبسة جميعا خاصة البدو منهم، إلى جهر السين والصاد، وقد روي عن قبيلة طيء أنها تجهرهما، أي «تجعل الأوتار الصوتية تتذبذب معهما. وذلك بقلبها زايا؛ فقال اللغويون: إن طينا تقول في سقر: زقر، وفي الصقر: زقر، وفي الصراط: زراط.»¹ وهذا بالنسبة للأصوات الصامتة.

بينما يقللون الاختلاس إلى درجة التخلي عنده في مواضع، بالنسبة للأصوات الصائتة، مثل قولهم: حزن، قعدنا، الخبايل، وغيرها، وهذا يجعل هذه اللهجة أقرب إلى الفصحى، بإثباتها لكثير من الحركات الإعرابية، وهذا الشكل اللغوي لا نجد استعماله اليوم إلا بقفارات جنوب ولاية الوادي، ونجده أكثر تطابقا ووضوحا في صحاري المرازيق في تطاوين وقبلي في تونس، وكلما دخلنا الأراضي الليبية وتوغلنا صادفنا هذه اللهجة كما هي عندهم، حتى نصل إلى البحيرة وبوادي الإسكندرية بمصر.

وإذا قاربنا مخارج الأصوات في قصيدة "عين الشroud" التي يقول صاحبها:

يَا عَيْنَ الشَّرُودِ	يَفْلَا رِدَايِدِ العُودِيَّةِ
تَاتِيهِ وَينِ يُفَصِّرُ زِيَّه	بَاهِي الحَلَاتِ يَا مَهْرِيَّةِ
مَهْرِيَّةِ وَالعُزَالِ يَعَاشُوا	الإثْنينِ جُونَا يَنْمَاشُوا
وَاشِ جَابِ فُرَاشِهَا لَفْرَاشُهِ	وَاشِ جَابِ مَعَاشِهَا لَمَعَاشُهِ
وَكَالِ السِّجَرِ بَاشِ	تَعَاشِيهَا هِيَّهِ
مَهْرِيَّةِ هَا رِنِّي رِنِّي	وَ كُلِّ لَيْلَةٍ تَسَهَّرِي لِلذَّرِي
وَإِنَّا سَيِّتِي بِهِيَّةِ	لَا طِنِّي الهَبَالِ
حَا طِنِّي سُوْقِ المَاوِيَّةِ	بَاهِي الحَلَاتِ يَا مَهْرِيَّةِ

فلا نجد اختلافا في مخارج الأصوات الصامتة، بين أدائها في العهد العثماني وعهد الاحتلال قبل الثورة، بينما يظهر استعمال الاختلاس بصورة أوضح بالنسبة للصوائت، وهذه

¹ الدليمي رياض عبود غوار، ص 136.

اللهجة تتطابق مع لهجة قفصة وتوزر بالوسط والجنوب الغربي التونسي، وتتطابق مع لهجة سوف أيضا، وتبتعد شيئا ما عن لهجة الليبيين، وهو الأمر نفسه الذي نجده في قصيدة "مهول"، التي تمثل شكلا لهجيا لسنوات الثورة، فلا تتغير الصوامت عن سابقاتها في العصور التي سبقتها، لكن الاختلاس يزيد كثيرا في هذا العهد، يقول الشاعر:

زِينِ لِي دَار	مُعْدَبْنِي زِينِ لِي دَار
عَلَى اِكْتَأْفُه	دَرْبِي جُنْدَار
أَوَّلِ عِلَّتْهَا تَرْكَب	دَايِ مِنْ خَزْرِيَّتْهَا
بِي هَذَبْتْهَا بَعْدِ	هَزْتْهَا حَطَّتْهَا
لِي رَدَّتْهَا زَعَايَة	فِي قَلْبِي رَشَقْتْهَا
الْقُلُوبِ رَحْتْهَا نَحْس	الْقَطْرَانَ مَرْفَتْهَا
نُمْتَل رَقِبْتْهَا نَخْلَة	شَعْوِيَّة بَجْرِيْدَتْهَا
طَابَتْ ثَمْرْتْهَا عِنْد	الْعَلَالَة وَحَصَّتْهَا
سِوَاكِي وَرَدْتْهَا شَمْس	مَعَ الْقَمْرَة وَاتْتْهَا
تَقَوَّتْ هَبَاتْهَا هَكَا	رِيْدِي اِنَا مَثِيْلَتْهَا
مُحَصَّب زِنْدَتْهَا تَحْيَا	الْأَمِّ لِي جَابْتْهَا

وفي هذه القصيدة نجد خصوصية وانفرادا، خاصة بزيادة استعمال الاختلاس في هذا العصر، حيث لا نجد مطابقة لهذه الخصائص خارج تبسة، بل نجد تشابها فقط، بالرغم من أنّ هذه القصيدة قيلت في منطقة سيدي علي بن عون التونسية، بين عرش الهمامة، ومع ذلك حافظ الشاعر على خصائص مخارج الأصوات التبسية آنذاك، والتي بدأت بالانفراد عن أخواتها، لهجة الجنوب التونسي ولهجة سوف، واتخذت شكلا لسانيا حديث التكوّن والتميز، وهذا بعد تضيق الحدود الجغرافية الاجتماعية على سكان تبسة، من طرف سلطات المستدمر الفرنسي، وثبات الهوية التبسية على الجنسية الجزائرية، وقد كانت من قبل بين

جزائريّة تونسيّة لبيّية، لما يرتبط به سگان تبسة إثنيًا وتاريخيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، بتونس وشمال غرب ليبيا.

2_1_2_ وضعيّة أعضاء النطق:

نجد التّفخيم بحالات الإطباق والتّغوير والتّلهية وتّفخيم الحركات، في لهجة اللمامشة في العهد العثماني، بيد أنّ لهجة أولاد يحيى في ذلك الزّمان، كان مطابقة لللهجة الكاف بتونس، إذ هناك نشأ الحلف العشائري.

فالإطباق في لهجة اللمامشة يطابق ما هو في اللغة العربية الفصحى، فلا ترقيق يطال أصوات الإطباق: الصّاد والضّاد والضّاد والضّاد والضّاد والضّاد، بينما يرقّق أولاد يحيى الطّاء فتفتح حتّى تصير قريبة من التّاء.

وتحافظ اللهجتان على التّغوير، بتّفخيم الرّاء واللّام، وإذ لم يكن في العهد العثماني منهم حضر فهم كلّهم بدو، فلا نجد لهجة الحضر المتقرّدة فيهم، بينما يستعمل اللمامشة التّلهية، وهي «نقل موضع نطق الصّوت الطّبقّي المرقّق، من الطّبق إلى اللهاة uvula فيصبح مفحّمًا تلقائياً.»¹ وتطال التّلهية الأصوات: الخاء، القاف، الكاف، الغين، كقولهم: قَبَل، الحَبَايل، غَزَالِي، أُخِيّة... وتسمى الخاء والقاف والغين حروف الاستعلاء، لأنّ «التّوعية التي تتّصف بها الأصوات شبه المفحّمة (غ، ق، خ) من المحتمل أن تكون وراء استخدام النّحاة العرب لمصطلح الاستعلاء.»² وهذا استعمال شائع في العصور القديمة.

بينما يرقّقها اللمامشة وأولاد يحيى كلاهما، إذا كانت بعدهما إمالة كقول: قَاتِل فتصبح: قَاتِل، وما كان نحوها، وهذا كسر لقاعدة منع الإمالة عند العرب، فأصوات الإطباق والتّغوير والتّلهية، كلّها أصوات استعلاء، «ولأصوات الاستعلاء خواصّ أخرى مهمّة تظهر

¹ أستيتيه سمير شريف، ص 187.

² البرسيم قاسم، علم الصوت العرب، ط1، دار الكنوز، لبنان، 2005، ص 77-78.

في بنية الكلمة التي تنتظمها، منها أنها تمنع الإمالة أي إمالة الألف إذا وقعت بعدها.¹ وهكذا هو حالها اليوم أيضا.

وتفخيم الحركات بلهجة اللمامشة حافظ عليه بدوهم، من أحقاب طويلة، فنجد في العهد العثماني يستمر إلى يومنا هذا، فكثير المواضع من المقاطع الصوتية، تفخّم فيها الفتحة والضمة، كقولهم: يوم = [jom] وأصلها يَوْم، وقد قلبت الفتحة ضمة ثم فحّمت لتتناسب مع صوت اللين الواو.

بينما يطال التفخيم كثيرا من الأصوات في العهد الذي يلي العثمانيين، فنجد التفخيم في قصيدة "عين الشّرد"، في الكلمات: جَاب، مَعَاشَهَا، وَكَال، الهبال وغيرها في كل مدّ للفتح، نجد التفخيم الذي صار خارج القواعد اللغوية التي حكمتها في العصور التي من قبل، فصار تفخيم المدّ من خصائص لهجة البدو، لكنّ هذا عند اللمامشة فقط، بينما لا يفخّم أولاد يحيى المدود كما يفعل اللمامشة، لاحتكاكهم بعواصم الولايات والحواضر، مثل الكاف وتبسة ومداوروش، وكذا الكويف التي كانت مركزا حضاريا تجاريا وصناعيا في عهد الاحتلال الغاشم.

ويحافظ هؤلاء المستعملون اللغويون المتميزون في الحيز الجغرافي، المتمثل في ولاية تبسة، على استعمال التفخيم بمثل ما استعمله آباؤهم وأجدادهم قبل ثورة التحرير، كقول الشاعر في قصيدة مهول: دَار، تَقَوّت، هُكَا، جَابَتْهَا... وغيرها.

ويرجع سبب محافظة المستعملين اللغويين على قواعد التفخيم، في العهد العثماني إلى أنّهم ما زالوا قريبين من العهد الحفصي، وارتباطهم بجنوب تونس وليبيا إثنيا واجتماعيا واقتصاديا وحتى سياسيا وجغرافيا، ويمكن تبين ذلك من خلال اللهجة الليبية التي لا تزال تحافظ على قواعد ثابتة للتفخيم، فلهجة ليبيا تفخّم أصوات الاستعلاء ما التقت، وبهذا ارتبطت لهجة جنوب تبسة بهذه اللهجة منذ القديم، بينما لهجة أولاد يحيى كانت تستخدم

¹ بشر كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2000، ص 403.

التفخيم بمثل ما استعمله سكان بوادي الكاف التونسية، وهو تفخيم محدود يطال أصواتا بعينها كصوت الجيم مثلا في قولهم: رجّاجيل.

بينما يستغني المستعملون اللغويون في جميع تبسة عن القواعد السابقة، كلما تقدّم الزّمان وتغيّرت الأحقاب؛ ذلك أنّ عمليّة فصلهم عن المنابع الإثنيّة واللغويّة لهم قد تمّت، ففصل الجزائر عن تونس، جعل من اللمامشة المتأثرين بلهجة جنوب تونس وغرب ليبيا، يستقلّون بأنفسهم ويتأثرون بالمستعملين اللغويين غربهم، من خنشلة وبسكرة وأمّ البواقي وما وراءهم، فالبعد السياسي هنا أثر في البعد الإثنولغوي للمستعملين، فتغيّر الولاء السياسي والاجتماعي من الشرق إلى الغرب.

2_1_3_ مقاييس أصوات اللين:

لا يخفى على المستمع والملاحظ والدّارس للهجة تبسة ككلّ، خلال جميع العصور من العهد العثماني إلى يومنا هذا، وجود الإمالة الكبرى في الأداء الصّوتي للمستعملين، وكذا الإمالة الصّغرى عند الحضر منهم من سكان تبسة المدينة خاصّة.

فأمّا في العهد العثماني فيمكن التّحديد لما صُنّف من الاستعمال الصّوتي للإمالة، فتقع الإمالة ضمنيّا في كل ألف أصلها ياء، أي الألف المقصورة أو التي كانت ياء وانقلب ألفا، فنجد الإمالة في قولهم: قسى = [isæ]، جا = [dʒæ] وما كان على منوالها البنيوي، ويميلون كما كانت العرب القدماء تُميل هاء التّانيث، كقولهم: البنيّه = [elbinajjɛ]، وإمالة الألف التي يأتي بعدها كسر كقولهم: عايّشة = [ʔæʃa] فجاءت بعدم استعمال الهمز وبإمالة كبرى، وهذا الاستعمال الصّوتي ينتشر في تونس كاملة وجميع تراب ليبيا، وغرب مصر من البحيرة والإسكندرية ومرسى مطروح، وكذا في صعيد مصر في محافظة سوهاج وأسيوط وقنا وغيرها.

وقد أكّدت المصنّفات التّراثيّة أنّ العرب كانت تستعمل الإمالة، وانفردت قبائل بعينها بالإمالة، ومن أهمّ «أصحاب الإمالة من القبائل هم تميم وقيس وأسد وعامّة أهل نجد.»¹ فأما تميم فهي قبائل كثيرة، وأما قيس فهي أكثر العرب عددا وهم أهل نجد وضواحي مكّة والمدينة، وأما نجد فكانت لقيس عيلان وبكر بن وائل، وبعضا من عمائر طيء القحطانية. ثمّ خفّت الإمالة نوعا ما في عصر الاحتلال الفرنسي، خلال القرن 19 م، وبدايات القرن العشرين، فصارت أقلّ شدّة في هاء التّأنيث، وحافظت على القاعدة التي حكمت الإمالة في العهد الذي يسبقه، فنجد الإمالة في قولهم: رِدايد، تاتيّه، باهي، يتماشوا، الإثنين: وهذه إمالة من الياء نحو الألف أي: [leənæn]، وغيرها، لكن فاعليّة التّفخيم في لهجتهم لهذا العصر تغلب على الإمالة عند الذين انعزلوا، مثل أولاد عبيد الشريف، أولاد عباس من أولاد حميدة، وبصفة عامّة فهذا التّفخيم لا يستعمله أولاد يحيى منذ القديم، وهم أهل ترقيق وإمالة.

ويوافق اللمامشة في هذا الاستعمال الصّوتي، لذلك العصر سگان توزر والقصرين وقفصة وشمال قبليّ وشمال تطاوين، بينما يوافق أولاد يحيى استعمالهم ذلك استعمال أهل باجة وشمال الكاف التّونسية.

لكنّ هذه الحال تغيّرت خلال سنوات الثّورة، في منتصف القرن العشرين والعقود الثلاثة التي تلتها، فالقاعدة التي حكمت الإمالة صارت تخدم التّفخيم، كقولهم: (زغاية)، التي كان من المفترض إمالة مدّ الغين فيها، لكنّها فُحّمت، وكذا في قولهم: اکتافه، دايّ وغيرها، فالتّخلي عن الإمالة في ألف المدّ والألف المقصورة، كان واضحا جدّا عند اللمامشة ومن كان ضمنهم من قبائل، بينما حافظ أولاد يحيى على الإمالة بل كسروا قواعدها وأمالوا كلّ مدّ، والسبب هنا هو الضّغوطات الشّديدة التي مورست على البدو الرّحل، من قبل الاحتلال الغاشم، والحالة التّفسيّة الصّعبة التي انعكست على لغة القوم، فصار التّفخيم أنسب من

¹ شلبي عبد الفتاح إسماعيل، في الدراسات القرآنية واللغوية _الإمالة في القراءات واللهجات العربية_، دار ومكتبة الهلال، لبنان، 2008، ص 111.

الإمالة، للتعبير عن الشحنة النفسية المتمردة والرافضة للوضع، والانعزال الذي فرضه هؤلاء البدو على أنفسهم، جعل قواعد كثيرة للغة يُستغنى عنها، كنوع من التمرد الشامل على كلّ شيء، بينما نجدهم حافظوا على إمالة هاء التأنيث ولو بتقليل كمّ صوت الإمالة.

ونجد هذا الأداء الذي تفرّد بها اللمامشة ومن كان ضمنهم من الفراشيش وأولاد عبيد والغرابة والنقارنية وغيرهم، في سيدي علي بن عون بقفصة، وبنفطة بتوزر وبفريانة وأرياف القصرين، بينما يبقى أولاد يحيى يوافقون بآدائهم الصوتي للإمالة أهل الكاف.

وبالنسبة للتباين في النغمة الموسيقية للكلام، فإنّ النبر والتنغيم في كل عصر من العصور المدروسة السابقة، لا يختلف أبداً عن الأداء اللساني للبدو في تبسة، سواء أهل الشمال أو أهل الجنوب، وكذا التفاعل بين الأصوات المتجاورة، فما عند البدو اليوم هو نفسه ما كان في العصر العثماني وما تلاه من عصور حتى هذه الساعة، ذلك أنّ بدو تبسة قوم منغلَقون اجتماعياً على أنفسهم، فلا يرون في الحضر إلاّ شقاء قد يصيبهم إذا تحضّروا، وهذا نخصّ به البدو الأقحاح أي الذين لم يتخلّوا عن بداوتهم، ونجدهم في قفارات الشمال وقفارات الجنوب أيضاً، وهم متميّزون جداً.

ونستنتج أنّ الأداء اللغوي بالنسبة للمستوى الصوتي، لدى سكّان تبسة قد تأثّر كثيراً، فنجد عناصر لغوية قد ثبتت ولم يمسه التغيير كثيراً، كمخارج الأصوات التي حافظت على وجودها كما هي منذ القديم، بينما تدرّج التّفخيم من المحافظة عليه في العهد العثماني، كما استعملته العرب الأوائل، إلى الترقيق والتخلي عن هذه الخاصية بشكل نسبي نوعاً ما، وكذلك الإمالة التي فترت قوتها مع مرور الزّمان، ومع ذلك فهي موجودة في الاستعمال الصوتي اليوم وواضحة جداً، وإذا لاحظنا الأداء الصوتي في كلّ عصر نجد أنّ أهل تبسة، قد توارثوا استعمالاً معيناً للنبر والتنغيم من جيل إلى جيل، لكن ما يستنتجه الباحث هو أنّ بؤرة التأثير اللغوي، هي العامل المتغيّر في هذا المستوى اللساني، حيث كانت البؤرة المؤثرة هي ليبيا، ثمّ جنوب تونس وغربها، ثمّ صارت بؤرة التأثير اللغوي داخل الجزائر بين عنابة بالنسبة لأولاد يحيى، وواد سوف وخنشلة وأم البواقي بالنسبة للمامشة، هذا يفتح باباً للبعد

الإثني والثقافي، فالعامل الإثني الذي يغلب عليه الرّابط السياسي كثيرا، له تأثير واضح في تطوّر الخصائص الصوتية.

2_2_2_ المستوى الصرفي:

2_2_2_1_ الأفعال:

لا يتغيّر تصريف الأفعال منذ العهد العثماني حتّى هذا العصر، فقد حافظ المستوى الصرفي على خصائصه، طيلة أحقاب طوال، وهذا المستوى اللساني إذا طاله التّغيير كثيرا فإنّ اللهجة برمتها تتغيّر وتتحوّل إلى لهجة أخرى، ولا يحدث أن تتغيّر البنى الصرفية في لغة أو في لهجة إلاّ إذا تداخلت تلك اللغة أو تلك اللهجة بلغة أو لهجة مختلفة تماما، فأثرت فيها بسبب عوامل خارجية عدّة، وأمّا لهجات تبسة فقد حافظت جميعها على بناها الصرفية كما هي، فالأفعال المجرّدة والمزيدة والماضية والحاضرة وأفعال الأمر، وما بُني للمجهول، كلّها قد حافظت على بنيتها المورفيّة، ولا نجد اختلافا أبدا ويمكن رصد هذا الأمر من خلال هذه القصائد الثلاثة:

قصيدة نصر ابن خالد الجبّاري¹، التي يقول فيها:

البوداش والرّمّل سُفْنَاهُ	وضيفة الباي والدنوشي ²
وين خالد تعطى سِمَاهُ	لَوْ ضِبَاش مَا يِرْعُبُوشِي
ولي غِرَانَا سِبِينَاهُ	آ قَايِدَ عَشُورَ الطُّبُوشِي
وعرشنا لي لِحَقْ يَلْقَاهُ	عَلَى البِلِّ سَابِقَ مُشُوشِي
وَأَنَا وَوَدَّ لِي بَرَّ بَابَاهُ	حَمِيدَةَ قَايِدَ الْجِيُوشِي
شَرِيفُ وَنَنْبِيكُ لِه	فِي العِلْمِ مَا تَدْرِكُوشِي
وَأَنَا وَوَدَّ عُلُولَ نَوَاهُ	فِي الحَرْبِ عَيَّاطَ العُرُوشِي

¹ نصر بن عمرو بن خالد الجبّاري الحميداني اللموشي: من شعراء وشيوخ أولاد حميدة في العهد العثماني، نظم هذه القصيدة تهديدا للباي العثماني بقسنطينة، مفتخرا بقبيلته بعدما سلبوا قافلة عثمانية قادمة من تونس نحو قسنطينة.

² البوداش والرّمّل: الجيش الاحتياطي المتكوّن من رجال الأعراش. ينظر: العنترى صالح، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 32. الدنوش: ضريبة مجموعة تدفع في مدينة الجزائر.

إِذَا عَزَمَ وَطَلَبَ مُوَلَاهُ خَفَقَتِ أَعْلَامُ السِّمُوشِيِّ

يلاحظ أنّ كسر فاء الفعل الماضي؛ قاعدة في لهجة تبسة لذلك العصر، وكذلك كسر ياء المضارعة وقد عُرف ذلك في بني تميم، واشتهرت به قبيلة بهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاة، وتسمّى تلتلة بهراء «فإنّهم يقولون: تَعْلَمُونَ وَتَفْعَلُونَ وَتَصْنَعُونَ، بكسر أوائل الحروف»¹ وهذا لا عجب به لأنّ قبيلة الشّاعر من بلحارث القحطانية التي دخل فيها رهط من بهراء يسمّون بعمائر (الزّرافة)، وكذلك فإنّ سُلَيْمًا كلّها تستخدم هذا الأداء الصّرفي النّحوي والصّوتي، ولا نلاحظ أي اختلاف في أبنية الفعل المجرّد والمزيد، وكذا فعل الماضي والمضارع والأمر والمبني للمجهول، فهي الأبنية نفسها لهذا العصر.

وبالنسبة لعصر الاحتلال الفرنسي قبل ثورة التّحرير، فلا يختلف الأمر، ونجد هذا من خلال قصيدة "يا ناس قلبي شاش" لسلامة الأزهر بن مسعود²، والتي يقول فيها:

هَآ نَاسٌ قَلْبِي شَاشٍ مِنْ زَيْنٍ لَا رَيْثْلَهُ مَثِيلَهُ
حُبُّهُ أَنْصَبَغَ فِي الْجَاشِ نَارٍ تُوقَدُ بِفُتَيْلِهِ
هَآ الْوَاهِمَةُ مَآكِ رَجِيلَةَ

أَنَا بَدِيتُ بِالْقَوْلِ نَقَاسِ وَتَصَنَّنُوا يَا مِيعَادِي
قَوْلِ شَاطِرٍ مُنْقَرَسِ مِنْ قَبْلِ مَانِيشِ بَادِي
جِبْتُهُ فِي كَحِيلِ النَّاعِسِ حُبَّهَا سِكَنٌ فِي فُؤَادِي
رَانِي فِي الْحَرْبِ نُدَعَسِ نَهَارِ الْبَلَا يُنَقِّ الصَّادِي
حَرْبَاتٍ فِي يَدِّ الْمُنْقَرَسِ حَرْبَاتٍ فِي يَدِّ الْبُجَادِي

هَآ الْوَاهِمَةُ مَآكِ رَجِيلَةَ

نَاسِكٌ كُلُّهَا هَشَاشِ بِالْعُمْرِ لَا يُرِيدُوا عَيْلَهُ

¹ ابن جني، الخصائص، ص 400.

² سلامة الأزهر بن مسعود: شاعر يعتبر من أشعر أهل زمانه في منطقة تبسة وجنوب تونس، من قبيلة أولاد بوقصة من فرع الهدّالة (بنو هذيل)، ويُلقّب بابن كحوش، وكلّ إخوته من شعراء أولاد بوقصة.

دُوَار مَكْحُولِ الظَّفَرَةِ	وَدَكَرُوهُ حَمَلِ تَاوِيلِهِ
وَحَاخُوهُ نَادَى بِالظَّهُرَةِ	وَبَعْدُونِي بَزِينَةَ التَّخْلِيلَةِ
لَا حِقَ فِي الْجُرَّةِ نَنْشِدِ	وَالدَّمَعَ عَلَى الخَدِّ هَمِيلِهِ
فِرَاقَ الحَبِيبِ يَا مَامَرُهُ وَ	مَا صُبَّتْ صَاحِبِ نَشْكِ لَهُ
نَاسِكَ كُلَّهَا هُشَاشِ	بِالعُمُرِ لَا يَرِيدُوا عَيْلِهِ
شُجْعَانَ حَاصِرِ بَاشِ	هَآ الوَاهِمَةَ مَاكِ رُجِيلَةِ
وَالحُرَّ مَا يَزْدَاشِ	لُوكَانَ فِيهِ رُبْعَ صَمِيلِهِ

لا تتغير أبنية الأفعال في عهد الاحتلال الفرنسي قبيل الثورة، وكذلك لا نجد تأثرا باللغة الفرنسية عند كثير من قبائل اللمامشة وأولاد عبيد الشريف، لانغلاقهم على أنفسهم ومقتهم للتعامل مع المستدمر الفرنسي، لذلك حافظوا على سلامة لسانهم من تعريب الأفعال من الفرنسية إلى العربية.

لكن ما يثير الانتباه هو الصيغ الصرفية السليمة، مثل صيغة (انْفَعَل) التي كانت تستخدم في أفعال لا تستعمل لهذا العهد، كقول الشاعر (انْصَبَغ) بينما هي اليوم (تَصْبَغ) كما ذكرنا في الدراسة الآتية للهجات الولائية، وهذا الأمر يُبنى عليه تعقيد مفاده، أنّ الصيغ الصرفية للغة العربية الفصحى، مازالت تستعمل في عهد الاحتلال الفرنسي قبيل الثورة في ولاية تبسة، عند البدو خاصة فهم المكتبة التراثية اللغوية النقية للعرب، كما يُلاحظ التطابق اللهجي في هذا المستوى بين لهجات القبائل العربية آنذاك، فالجلامدة الذين تمثلهم أولاد بوقصة هنا، لهم الاستعمال اللهجي نفسه الذي تتخذه قبيلة أولاد حميدة بكل قبائلها وفروعها الكبيرة جدًا، وهذا يستلزم أنّ الاستعمال اللغوي عند العلاونة والبرارشة في اللمامشة واحد في العصور الأولى لتشكّل الحلف، ولا يختلف أولاد عبيد الشريف عن عرب اللمامشة فقد نشؤوا في حقبة واحدة ومكان واحد، حتّى إنّ كثيرا من اللغويين الغربيين المستشرقين يعدّون أولاد عبيد الشرفاء ضمن اللمامشة.

ولم تتغيّر الأبنية الصّرفيّة للأفعال في الأداء اللساني لدى سگان تبسة في سنوات الثّورة، خاصّة أهل الجنوب منهم، حيث لا نجد لأهل الشّمال موروثا شعريّا، بسبب اندثار القدماء والعجائز والشّيوخ الحافظين لأشعارهم لهذا العهد، ونجد في تكملة قصيدة "مهول" للشّاعر فرحي صميّدة، تحمل سمات صرفيّة في أفعالها هي نفسها التي حملتها اللهجة اللموشيّة التّبسيّة في العصور الأقدم من عهد الثّورة، لكن يظهر تعريب الأفعال الفرنسيّة جليّا خلال هذه الحقبة التّاريخيّة، يقول الشّاعر:

عَندي خُصُوناتٍ و	نَدورُ سُورُ وُعَسّات
أَقفالٌ نَحاسات	زُكْرُمُ و لِيهِ اشْكَالات
والطّيّارات لِي	تَسْرِكِلُ كُلَّ سَمَوات
والدّبّاباتِ واطْناك	مَعَ المُوطّارات
عَقّارِب ذات و	غَزارِم في الخِزَمات
رايَ هذا واتّ نُوصِيكَ	لِي حارِب مات
رايَ سُمومات ما	تُفْغِش مِنْها دُوايات
بكلام المَاضي يُوعار	دَرِج هَازين لِي دار
عَندي مِليارَ قُناصِر	وَعَفّارِيت كُبار
تَنشِف البَحار و تُطَبِّق	تَخْرِق بِالنّار
شَي لا تُحْكار و عَرْمَرَم	يِرْجِي الأَحْجار
بِسْكَك كُبار و نَفْزِر	في كُلالِ اوبار
نَقْلَع الأشجار واليابِس	و لِي يَخْضار
لا نَخْلي دار لا نَخْلي	بِيبْتُ و لا جار
لا نَخْلي ضَعار لا نَخْلي	شِيّاب كُبار
لا نَخْلي هابط لا نَخْلي	طِير لِي طار
لا نَخْلي مرابِط لا نَخْلي	لِيلُ وَسَهّار

انا كلامي هابط من
 صواقع وقتابل فُنطار
 وين يلحق فوشي
 بالسّيين ودلّ باسمك
 بديت نفصل نريقل
 جند نازل وتسرّكل
 لا فيه خلل وقناصر
 ثعبان جبل مدعس
 في سلاسل يدعدع
 من الله نزل لا صنّع
 في البرّ الكلّ لي شافه
 ثلب مخاويل مرسل
 لا طاح الليل يبات
 فيه هبالين مودرد
 في اعداد اثنين في
 العظم متين القوّة
 انياؤه سكاكين في
 ضرؤسه طواحين تحصد
 يعزم في الحين إذا

دّرج ها زين لي دار

نجد الفعل (تسرّكل) وهو تعريب للفعل الفرنسي (cercler)، ويعني به (أحاط)، وكذا
 الفعل (نزيقل) من الفعل الفرنسي (régler) الذي يعني (عدّل)، وهذا ناتج عن تأثر البدو في
 هذه الحقبة باللغة الفرنسيّة، وليس تأثر إعجاب بل تأثر كره ومقت، فاستعمالهم للغة الفرنسيّة

المعرّبة، كان بداية في الأفعال والأسماء المتعلقة بالمعارك والحروب، ثمّ انتقل إلى أفعال وأسماء أخرى، ومع ذلك تُعدّ ولاية تبسة أقلّ الولايات الجزائرية استعمالاً للفرنسيّة، وبدوها يعرّبون كل أعجمي بفطرتهم وسنأتي على ذلك في مبحث التعريب إن شاء الله.

ثمّ إنّ كسر ياء المضارعة في الفعل انخفض استخدامها في هذا العصر، مقارنة بالعصور التي سبقته، مثل الأفعال: تَحْرَق، يَلْحَق، ويمكن استنتاج أنّ هذه الحقبة؛ شهدت تغييراً طفيفاً نحو الاستقلال عن التّأثر بالاستعمال الصّرفي الخاصّ بالجنوب التّونسي، نحو التّأثر باللهجة الخاصّة بالمجتمع الجزائري غرب الولاية.

2_2_2_ المصادر:

لا تتغيّر المصادر الصّريحة الثّلاثيّة والرّباعيّة والخماسيّة وحتّى السّداسيّة، في عهد العثمانيين والاحتلال الفرنسي وسنوات الثّورة، عمّا هي عليه اليوم، كقولهم: قُول (قَوْلًا)، حُبّ، حَرْب، بلا (بلاء)، الظّهرة من ظهّر يُظهِرُ أي أخذ دربا عكس القبلة، فِراق، حصّونات وهي جمع مؤنث لحصن، عسّات، الماضي، كلام، اليابس، شُغْل (شُغلاً)، صُنْع، القوّة، حصاد وغيرها.

وكذلك المصادر غير الصّريحة، كمصدر المرّة، ومصدر الهيئة، والمصدر الصّناعي والمصدر الميمي، فهي لا يطلها تغيير، وتظلّ أبنية هذه المصادر سليمة ومحافظة على صيغها، منذ العهد العثماني حتّى هذا العهد، وذلك ما يجب أن تتميّز به اللهجة إذا كانت أصيلة، ووليدة بيئة لغويّة واحدة وأصيلة، فتغيّر أبنية وصيغ المصادر يعني تغييراً شاملاً في العمود الفقري لكيان اللغة واللهجة، وبالتالي يستحيل ربط لهجة مدروسة أنياً، بأخرى قبلها ليس لهما البنية المصدرية الصّرفيّة نفسها، فكأننا نقول هذا المولود لا يحمل أي جينات من أبيه البتّة.

2_2_3_ المشتقات:

علمنا أنّ الاشتقاق هو «أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى، وتغيير في اللفظ، يضيف زيادة على المعنى الأصلي، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق.»¹ ومنه اسم الفاعل واسم المفعول، اللذان لم يتغيّرًا منذ عهد العثمانيين، وبقي الاستعمال الصّرفي لهما في أداء سگان ولاية تبسة اللغوي، يحتفظ بأبنية اسم الفاعل واسم المفعول وصيغهما، ونجد ذلك في قولهم: سابق، قَائد، عيَاط، الواهمة، متقرّس، بادي، الناعس، الصّادي، مكحول، لاحق، صاحب، حاضر، حارب من «حَرِبَ فلان حَرْبًا: أخذ ماله فهو حَرِبٌ محروبٌ حريبٌ.»² شَيّاب، هابط، مرابط، سَهّار، مدعّس، مرسل، مدورد، مكوفخ، مسكين، الثامن، متين، قزين، الواحد، وغيرها من أسماء الأفعال وأسماء المفاعيل.

وكذلك فإنّ صيغ المبالغة تبقى على حالها، مثل قولهم: شُجَعان، مسكين، مدورد وأصلها من «الذرد: محرّكة: ذهاب الأسنان. ناقة درداء ودرّدم بالكسر، وزيادة الميم: مسنة.»³ ومكوفخ من الكفخ «ورجل مكفخ، وعمود مكفخ، كمنبر: قوي.»⁴ وشريف، عيَاط، رجيلة، هميلة، متقرّس، زينة، قزين وأصلها قسين بالسّين، وأقسن الرّجل أي «كبر وعسا.»⁵ وغيرها من صيغ المبالغة، ويظهر استعمال أبنية وصيغ ليست موجودة في العربية الفصحى، كقولهم بدلا من (مفعل) (مفوعل) في مكوفخ ومدورد، وقد انتقلت إلى الأجيال الحاليّة فنجدهم يقولون: مروهج، مصورخ (من الصاروخ)، مروفز وهي معرّبة من كلمة فرنسية .réfuser.

والأمر نفسه بالنسبة للصفة المشبّهة، فإنّ الصيغ المستعملة في الأداء اللساني الآني، هي نفسها المنتقلة من العهد العثماني وما بعده حتّى هذه السّاعة، ولم يطرأ عليها تغيير أبداً.

¹ الأفغاني سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سورية، 1994، ص 130.

² الفراهيدي الخليل بن أحمد، ج1، ص 299.

³ الفيروزآبادي مجد الدين، ص 280.

⁴ المرجع نفسه، ص 259.

⁵ المرجع نفسه، ص 1224.

وحتىّ اسما المكان والزّمان، وهما «اسمان مشتقان من المصدر، للدلالة على مكان وقوع الفعل أو زمانه.»¹ لم يطرأ عليهما أيّ تغيير من العهد العثماني وما يليه، وكذلك أسماء الآلة فقد كان عليها ما يكون من استعمالها الآني لهذا العصر، كقولهم: مدفع، مسمار، طيارات، موطارات، وغيرها بينما أسماء آلة كانت بالعهد العثماني سرعان ما تخلّى عنها الأداء اللغوي في تبسة، ويُعزى ذلك لشدة النّقرة التي كانت بين البدو وبين السّلطة العثمانية، رغم تواجد العثمانيين لقرون بالمنطقة، بينما أسماء آلة فرنسيّة معرّبة مثل (موطارات) (طوموبيلات) وغيرها، ظلّت مستخدمة لحدّ الساعة، وليس حبًا وتودّدًا باللّغة الفرنسيّة، بل لمقتضيات العولمة وانفتاح العالم في هذه الآونة.

2_2_4_ الجمع والمثنى والتأنيث:

لا يختلف استعمال صيغ الجمع بأنواعه في لهجات تبسة، في العصور القديمة منذ العهد العثماني إلى اليوم، فهم منذ القديم يجمعون المؤنث السّالم بصيغ المذكر السّالم، ولا يستخدمون الواو والنون، إلّا في مواضع تستدعيها الضّرورة الشّعريّة لديهم، وكذلك فجمع التّكسير عندهم كما هو في هذا العصر.

وكذلك فإنّ استعمال المثنى في العهد العثماني وما يليه، هو نفسه الذي يكون في هذا العصر، فصيغ المثنى تكاد تكون غير موجودة، وقد عوّضوها بصيغ الجمع، إلّا في مواضع تحتاج التّمييز العددي، كقولهم: قرّحين، خبالين، وغيرها، ففي هذه الحالة تثبتّ أبنية المثنى وبتميّز أيضا بين المذكر والمؤنث منها، كقولهم: خطوتين، كلمتين، ترّاسين وغيرها، وهذا قد ورثه المستعملون اللغويّون لهذا العصر من أسلافهم كما هو دون أيّ تغيير.

أمّا التّأنيث فالواضح أنّ المستعملين اللغويّين لهذا العهد، لهم ارتباط وطيد بالمستعملين اللغويّين في العهد العثماني، ففي جميع الأحقاب منذ العصر العثماني؛ يتمّ تأنيث المذكر المخاطب فقط، وتذكير جمع المؤنث السّالم في صيغ المخاطبات والغائبات،

¹ قباوة فخر الدين، ص 170.

ولا يبدو أنّ هذا الاستعمال كان رائجا خلال العهد الحفصي، بل كانوا يحافظون على صيغ التأنيث كما هي في لغة العرب الفصيحة، وهذا يتجلّى في أقدم بيتين شعريين يمكن التّحصّل عليهما، كانا في العهد الشّابّي لمنطقة تبسة، وهما لرجل يدعى الزّاهم بن عمارة قيل أنّه من أولاد موسى العلاونة، حيث يقول:

يا سامع الصّوت نادى رديتّ ليس محاجي
وجمعت صوب رادا من كلّ زنس واحي

وهنا نلاحظ المحافظة على صيغة المذكّر المخاطب في قول الشاعر: رديتّ، جمعتّ، بدلا من: رديت، جمعت، وتأثّر سكّان تبسة بأهل تونس في باب التأنيث والتذكير هذا، كان قويا في العهد العثماني والفرنسي، ولم يك أهل تونس ممكن يؤنثون المذكّر إلا بعد انتشار الطليان المستعربين فيهم، فالجريد التّونسي أساسا كان أرضا لأهل إيطاليا منذ الأزل، وتوافد المالطيين والطلّيان خلال عصور الازدهار الإسلامي، كان له تأثير في لسان أهل تونس، فأعاجم إيطاليا يذكرون المؤنث ويؤنثون المذكّر، وقد تسابق أهل اللمامشة وأولاد عبيد الشّريف وغيرهم من القبائل، إلى الاقتران بالإيطاليات خاصّة، وهذا جعل سمة تأنيث المخاطب المذكّر تنتقل إلى أهل تبسة وشرق الجزائر، والأمر نفسه في دولة المغرب التي يؤنث أهلها جميعا المخاطب المذكّر، بسبب اختلاطهم بأعاجم الإسبان والبرتغال.

ونجد في أشعار اللمامشة ما يؤكّد ارتباطهم بنساء أوربا، المقيمات في جريد تونس، في قصيدة لرجل اسمه بلقاسم بن الغالي التّوكوي، حيث يقول ممتدحا أخته الوحيدة ومعرّجا على ذكر محبوبته الرّومية:

راؤ خدّها شعّال برق لِعجّ بات يشالي
يا عين بوسرّوال ها مباركة بنت الغالي
ها مباركة جوف السّلسة عدلت على العقد التّالي
درّبت سؤالف وقصّة وعيُون شرّاد ريم الفالي
برّا لها مشاكي دسة برّا وبلّغ بسؤالي

رَشْرَاشُ وَبَرْدُ وَرَزْرَازِي	عُقْبَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ دَمَسَةَ
بِنَ عَمَ لِيكَ قُرَيْبِ	فُؤُولِهَا هَا حَضْرِيَّةَ
رَانِي عَلِيكَ نَجِيبِ	أَدَاكَ الزَّمَانَ حُنْتِي بِيَا
سَيِّدِي مَسْلِمَ لَجَا لِلْعُدْوِيَّةِ	شُوفَ شُوفَ هَا رَبِّي
وَلَا شَافَتْ عَيْنِي الْمُؤَذِيَّةِ	لَا قَالِ فُمِّي وَلُسَانِي
عَلَى جَالِ طُفْلَةَ رُومِيَّةِ	نَضَبُوا الْعَقِيدَةَ حَكْمُونِي

2_2_5_ النحت والتعريب:

لا تتفكّ العرب عن استخدام النحت، فهي «تتحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار»¹ فهو يفتح مجالا للإبداع وللاكتفاء المعنوي بألفاظ عديدة، وقد كان النحت آلية سلسلة بيدي البدو في تبسة، توارثوه من أسلافهم العرب القدماء، فنجد الكلمات التالية مثلا: (البُجَادِي): وهي نحت جميل من كلمة (أبجديّة) وصيغة المصدر الصناعي (أبجداويّ)، ولما ثقلت صارت (بُجَادِي) أي كناية عن المبتدئ الذي بدأ بالأبجديّة، ولا تزال مستعملة لحد الساعة، عرمرم، فَنَزَرَ من فَنَزَرَ أي قطع والتون للدلالة على قوّة الفعل، يتكَلَّل، دَعَدَع، خَلَّخَل، وغيرها.

وأشهر ما نحت أهل تبسة جميعهم، لفظ (غَيْرَادَة)، فيقولون: جَانِي على غَرَادَة، وهي من لفظين: غَيْر + إِرَادَة، فهي: جَانِي على غير إِرَادَة، وهذا تنفرد به تبسة دون غيرها من ولاية الوطن، إلّا من قلدها فيها.

وأما التّعريب وهو في اللغة «مصدرٌ للفعل المضعّف (عَرَّبَ) يقال عَرَّبَ الكلمة، أي نقلها من لغة أجنبية إلى العربية، واسم الفاعل مُعَرَّب، وهو الشّخص الذي يقوم بهذا العمل، واسم المفعول مُعَرَّب واللفظ الذي يُعَرَّب»² فالاسم المعرّب أو حتّى الفعل المعرّب، هو «ما

¹ ابن فارس أبي الحسن أحمد، الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تع: أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997، ص 209.

² إبراهيم رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، ص 129.

استعملته العرب من الألفاظ الموضوعية لمعان في غير لغتها. قال الجوهري في الصحاح: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول: عربته العرب وأعربته أيضا.¹ وبهذا فإن ما قيس على كلام العرب فهو من العربية، حيث يقول ابن جني في هذا: «ويؤكد هذا عندك أنّ ما أعرب من أجناس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها؛ ألا تراهم يصرفون في العلم نحو آجر، وإبريسيم، وفريند، وفيروزج، وجميع ما تدخله لام التعريف. وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الدياج، والفرد، والسهريز، والآجر؛ أشبه أصول كلام العرب، أعني النكرات، فجرى في الصّرف زمنه مجراها.»² وهكذا فإن سگان ولاية تبسة في كل عصر، لا ينفكون يستعملون آلية التعريب في ألسنتهم، ونجد في العهد العثماني أمثلة من قصيدة نصر بن عمرو بن خالد الجبّاري الحميداني، الكلمات التالية: (البوداش) وهي كلمة تركية أصلها (يولدش) أي رفيق الطريق، وصارت تعني الدليل في الجيش، وعربها العرب في تبسة فصارت (بوداشي)، و(الزمل) أو (الزمل) و(الزمل) أيضا هي فرقة عسكرية عثمانية، تتألف من أهل المنطقة من عرب وبربر، واسمها الزمول والزّمالة، وكلمة (الدنوش) وهو «مصطلح خاصّ بايالة الجزائر لوحدها كما يبدو، رغم وروده في القواميس التركية بصيغ مختلفة: دنوش، دنوش، دنوشين والتي تعني الرجوع والعودة، أي عودة البايات إلى مدينة الجزائر لدفع الضريبة المتوجّبة عليهم لحاكم الجزائر، وضريبة الدنوش عبارة عن تأدية للأموال المجمعّة من المقاطعات، تحصّل كل نصف سنة بتشريفات كبرى، لتودع لدى الخزانة بمدينة الجزائر.»³ وهكذا فقد تمّ تعريبها.

ثمّ عرب أهل تبسة الألفاظ التي احتاجوها من اللغة الفرنسية، مثل الكلمات: تسركل، نزيقل، موطارات من motocycle، فوشي من fusille، أمّاكين من machine، وغيرها من الألفاظ الأعجمية، بل إنهم أطلقوا أسماء على آلات من صنع غربي، كالسيارة التي تسمّى

¹ السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، ص 268.

² ابن جني إبي الفتح عثمان، الخصائص، ص 356.

³ كعوان فارس، المصطلحات الادارية العثمانية في الجزائر: مصطلحات: الباشا. الدنوش. البايلك. كتماذج، مدارات تاريخية، عدد أبريل 2019، الجزائر، 2019، ص 131.

عند بدو اللمامشة وأولاد يحيى ب (الكرهبة)، وهي أصيلة اللهجة التونسية، وأصل الكلمة عربي تمّ أعجمته، كانت أصلا (عَرَبَة) وعجمها الأوروبيون في القرن 19م، فصارت (carabas)، ثمّ انتقلت إلى تونس بواسطة التّواجد الأوروبيّ الغزير فيها، بسبب التّجارة والتّزواج والحروب، فأعاد العرب تعريبها جهلا بأصلها وقالوا (كرهبة)، فهي بضاعتنا ردت إلينا.

ونلاحظ أنّ الخصائص الصّرفيّة قد انتقلت، دونما تغيير يطالها من العصر العثماني إلى عهد الاحتلال الفرنسي، إلى عصرنا هذا، وهذا يدلّ على الصّلة المباشرة للهجات تبسة، بأّمها التي كانت في العصور القديمة، وأنّها لم تتعرّض إلى الاضمحلال أو التّطوّر الواضح أو التّغيير، بل حافظ الأداء اللساني في المستوى الصّرفي على بنياته، فالخصائص الصّرفية هي العمود الفقري والهيكل العظمي الذي تُبنى عليه اللغة واللهجة.

2_3_ المستوى النّحوي:

في هذا المستوى اللغوي لا يمكن الوقوف على متغيّرات لسانية، تميّز بين مرحلة تاريخيّة وأخرى، فبناء الجمل الإسميّة والفعلية كما هو في الاستعمال الآني لهذا الزّمان، وكذلك بناء وإعراب الأفعال من حيث زمانها ومن حيث الجنس والعدد، وقد ذكرنا أنّ في ونزة استعمالا يخصّ الجمع، فيقولون: يَمْشِيُوا، مشاؤا وعلى هذا المنوال يقاس كلامهم في هذا الصّرب، وهذا الاستعمال دخيل عليهم، فقد أكّد عدد من كبارهم وشيوخهم أنّهم لم يكونوا يتكلمون بهذه الصّيغة، إنّما أدخلها عليهم الهرايسية والحنانشة، والهرايسية هم من قبيلة مرداس السّلمية التي تسيطر على عّابة والطّارف، وشمال تونس كلّها تقريبا، وهذا الأداء إذا أردنا تصنيفه إثنيّا؛ فهو لبني هلال لكثرة الهالبيين المستخدمين له في الجزائر بأكملها إلّا تبسة والوادي وشرق أمّ البواقي وبعض سوق أهراس، وكذلك فإنّ جميع المغرب يستعمله ولا نجده عند أهل الصحراء الغربية وموريتانيا، بل تكاد لهجتهم تطابق لهجة تبسة العامّة.

كذلك فاستعمال الضّمائر متّصلة كانت ومنفصلة واحد، لكنّ الملاحظ هو كسر هاء الضّمائر المتّصلة: هم، كم، في العهود القديمة قبل هذا العصر، وهذا يسمّى الوهم والوكم،

قال السيوطي: «ومن ذلك الوكم في لغة ربيعة وقوم من كلب؛ يقولون: عليكم، وبكم، حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة. ومن ذلك الوهم في لغة كلب؛ يقولون: منهم، عنهم، ونبتهم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء، ولا كسرة.»¹ وهذا شائع في لهجة البدو اليوم وقد توارثوه مذاك العهد القديم، فبنو كلب² تخالطوا مع سُليم وبلحارث كثيرا، وهذا في صعيد مصر، وقبل ذلك في جزيرة العرب أيام الصّراع على الخلافة في عهد عبد الله بن الزبير، حيث تقالت سُليم وكلب وكان النصر لبني كلب.

وكذلك فإنهم يُسكنون واو (هُو) وياء (هِي) فيقولون: هُو، هِي، وهذا استعمال قديم جدا عند العرب، وقد «نُسب إلى قيس وأسد تسكين الواو من هو والياء من هي، فيقولون: هُو فَعَلَ ذلك، وهِي فَعَلَتْ ذلك.»³ وبنو قيس هم قبائل عديدة كثيرة تنتشر في الجزائر وأشهرها هلال وسُليم وفزارة، بينما بنو أسد⁴ لم تترك المصادر شيئا يذكر وجودهم في الجزائر أو تونس، إلا أن تكون قبيلة سُليم قد أخذت من بني أسد كثيرا من لهجتهم، حيث أنّ القبيلتين متحالفتان في الجاهلية وجيران في الإسلام في ديار الحجاز.

كذلك فإنّ الاستغناء عن ياء المثني والزام الألف فيه، من الظواهر القديمة التي تطوّر استخدامها مع الزّمان، ونسبت هذه الظاهرة «إلى بلحارث بن كعب وختعم وزبيد وكنانة وبني العنبر وبني هجيم، وعذرة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل.»⁵ وقد شمل هذا الاستخدام

¹ السيوطي جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تع: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص 426.

² بنو كلب: من أشهر قبائل العرب التي أخذ منها اللغويون فصيح العربية، ونسبهم هو: بنو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، ومن أشهر رجالها الصحابي زيد بن حارثة رضي الله عنه.

³ كريم محمد رياض، المقتضب في لهجات العرب، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، السعودية، 1996، ص 149.

⁴ بنو أسد: من قبائل الحجاز الشهيرة ونسبهم: بنو أسد بن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم أقرب القبائل إلى كنانة وهذيل وتميم، وأعداد قبائل وعمائر بني أسد كثيرة، أشهر أعلامهم أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكثرتهم اليوم بالعراق.

⁵ كريم محمد رياض، ص 151.

التّخلي عن الياء مطلقا واستبدالها بالألف، كقولهم: علاها وفاها يقصدون عليها وفيها، حيث نجد ما سبق ذكره في قصيدتي سي أحمد بن محمد العباسي الحميداني¹، حيث قال:

سَاقَ النَّجْعَ وَسَارَ مِنْ وَطَنِ الْأَجْدَادِ
قَاصِدٌ بَرٌّ بُعِيدٌ لِينَا فِيهِ دُمَايَةَ
هَذَا وَقَتَّ ضَعِيبٌ ذَلُّوا فِيهِ أَجْوَادِ
وَالشُّرْفَا نَوْصِيكَ رَاهُم دَرَايَةَ
هَابَ لِي هِبْنَاهُ رَانَا لِيكَ اسِيَادِ
لَا تَوَلِّي حَشَادُ وَغِيرِكَ شَرَايَةَ
مِنْ تُوزَّرَ جِينَاكَ وَأَفْصَدْنَا الْأَحْمَادِ
وَالْقُلِّي هِرْمَنَاهُ وَدَاتِهِ الْأَهْوَادِ
وَلَدَ حَمِيدَةَ أَنَا وَالْعَرْشَ الرَّوَادِ
وَالْقُلِّي هِرْمَنَاهُ وَدَاتِهِ الْأَهْوَادِ
يَا سَامِعَ الْمَلَامِ إِلَّا كَانَتْكَ قَدَادِ
وَأَفْصُدْ لِي لِمَامِي شِ حَطُّوا فِي الْأَبْعَادِ
وَقُولْ لَهُمْ يَا نَاسَ خَلْفْنَا الْبِلَادِ
وَجِينَاكُمْ بِزُمُولِ سَنْدَةَ وَحَمَايَةَ²

ونلاحظ الوكم في لهجة الشاعر خلال ذلك العصر، وفي القصيدة الثانية نقف على

الوهم وكذلك الاستغناء عن الياء بالألف، يقول الشاعر:

تَسَاسَاهَا يَا بَنِي قُمْرِيَّةِ
وَتَجَمَّلَهَا يَا بَنِي وَرْشَانَ
تُوصِلُ نَجْعَنَا دِيرَ مُزِيَّةِ
حُطَّ خِيَامَ الْعَرْشِ فِي رَغْوَانَ
قُلُّهُ زَايَ النَّاسِ تَعْنَى لِيَا
وَأَنَايَ وَحِيدُ وَضِيْفَتِي طُشَانَ
وَالجِدِّ لِي كَانَ جَيْشُهُ تَهْيَا
شُوَاشُهُ لَزُوهُ لِلْمِيْجَانَ
وَلِي نَذُّهُوا فِيهِ نَذُّهُوا فَيَا
وَالجَامِعَ مَهْجُورَ يَا الْإِخْوَانَ
يَا أَوْلَادَ الْأَشْرَافِ صُدُّوا لِيَا
رَاؤُ الرِّبْعِ خِلَا مِنْ الضِّيْفَانَ
وَالوَطَنَ الْمُهَابَ جَاتُهُ سَيَّةِ
فِي كِرَاغِلٍ وَاتِرَاكٍ بِالطُّغْيَانَ

¹ هو الشاعر اللموشي سي أحمد بن محمد العباسي الحميداني، زعيم قبيلة أولاد حميدة خلال عهد صالح باي.

² القصيدة عبارة عن رسالة من زعيم أولاد حميدة إلى زعيم قبيلة من قبائل واد سوف التي حطت بأراض أولاد حميدة بجنوب تبسة في تليجان، في غياب أولاد حميدة أثناء رحلتهم الصيفية إلى زغوان وتوزر في تونس.

يا اولاد حميدة حُقُوا الحَيَّة
 زُوْرُوا على المركوب كلَّ ثَنِيَّة
 وزيد تَحْوِيلَةَ المِشِيَّة
 وَلِمَشْنَنِلٍ من فِيهِ زاد تَقْيَا
 وَيِنَّهُ يا الأَجْوَاد نَعْرَةَ عَرَبِيَّة
 باعتلك مرسل يخبر ما بيَّا
 كان غزو وسيف زال القيروان
 وحُطُوا على المِيَاهِ في ثليجان
 تَلْفُوشِي فِي فزوعنا كَسَدَان
 واعفوه الفَجَّارَ بِالنَّيْران
 مع لماميش الصّف والعُرْبان
 ردّوا خير النَّاسِ ها هُوَ المَعْلَمُ بَانَ

فكلمة (تساساها) أصلها (تساسيها)، وإن تُعزى هذه الخاصية لبلحارث بن كعب، فالشاعر من قبيلة أولاد حميدة التي تتميز باستعمال الفتح في مواضع مدّ الكسر، كقولهم: (عافاها) بدلا من (عافياها)، و(تسواها) بدلا من (تسويها) وغيرها، وعلى هذا تتحو قبيلة أولاد مسعود أيضا، وأولاد حميدة هؤلاء هم من بلحارث، وأولاد مسعود أيضا فيهم عميرة كبيرة من بلحارث، وكذلك فهذا الاستعمال ينتشر بقوة في أولاد يحيى بن طالب، وسببه تأثر هوّارة والكعوب بلهجة بلحارث بن كعب، وكذلك ببني زبيد المذاحجة وهم غالبية في توزر وواد سوف، وإن كان التأثير بكنانة فلا نعلم من كنانة إلا الأدارسة العلويون القرشيون، ويمثلهم بآتم معنى الكلمة قبيلة أولاد عبيد الشريف وقبيلة أولاد أحمد بن خذير الشريف، وأولاد التليلي الشرفاء في القصرين، ونجد هذا الاستعمال النحوي عند الغائرين في البداوة من أولاد عبيد الشريف، في بئر العاتر والمرموثية وغيرها من مناطق نجعهم.

كذلك نجد الاستغناء عن فتحة الواو في (هُوَ) في قول الشاعر: ها هُوَ المَعْلَمُ بَانَ. وتسكين الياء أيضا في (هي)، وهذا الأداء لا يزال مستعملا في الشريعة وثليجان وبئر العاتر وبئر مقدم والحمّامات وبجّن وجميع الدوائر والبلديات الجنوبية التابعة للمامشة، ويظهر جليا وقويا عند البدو منهم، وقد توارثوه خلفا عن سلف.

بالنسبة لأسماء الإشارة فهي نفسها في كل عصر لم تتغير، فيستعمل أهل تبسة جميعهم الأسماء: هذا، هذي، هذوا، هذوله، هذوك، هذوك، هذاك، هذيك، ذاك وذيك، ولم يكن استعمال الفصحى لدى قبيلة التكاكة في العصر العثماني، كما هو اليوم إذ يبدو أنّ

الجيل الذي عاصر أواخر القرن العشرين، قد تأثر كثيرا بالفصحى من خلال التعليم والمسلسلات العربية التاريخية، إذ لا نجد في أشعار التكاكة بناءً للفصحى في العهود السابقة، ولا إثباتاً للحركات الإعرابية كما نجده اليوم.

لكنّ الملفت للانتباه هو ما يتضمّنه الأداء النحوي لأسماء الموصول عند التكاكة، فقد احتوت قصيدة لشاعرٍ معروفٍ عندهم، يدعى بلقاسم بن أحمد ساكتة¹؛ أسماء موصول لا يستعملها إلا التكاكة فقط، حيث يقول الشاعر:

يَالِي شَاهِي الرِّيحِ بَجُودَه	هَاهُو الرِّيحُ قُرَيْبُ بِنَابِه
دَحَقَّ فِي حَدِّ الحَنْدُودَه	تَلَقَى الرِّيحَ قُرَيْبَ بِنَابِه
لَامُونَا شِيَابِ شَابُوَا	وَلَامُونَا حَتَّى تَحَشِّمَنَا
الحَقَّ عَمَاه لِي لايْمَنَا	كُون صَامُه صِيْمِ صَايْمَنَا
يُخْرَجُ عَن سِنُه وَاجْنَابُه	كُون دَهْمُه سِيْلِ دَاهَمْنَا
تَدِيَه الحَمَلَه بِأَيْبَابُه	وَأَمَّا لِي يِرَاعِي لِلْقِمْنَه
كَيْفِ عَدَمْنَا يَعْرِفُنَا	المِيْت بِأَسْبَابُه

يَالِي شاهي الرّيح بنابه

يَعْرِفُنَا كَيْفِ تَهَوَّلْنَا	وَيَعْرِفُ فِينَا مَاذَا قِمْنَه
يَبْهَزُ مِنْ قَبْرُه يَعْلَمْنَا	مَاذَا تُوقُه لِيْنَا رَابُه
مِنِين فَصَلْنَا جِبْنَا	وَإِ صَهِيْبُ وُدْمَنُه لَأَمْنُ جَابُه
إِلَّا مَسْرَجِ وَسَطِ اصْحَابُه	لَكِنْ فِي صَمَاصِيمِ عَظْمَنَا

مِثْلِ الثَّالِبِ نَاصِ تْرَابُه

كُنَّا دُوا الوَهْرَه يِرَازِيهَا	يَعْبِي عَيْنَ دُو يِحَاحِيهَا
-----------------------------------	--------------------------------

¹ بلقاسم بن أحمد ساكتة، شاعر من فحول الشّعر في قبيلة التكاكة اللمامشة، وُلد بمنطقة ثليجان وعاش في جنوب تونس بمنطقة نفاوة ونفطة، يكتى باسم بلقاسم ابن الحمرا، عاش خلال نهاية القرن 19م وبدايات القرن العشرين، وتوفي بمنطقة المرموثية.

يُنَدِّه شَاقِي لَاهِي بِيهَا وَصَدَّ لُخُوكِ مُسَكَّرِ بَابُهُ
شَاقُونَا هَذَبَاتٍ ذَابِنٍ وَوَلَزْنٍ لَنَا لِيْنَ أَرْزِنَا
ظَرِيفَ الْخِطَى مَاذَا يَحْمَلُ مَاذَا مِنْ سَمَحَاتِهِ يَجْمَلُ
عَبَّرَ فِينَا مَاذَا ذَرَارِي لِي طَلَبَاتُهُ

يَالِي شَاهِي الرِّيحِ بَجُودِهِ دَحِقْ مَاذَا يَلُوي عُودِهِ
ظَابِي وَيَشَارِدِ فِي خُدُودِهِ ذَيْبَ بَيْتِيَّةَ طَالِ عُدَابِهِ
وَلَا حَدَّةَ مِثِيلِ الْقَمَرَةِ تَطَهَّرَ فِي غَيْثٍ نَلْهَى بِهِ
شَعُويَّةَ يَا عَطِيلِ الرَّابِي زَادَ اسْبَابِي مِنْ عُودِهِ حَتَّى لِتْرَابِهِ
يَا سَمَحَ الْبَلْجَةِ يَا عِلْجَةَ يَا شَارِدِ مَصْقُولِ انْيَابِهِ
يَا سَكْرَةَ مَعْتُوقَةَ حَبْرَةَ يَا جَمْرَةَ جَوَاجِيَا طَابُوا
يَالِي شَاهِي الرِّيحِ بَجُودِهِ لَاحَ الرِّيحِ قَرِيبَ بَنَابِهِ

ففي القصيدة نجد اسم الموصول المستعمل في لهجات تبسة: لِي، الذي حذف منه (ذِي) للاستخفاف وقد درج هذا الاستعمال عند العرب القدماء، إذ يحذفون أصواتاً من أسماء الموصول استخفافاً للألسنة «وقد بالغوا حتى حذفوا التاء والياء والهمزة من اللّاتي واللّوائِي فقالوا: اللّا واللّوا»¹، بينما يضيف الشّاعر اسم الموصول (ذُو) الطّائِيَّة، و(ذَا) التي تستعمل مع (مَا) الاستفهاميّة، حيث قال الشّاعر:

كَنَّا ذُوا الوهرة يزارِيها يعبِي عِينَ (ذُو) يحاحِيها

ف (ذُو) التّائِيَّة اسم موصول لا يستعمله العرب اليوم، وكانت قبيلة طِيء قد اشتهرت به، حيث «تستخدم قبيلة طِيء (ذُو) اسماً موصولاً عامّاً، للمفرد والمثنى والجمع والمذكر

¹ الأندلسي جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي، شرح التسهيل لابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي مختون، ج1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 2008، ص 195.

والمؤنث، بصورة واحدة لا تتغيّر في كلّ ذلك.¹ وقد اشتهرت في لسان طيء وفي أشعارها، يقول حاتم الطائي:

وَمِنْ حَسَدٍ يَجُورُ عَلَيَّ قَوْمِي وَأَيُّ الدَّهْرِ ذُو لَمْ يَحْسِدُونِي²

ولم تقتصر (ذو) على قبيلة طيء بل قدّ العرب بني طيء، واستعملتها سُلَيْمٌ وهذيل وبنو أسد ونجد ذلك في شعر منظور بن سحيم الفقيسي الأسدي إذا يقول:

فإِذَا كَرَامٌ مُوسِرُونَ لَقَيْتَهُمْ فَحَسْبِي مِنْ ذِي عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا³

والشاعر جعل (ذو) تصير إلى (ذي) وهذا مستعمل عند بعض الأعراب قديما، وكذلك فإنّ الشاعر بلقاسم بن أحمد يستعمل اسم الموصول (ذا)، في قوله: مَاذَا قِمْنَةٌ، مَاذَا تُوقُّهُ لِينَا رَبُّهُ، مَاذَا يَحْمَلُ، مَاذَا يَجْمَلُ، وكلّها تعمل عمل اسم الموصول (الَّذِي)، وهذا انفراد واضح بهذا الأداء النحوي لقبيلة التكاكة.

هذا الاستعمال لم يعد موجودا خلال فترة الثورة التحريرية وما بعدها، وقد يرجع سبب ذلك لتخطيم العزلة التي كانت تفرضها القبائل على نفسها، فخلال ثورة التحرير حصل ترابط اجتماعي خاصّ جدًا بين جميع أطراف المجتمع الجزائري، وهذا أثر في اللغة كثيرا، من حيث التمازج والتلاحم اللساني، الذي فرضته الروابط الإثنية الاجتماعية الجديدة، بسبب عوامل سياسية فعّالة جدًا.

نلاحظ هذا الاستغناء عن ذلك الأداء النحوي، في قصائد جيل الثورة، فنجد هذا في قصيدة رائعة للشهيد جواد بن مسعود مسعي التكوكي⁴، حيث يقول:

مَرْحُولَهَا حَاحُوهُ وَقَبْلَ وَين شَبَّتْ دَابِلِ الأَعْيَانِ

¹ الدليمي رياض عبود غوّار، ص 147.

² العيني بدر الدين محمود بن أحمد، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، تح: علي محمد فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر، ط1، دار السلام، مصر، 2010، ص 417.

³ الأندلسي جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي، ص 199.

⁴ جواد بن مسعود بن جواد مسعي التكوكي: المدعو العجال، من أبطال الجزائر وشعراء الجلامدة، التحق بثورة التحرير سنة 1954م مع أوائل المجاهدين من قبيلته، واستشهد في معركة قعور الكيفان تازريونت يوم 16 جوان 1957م، في وقعة تقشعر لها الأبدان، وقد دونت هذه القصيدة من أخته مباشرة رحمها الله، الجدة زينة بنت مسعود مسعي.

راني نَجْظَر ناري	تَشْعِل في الأَكْنان
مرحولهم حَوّل وَقَبْل	بَاتَ يَنْقَل حَوْل مِنْ سَفْح الوُدَيان
حَوّل عَقَبَ اللَّيْلُ وطَعَى	عَرَى رَسَمَ الدَّارِ وَرَعَى
لا خاطر منهم نَسَعَى	وين شَبّوا تَدْبِل الأَعيان
ريقي وَلى مُرٌ وَسَلْغَة	مُلْغَة وَمَعَاها القَطْران
ريقي القطرانُ بُذاتُه	غاصِبَ عَلَى نَفْسِي عَدَّاتُه
ادتلي عقلي ما رَدَّاتُه	وَادَّاتُه مَعَاها غَضبان
وَادَّاتُه زَعمة باصَاتُه	باصَاتُه مُدَّة وَزَمَان
باصَاتُه مَباصِيَة جَنايَة	وما عِرْقَتَشِ في ناي
قَعَدت مِطَيِّشِ للهوايا	يا رَفقة.. نَشَفَ الحِجرَة والصَّوان
نَجَعَ الرَّهْوةَ عامِلِ رايَة	جاي بِسَهْلها وَأَبْطان
رَحَلوا مِنْ الصَّبْحَة وَطَواطَة	وعَشَّوا في سوايح قَرَمَاطَة
وَأثولي طُفلة حَرخَاطَة	سَمَحَ سَمَاطَة شَمْحُوطَة كي عود الزَّان
شَمْحُوطَة كي عودِ السَّرْول	كيما نَشَبَحْها نَدَّرول
عَظْمِ يَزول سَاعَة	تقول ريم العُدَيان
انا راقِد دَوا تَوْرني	تَوْرني كي رِيحِ جا
تَوْرني مِنْ غِيرِ مَرَّوَة	انا نَطْبِي وَهُوَ يَنْقَوِي
ولفي يَنْوَلِ عِطْرِ	بَسَلُولِ العِيدان
كي تَدَوِي مَنْتَوَعِ العَاشي	للي يُحْطُر ما تِرْقاشي
سِقْطَت عَنْ دَمْعِ الحَناشي	ظَهَرَ تَعاليمُه عَرِيان
قالت نَوَة ما نَجْمناشي	ما اَكثر غُشي على الطَّلِيان
ما اَكثر غُشي من سالفها	سالفها كي جا مِتْحَدِر
مِثْلُه جِيشِ مِتْحَيِّر	بِينَ مَوَكَّرِ قِبْلة قَرْمَة والعُرْدان

لَحْفُوا الصِّيَادَ الْمُتَقَنِّطَرَ حَبُّهُ يَنْقَرُ ضَرْبُهُ تَكْدَسُ عَلَى الْيَسَارِ
 ضَرْبُهُ تَكْدَسُ طَاحَ ثَمَّهُ وَقَعَدَّ مَمْرَعِدَ فِي دَمُهُ
 وَلِي عِنْدَهُ وَعَدَّ يَتَمَّهُ رَاو جَائِبَ لَعْلُو تَنْجَالِ
 يَا الْخَاوَةَ صَادِقَ مِنْ رَبِّي نَازَلَ بِالسُّورِيِّ وَالْعَرَبِيِّ
 يَا الْخَاوَةَ مَا صَبْتَشَ طِبِّي بَيْنَ سُودَانَ وَهَا الْقَبَالِ
 الْعَبْدَ لِي زَائِدٍ عَنِ حُبِّي تَوَقَّلْهُ قَلْبِي وَمَازَالَ
 قَلْبِي تَوَّقَ عَاشِقَ فِيهَا مَا قَامَ فِي الدُّنْيَا نَابِيهَا
 عَجْبُونِي مَقَاوَسَ فِي يَدِيهَا وَالْخُرْسِ يُوَاتِيهِ ابْدَانَ
 هَا رَاقِبَ عَلَى كُلِّ وُلِيِّهِ أَنْظُرْ لِيَا، إِغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِيَا
 عَرَشِي وَأَهْلِي وَأَمْوَالِيَا فِي الْيَوْمِ لِي يَظَلُّ اِقْبَالَ

لا نجد في هذه القصيدة الممتعة استعمالا لـ (نو)، الذي كان في القرن 19م، ويبدو أنّ استعمال (لي) قد أخذ فرصته الكبيرة في عصر الثورة، كذلك فإنّ استعمال (ذا) الذي يصاحب (ما) الاستفهامية، لا يزال موجودا حتى هذه الساعة.

ويستعمل أهل تبسة أسماء الاستفهام في العهد العثماني، وما يليه بالأداء التحويلي نفسه، الذي يكون اليوم، لكن قديما في العصور الثلاثة السابقة، لم يزد المستعملون صوت الهاء بدلا من الشين، في: علاش، وقتاش، كيفاش، واش، وغيرها، فالهاء دخيل معاصر جدا، تقليدا للهجة عنابة فقط وما هو من الأداء اللساني التبسي.

كذلك نلاحظ استعمال (ماذا) في وظيفة (كم)، كقول الشاعر في القرن 19م: ماذا ذراري لي طلباتّه. أي كم من ذراري الذين طلبوه. وهذا الاستعمال لا يزال موجودا اليوم لكن يكثر في صيغة التّعجب، كقولهم: ماذا كبير الجبل هذا!!

كذلك بالنسبة لحروف العطف والجرّ، فنلاحظ ثبات استعمالها منذ عهد العثمانيين، حيث لا يعقل أن يستغني المستعملون اللغويون عن حروف العطف والجرّ، وهذا يظهر من خلال قراءة القصائد السابقة ووصفها وتحليل أبنيتها، لكنّ الملفت للانتباه هو استعمال

حروف النداء، حيث نجد أنّ النداء في العهد العثماني يكثر فيه استخدام (آ)، وهذا الحرف يستعمل لمناداة البعيد، وهو استعمال بدوي ظلّ محافظاً على تواجدته حتى الساعة، وغالبا ما يستعمل حين الدلالة على السخط أو النقمة، كقول الشاعر: آ قَايِدْ عَشُورَ الطُّبُوشِي. وهو خطاب استهزائي يحمل السخط في دلالاته.

وتستعمل (ها) أيضا بصورة كبيرة لدى سكان تبسة قديما، وموقعها حين يراد بالخطاب التودّد أو الترحي، كقول الشاعر: هَا مَبَارَكَة جُوفِ السَّلْسَة. وأمّا (يا) فتستعمل دوما في النداء عند العرب، وتتخذ مواقع مختلفة لكلّ مقتضى من الأحوال، ولا يتغيّر الاستعمال النحوي لحروف النداء منذ العثمانيين حتى الساعة، لكنّ المتغيّر الوحيد هو الحالة البيانيّة التي تغيب عن مستعملي اللغة اليوم، فالقدماء يعرفون بيان كلّ استعمال لسانيّ لديهم، بينما يختلط الأمر كثيرا للمستعملين اليوم.

وقد توارثت الأجيال خاصيّة الترخيم، وهو «حذف أواخر الأسماء المفردة الأعلام تحقيقا، ولا يكون ذلك إلا في النداء». ¹ ويؤكد السيوطي بأنّه «حذف آخر المنادى، ولا يرخم غيره إلا ضرورة إن صلح له». ² وقد سمعت من الشيوخ الهزم ممن تجاوز الثمانين عاما، أنّهم يتنادون بحذف أواخر أسمائهم، كقولهم: يا عمّا، يريد عمّارا، ويا حمّه، يريد محمّدا، وهذا الاستعمال لا يزال موجودا عند جيل هذا العصر، ولو باختلاف بسيط، حيث يكادون لا يظهرون من الاسم إلا حرفا، كقولهم: يا زاكّي، يريدون زكرياء، ويا النّي (بتفخيم النون) يريدون نبيلًا، وغيرها.

ونلاحظ الخصائص النحوية لكلّ عصر من العصور المقصودة في المقاربة، فهي لا تتمايز فيما بينها، ولا تختلف عن هذا العصر، بيد أنّ إثبات بعض الحركات الإعرابيّة كان استعمالا مفعّلا، خاصّة لدى البدو الضاربيين في البداوة، فسماع القصائد من أفواه العجائز

¹ ابن السراج أبي بكر محمد بن سهل، ج1، ط2، ص 359.

² السيوطي جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، ج3، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1992، ص 76.

والشيوخ مباشرة، يجعل الباحث يدرك جيّدًا أنّه يتلقّى لغة عصر القصيدة كما قيلت، وتظهر الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات، لكن ليس بقواعد اللغة العربية المعروفة، بل بقواعد أخرى، نقول أنّها لضرورة الاستخفاف، فربط كلمة والتي تليها في لهجات القدماء، يستدعي تحريكًا في أواخر الكلمات وتسكينًا في أوائل التي تليها، وهذا يمكن ملاحظته جليًا في القصائد السابقة.

ونرى في القصائد السابقة وجود التّوين، وقد يقول قائل إنّما هو للضرورة الشعرية، لكنّ الذي عايش وعاصر الشيوخ المولودين في أوائل القرن العشرين، أو حتّى المولودين خلال السنوات الأخيرة من القرن 19م، يعلم جيّدًا أنّهم كانوا يستخدمونه، كقولهم: شَيِّ كُبَّارِي لِي نَشُوفُوا فِيهِ.

والتّوين هو «نون ساكنة أيضا، وإّما جمع بينهما في الذّكر، لأنّ التّوين اسم لنون ساكنة مخصوصة، وهي التي تلحق الكلمة بعد لفظها، لا للتأكيد، ولا ثبات لها في الوقف، ولا في الحطّ.»¹ ونلاحظ هذا الاستعمال النّحوي في القصائد السابقة جميعها، كقول الشعراء في مختلف العصور الماضية: لَمَامِيشِ، شَيَّابِ، ضِيمِ، سِيلِ، غَيْثِ، رِيحِ، هُدْبَاتِ، عَطْرِ وغيرها من الألفاظ.

نلاحظ أنّ التّوين المستخدم في لهجة تبسة عامّة، هو تنوين الكسر، فلا نرى لتنوين الضّمّ أو الفتح استعمالا، وهؤلاء العرب كسروا كلّ تنوين بداعي الاستخفاف ظاهرا، بينما المدقّق يقف على التّوين في استعمالهم النّحوي في حالاته الثلاث، أي بحالة الرّفْع والنّصب والجرّ، لكنّ تفعيل آليّة الاختلاس يجعل من صوت الكسرة والنّون ظاهرا جدّا، فحالة الكسر أيسر استخداما في الاختلاسات الصّوتية.

إنّ الخصائص النّحوية خلال انتقالها التّاريخي، من العهد العثماني إلى العصر الحالي، حافظت على أبنيتها اللّغوية إلى حدّ كبير جدّا، وراحت تنحصر مع مرور الزّمان

¹ الدمشقي أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من جزر الأمانى _في القراءات السبع للامام الشاطبي المتوفي سنة 590هـ_، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 201.

عند البدو الضّاربيين في البداوة، وتتخلّى هذه الخصائص عن سماتِ كالحركات الإعرابيّة في أواخر الكلم، والتّونين وغيرها مما سبق ذكره، تخلياً محتشماً وليس نهائياً، ذلك أنّنا نجد هذه السمات النّحوية موجودة في البناء اللغوي الشّعري، في القصائد الشّعبية لدى سكّان تبسة عامّة، وأولاد عبيد الشّريف وعرب اللمامشة خاصّة، وهذا الانتقال التّاريخي الذي يمكننا أن نسمّيه انتقال صفات وراثيّة من السّلف إلى الخلف، يؤكّد الانتماء الإثني من جهة، والانتماء الاجتماعي من جهة أخرى، بعدما أكّد الترابط اللغوي العائلي بين لهجات تبسة في كلّ حقبة زمنيّة، فالمستوى النّحوي يعمل عمل العضلات في الجسم اللغوي، فدونه يكون الجسم هزيلاً مريضاً، ومثانة هذا المستوى اللساني تعني أصالة اللهجة وارتباطها الوثيق بمنبع، ذلك المنبع ضارب في الأزل، وارتباطٌ مباشر بلهجة أمّ من لهجات العربية الفصحى القديمة.

2_4_2_ المستوى المعجمي الدلالي:

ترصد المقاربة في هذا المستوى سيرورة الخصائص المعجميّة الدلاليّة، خلال انتقالها الزّمني من العهد العثماني إلى هذا العصر، وتتبع التّطور الدلالي لمفردات المعجم التّبسي، لأنّ التّطور الدلالي هو «التّغير الذي يطرأ على المفردة، سواء أكان المعنى المتطور دلاليّاً جديداً، أم كان قريباً من الدلالة السّابقة، أو حتّى لو انقضى المعنى الأساسي للكلمة نتيجة تعرّضها لعوامل»¹ ويمكن رصد هذا التّطور وما تميّزت به الألفاظ والمعجم التّبسي، خلال الفترات الزّمانية الماضية، من خلال تتبّع منهجيّة الحقول الدلاليّة، وتحليل الألفاظ دلاليّاً وما ارتبط بها من عوامل ودوافع، كانت سبباً في تطوّر تلك الألفاظ أو اختفائها أو تغيّر دلالتها، ويمكن أن نميّز من الحقول الدلاليّة ما يلي:

2_4_2_1_ حقل الأفعال: وتنقسم الأفعال في هذا الحقل حسب الحقبة الزّمانية،

لتيسير المقارنة بينها ومقابلتها، وفرز المتغيّرات فيها وبينها، فتكون في كلّ عصر حسب القصائد السّابقة كالتّالي:

¹ منصور عفراء رفيق، التّطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني، رسالة أعدت لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تشرين، سورية، 2009، ص 11.

أ_ خلال العهد العثماني: رَحَلُوا، قَبِلَ، قَصُوا، قَعَدْنَا، وَاحِي، نَادَى، سَقَنَاهُ، تَعَطَّى، ضِبَّاشِي، يَرْعَبُوشِي، غِرَانَا، سِبِينَاهُ، لِحَق، يَلْقَاهُ، بَرَّ، تَبْنِيك، تَدْرِكُوشِي، نَوَاهُ، عِيَّاط، عَزَم، خَفَقَت، سَار، دَلُّوا، رَاهُم، هَاب، تَوَلَّى، مَنَعْنَاكَ، هَرَمْنَاهُ، إِدَاتُهُ، أَوْصَلْنِي، قَوْلِهِمْ، تَسَاسَاهَا، تَجَمَّلَهَا، دِير، تَعْنَى، تَهَيَّا، لَزُوهُ، نَدُّهُوا، صَدُّوا، خَلَا، حُفُّوا، زُوَزُوا، تَلْفُوشِي، تَقْيَا، اَعْفُوهُ، يَخْبَرُ، بَانَ.

هذه الأفعال الدالة على أنّ أصحاب تلك اللهجة البدوية، هم محاربون بكلّ ما تحمله الكلمة، من خلال ما تحمله الأفعال من معان الغضب، والحراية والشراسة والترحال، لا نجد منها في هذا العصر إلّا ما يمكن استعماله بعيدا عن حقل الحرب، كالأفعال: رحلوا، سقناه، زوزوا، يخبر، بان، راهم، لزوه، خلا، تلفوش، دير، سار، اداته، تولي، قبل وغيرها.

بينما احتفظ البدو الغائرون في البداوة (وليس الفلاحون لأنّ البدو في تبسة هم رحل بالغالبية، بينما ممتهنوا الفلاحة هم أقرب للحضر ولمخالطة أهل المدن)؛ بنسبة معتبرة من الأفعال المستعملة في العهد العثماني، نجد هذا في فئة الشيوخ من قبيلة أولاد عبيد الشرفاء، وكذلك عند عرب اللمامشة ومستعريهم الصّاربيين في البداوة، بالأخصّ الجلامدة وأولاد حميدة وأولاد مسعود، بينما لا نجدها عند أولاد يحيى بتاتا، ذلك أنّهم انتزعوا بداوتهم بمخالطة أهل المدن في الكويف وونزة وتبسة والكاف ومداوروش، وهم بدو مقيمون أصلا ولا يرتحلون. فالأفعال: تَهَيَّا، تَقْيَا، ضِبَّا، هَزَم، خَفَقَت، تَبْنِي، عَزَم، وما شابهها لا نجد استعمالها إلّا إذا تمّ البحث بين مستعملين لغويين في قفارات ثليجان والشرية وبحيرة الأرنب والعاتر، ونقرين وفركان، وتازينت، والمزرعة، وغيرها من مناطق الظلّ المعتم المنسية، وهي خاصّة الرّحل من جلمود وحميدة وعبيد الشريف ومن قلّد لسانهم ممّن سواهم.

ب_ خلال عهد الإحتلال الفرنسي قبل الثورة: يَفَلَا، يِعَاشُوا، يَتَمَاشُوا، تَاتِيهِ، يُقْصُر، لَاطِنِي، دَرَبِي، شَاش، رِيْت، انْصَبْغ، تُوَقِد، بَدِيْت، نَقَاسِيس، تَصْنُتُوا، جِبْتُهُ، سِگَن، نَدَعَس، يَنْقُ، يَرِيْدُوا، دَكْرُوهُ، خَمَل، حَكْمُونِي، نَصْبُوا، حَاحُوهُ، نَادَى، بَعْدُونِي، نَنشِد، صُبْت، نَشْكِي، يَزْدَاش، لِعَج، يَشَالِي، عَدَلْت، دَرَبْت، بَرَا، بَلْغ، خُنْتِي، لَجَا، دَحَق، لَامُونَا، شَابُوا، تَحَشَّمْنَا،

صَامُهُ، يَخْرُجُ، دَهْمُهُ، تَدْيِهِ، يِرَاعِي، عَدَمْنَا، يَعْرِفُنَا، تَهَوَّلْنَا، يَبْهَزُ، يَعْلَمْنَا، رَابُهُ، فَصَلْنَا، جَبْنَا، نَاضُ، يِرَازِيهَا، يِعْبِي، يَنْدَهُ، شَافُونَا، ذَابِنَ، لَزِنَ، تَزَيِّرْنَا، يَحْمِلُ، يَجْمِلُ، عَبْرُ، طَلْبَاتُهُ، يَلْوِي، يَشَارِدُ، طَالُ، تَظْهَرُ، نَلْهَى، زَادُ، لَاحُ.

نقف هنا على الهدوء النفسي الذي تدلّ عليه الأفعال في ذلك العصر، مما يشير إلى أنّ المستعملين اللغويين آنذاك، فرّوا إلى الرومنسية لاستبدال الشّعور بالاستعباد والاحتلال، فأغلبهم كانوا بدوا رحّلا بين جنوب تونس وجنوب تبسة، ولا نجد اختلافا بين الأفعال المستعملة في العهد العثماني وعصر الاحتلال الفرنسي، لكنّ الظاهر من دلالة أفعال عهد الاحتلال الفرنسي؛ أنّ المستعملين اللغويين قد تقلّص مجال ترحالهم، واتّخذوا موطننا واحدا وواضحا، من خلال ما نلمسه من هدوء وشاعريّة في الأفعال، وابتعاد عن نبرة التّحدّي والعنجهيّة التي كانت في عهد العثمانيين.

كذلك قد ورث المستعملون اللغويون الحاليون في تبسة، سواء من أصحاب لهجة أولاد يحيى أو اللمامشة، كثيرا من أفعال عهد الاحتلال الفرنسي، خاصّة البدو منهم فقد انتقلت إليهم هذه الأفعال كما هي، وكلّما كان البدويّ بعيدا عن الحواضر كلما تأصّلت لهجته واستعماله.

جـ_ خلال فترة الثورة التحريريّة: تَرَكَّبَ، هَزَّتْهَا، رَدَّتْهَا، رَشَقَتْهَا، رِحْتَهَا، نَحِسَّ، نَمِثْلُ، طَبَّتْ، حِصْنُهَا، وَرَدْتْهَا، وَانْتَهَا، تَقَوَّتْ، نَدَوْرَ، نَسْرَكِلَ، نَوْصِيكَ، حَارِبَ، مَا تَفْكَشْ، يُوعَارَ، دَرَجَ، دَارَ، تَنْشِفَ، تَطْبِقَ، تَحْرِقَ، تُحْكَارَ، يِرْجِي، تَحْلِي، ثَارَ، يُلْحِقَ، نَفْصِلَ، نَرِيْقِلَ، نَعْدِلَ، يَنْكَلِكِلَ، يَدْعَدَعُ، يَخْلُخِلُ، شَافُهُ، تَخْتَلِ، يِبَاتَ، يِمْرِدَ، كَيْلَ، تَحْصِدَ، يِعْزِمَ، حَاخُوهُ، قَبْلَ، شَبَّتْ، نَجْطُرَ، تَشْعَلُ، حَوْلَ، يَنْقُلُ، طَغَى، عَرَى، رَغَى، نَسْغَى، تَدْبِلُ، وَلَى، عَدَّاتُهُ، رَدَّاتُهُ، بَاصَاتُهُ، عَرَقْنَشْ، فَعَدَّتْ، نَشِفَ، عَشُوا، رَحَلُوا، نَشْبَحْهَا، نَدَّرُولَ، يِرُولَ، دَوَا، ثَوْرِنِي، نَطْبِي، يِنُولَ، يَخْطُرَ، تَرْقَاشْ، سَقَطَتْ، نَجْمَاشْ، يُنْقَرُ، صَرْبُهُ، تِكْدَسْ، طَاحَ، يِتْمُهُ، تِنْجَالُ، مَا صُبْبِشْ، تَوَّقَ، مَا زَالُ، قَامَ، نَابِيهَا، عَجْبُونِي، أَنْظُرَ، إِغْفِرَ، يِظَلُ.

يظهر الانتقال المعجمي للأفعال العربية في عصر ثورة التحرير، قد حافظ على سلاسته وسلامته، فهي الأصالة العربية نفسها والبداءة الجليّة نفسها، ولا زال المستعملون اللغويّون يمثّلون فئة البدو الرّحلّ المحاربين، من خلال دلالة الأفعال المستخدمة، التي توحى بالشراسة والمقاومة والبداءة، رغم أنّ القصائد المختارة كانت فخرية وغزليّة، وكان بالإمكان اختيار قصائد ثورية حماسية، لكنّ تسليط الضّوء على الجانب الأكثر هدوءاً في حياة المستعملين اللغويّين، خلال ثورة التحرير، يقطع دابر أي شكّ في سمة الرّوح الثائرة في ذلك العصر حتّى في أشعارهم الرّومنسية الغزليّة.

لكنّ الاستعمال اللغويّ في هذه الفترة اتّخذ منحى تطوريّاً، من خلال تفعيل آليّة التعريب، التي ألقت بظلالها كثيراً على المستوى المعجمي الدّلالي، والسبب الذي جعل سگان تبسة يستخدمون تعريب اللغة الفرنسيّة، في فترة الثّورة دون أن نجد لهم هذا في الفترة التي قبلها بشكل واضح، هو الاحتكاك، فالمستعملون اللغويّون في فترة الثّورة قد احتكّوا مباشرة بالمحتلّ الفرنسي، من خلال مقاومته ومقاومة عمّاله من الحركي والقوميّة، وقبل هذا فقد كانت مقاومتهم تتخذ شكل حروب العصابات، التي لا تسمح للإثنيات بالاحتكاك الكبير، زيادة على ذلك فقد كان اللمامشة وسگان جنوب تبسة؛ يبتعدون عمداً عن كلّ مكان يتمركز فيه التّواجد الفرنسي، وحتّى في مركز الاحتلال في نقرين في أقصى جنوب الولاية، فقد ابتعد اللمامشة عن نقرين وهي أرضهم، واتّخذوا نفطة والوادي وقفصة نواجع لرحلاتهم، بينما احتدم الصّراع في فترة الثّورة واستقر اللمامشة في مناطق التّواجد الفرنسي، وكان الاحتكاك الإثني كبير، بين الجزائريين الذين يمثّلهم سگان تبسة، والفرنسيّين الذي يمثّلهم العسكر والمعمّرون والحركي وعمّال الإدارة الفرنسيّة، وبذلك كان ضرورة تعريب الكلمات الفرنسيّة التي يحتاجها العرب، لخدمة حربهم الإعلاميّة المتمثّلة في الأشعار الحماسيّة، التي تهجوا الحركي والفرنسيّين، وتقخر بأعمال المجاهدين وبطولاتهم.

وبذلك انتقل تعريب اللغة الفرنسيّة إلى الأجيال التي تلت ذلك الجيل، ولم يكن التعريب ليجد مكانا واسعا، لولا الثورة التحريريّة التي استدعت أحداثها وانعكاساتها تفعيل هذه الآليّة، التي اشتهر بها العرب منذ الأزل.

لكنّ أجيال هذا العصر من القرن الواحد والعشرين، من أقحاح المستعملين العرب ذوي الأصول البدويّة، صاروا يطلقون مسمّيات عربيّة تماما على آلات من صنع غربي، وبأسماء لاتينيّة أو فرنسيّة أو انجليزيّة، فنجدهم يسمّون (المذياع) بـ (القوّال) من كثير القوّال، وهذا منتشر في مدينة تبسة بين فئة الشباب، ويسمّون (المحمول) (portable) بـ (الزّفاف) أي الذي يزفّ الأخبار، ويسمّون (السيارة) بـ (الجرّاية) أي كثيرة الجري، وغيرها من الأسماء والمصطلحات، وهذا الشكّل من الاستعمال وإن كان يخصّ طبقة معيّنة وفئة معيّنة؛ هي فئة الشباب من مدينة تبسة دون غيرها من البلديات، وكما يسمّيه ماريو باي Mario Pay باسم Jargon وهو يطلق على «الكلمات الاصطلاحية الخاصة بطبقة معيّنة أو حرفة»¹ فهو قد أخذ ينتشر بشكل ملفت للانتباه، في أواسط فئات وطبقات أخرى من المستعملين اللغويين، وهذا الأمر ليس بالغريب على العرب، فهم إن لم يعزّبوا الألفاظ الأعجميّة، فهم يجدون لها أسماء عربيّة تتناسب وما تحمله تلك المسمّيات من معان.

2_4_2_ حقل الأسماء: ونجد مجموعة من الحقول الفرعيّة في هذا الحقل، يمكن

توزيعها حسب الفترات الزّمانية سابقة الدراسة كالتالي:

أ_ حقل المشتقات:

أ_1_ خلال العهد العثماني: نميّز صيغ اسم الفاعل التّالية: قاصد، أجواد، دراية،

أسياد، حشّاد، شراية، شكّاية، الرّواد، سامع، قداد، الفجار، باعث، قايد، سابق، شريف، عياط، واحي.

وأسماء المفعول: الملام، مهجور، المهاب، المركوب، مرسل، معلّم، محاحي.

¹ باي ماريو، ص 138.

أ_2_ خلال عهد الاحتلال الفرنسي: نجد أسماء الفاعل التالية: باهي، وْكال، حاط، الواهمة، شاطر، بادي، النَّعَس، الصّادي، لاحق، صاحب، حاضر، شَعَال، الغالي، التّالي، شرّاد، شاهي، شَيّاب، لايم، ضايِم، داھِم، الثّالب، شاقِي، لاهي، شارِد، لاح. بينما نجد أسماء المفعول التالية: معاشي، ميعادي، متقرّس، مكحول، مشاكي، مسلم، الموديّة، مسرّج، مسكّر، مصقول، معتوقة.

أ_3_ خلال فترة الثّورة التّحريريّة: بالنّسبة لأسماء الفاعل نجد: عسات، الماضي، اليابس، شَيّاب، هابط، سَهّار، نازل، ماشي، الثّامن، الواحد، ذابل، خاطر، غاصب، عامل، راقِد، الصّيّاد، جايب، صادق، عاشق، راقب، رجيلة، هميلة. أما أسماء المفعول فنجد من القوائد السّابقة ما يلي: معذّب، مخضّب، مرابط، مرسل، مدعّس، مخاويل، مدورد، مكوفخ، مسكين، مزقّت، مرحول، مباصية، مطيش، متنوع، المتقنطر، ممرغد.

نلاحظ الانتقال الثّابت والسّليم لدلالات أسماء الفاعل وأسماء المفعول، من العهد العثماني فعهد الاحتلال الفرنسي، إلى فترة الثّورة التي صار اسم الفاعل واسم المفعول فيها، يُصنعان أيضا من تعريب اللغة الفرنسيّة، ككلمة: (مباصية) اسم مفعول من (باصا) المعرّبة من passer التي تعني فات ومضى بالعربيّة، وأخذت مدلولا غير هذا عند المستعمل اللغويّ الجزائريّ بصفة عامّة، لتكون دلالتها ومعناها (ورّط) و(شكى).

ب_ حقل البداوة: من الأسماء الدّالة على البداوة ما يلي:

ب_1_ خلال العهد العثماني: الثّنايا، الجبال، زرعًا، الخبايل، غزالي، الصّحاري، ريم، العمّاري، سخّاب، النّجع، الأجداد، وْطن، بَرّ، دمايّة، أجواد، الشّرفا، الأهود، العرش، الأبعاد، غزبي، سنّدة، فُمرّيّة (الحمامة)، ورشان (طائر يشبه الحمام)، خيام، طوشان، الرّبّع، الصّيّفان، المركوب، المياه، فزوع، كسدان، نغرة، عربيّة، العُربان، البيل (الابل)، العروش.

ب_2_ خلال عهد الاحتلال الفرنسي: الشّرود، مهريّة، الغزال، السّجر، بوسروال (الصقّر)، شرّاد، ريم، الفالي، شرّاش، زرزاري، سيل، حملة، الجاش، فتيلة، الواهمة، رجيلة،

مسرح، الثالب، ظابي، ميعادي، متقرّس، بادي، تاويل، دُوار، الجُرّة، ذيب، شعويّة، عطيل، الرّابي.

ب_3_ خلال فترة الثورة التحريرية: جُنّدار (قصة شعر)، زغاية، القطران، نخلة، شعوية، جريدتها، ثمرتها، الغلالة، حضنتها، سواقي، شمس، القمر، ريدي، مخضّب، عقارب، غزارم، اوبار، ثلب، مخاويل، شويل، مرّسل، عقالين، حصاد، طواحين، مرحول، سفح، الوديان، رسم، سلغة، مُلغة، الصّوّان، الحجر، نجع، الرّهوة، سهّلها، أبطان، سوايح، عود الزان، السرول (السرّو)، الغديان، ريم، سلول، العيدان، متنوع.

نلاحظ الانقطاع الواضح بين الاستعمال المعجمي الآني، في القرن الواحد والعشرين، والاستعمال التاريخي خلال عهد العثمانيين، وعهد الاحتلال الفرنسي، وما بعد الاستقلال حتّى دخول الأفية الثالثة، فدلالة الألفاظ البدوية انتقلت حيّة من عصر إلى عصر، ودخلت في سبات عميق منذ دخول القرن الواحد والعشرين للميلاد، والسبب جليّ وهو تمدّن البدو في تبسة بنسبة فاقت النّصف منهم، وحتّى من ظلّوا في البوادي فالعولمة لم تترك لهم المجال للحفاظ على مقوّمات الأصالة، أي الهوية اللغوية الحقيقية، وما تحمله الهوية عامّة من حمولات ثقافية وتاريخية وعقائدية وغيرها، رغم حفاظ بعض الأعراب جنوبا على بعض الألفاظ ذات الدّلالة على البداوة، لكن بصفة عامّة فجميع المستعملين اللغويين في ولاية تبسة، قد نزحوا نحو الشّكل الحضري للاستعمال اللغوي، ذلك الشّكل المقلّد المتأثّر بمدن كبرى، كعنابة وقسنطينة والعاصمة.

ج_ حقل الحرب: يمكن ملاحظة الأسماء الدّالة على الحرب، من خلال كلّ عصر،

وقد كانت كالتّالي:

ج_1_ خلال العهد العثماني: البوداش، الرّمّل، الجيوش، الحرب، عياط، العروش،

أعلام، أسياد، حشّاد، شكّاية، زمول، سنده، حماية، جيش، شوّاش، الوطن، المّهاب، سيّة، الطّغيان، غزو، فزوع، الفجّار، النيران.

ج_2_ خلال عهد الاحتلال الفرنسي: الحرب، ندغس، البلا، الصادي، حربات، هشاش، شجعان، الحرّ، مشاكي، دسّة، داهمنا.

ج_3_ خلال فترة الثورة التحريرية: حصونات، سور، عسات، أفعال، زكرم، شكالات، الطيارات، الدبابات، اطناك، الموطارات، مات، سمومات، عفاريت، النار، عرمم، سكك، صواق، قنابل، المدفع، فوشي، جند، مدغس، متين، القوّة الصحّة، قزين، أنيايه، سكاكين، ضروسه، حبّه (رصاصه)، دمه.

خلال السّيرورة الزّمانية، من العهد العثماني إلى وقتنا الحالي، نجد أنّ خصائص معجميّة قد اضمحلّت واختفت، مثل الألفاظ ذات الدّلالة على الأتراك، كالكلمات: بُوداش، الرّمل، شوّاش وغيرها، وكذا لفظة الغزو التي اختفت خلال عهد الاحتلال الفرنسي، ويتميّز العهد العثماني بألفاظ ذات دلالة على الحرب، أقرب إلى اللغة العربية الفصحى المستعملة بين قبائل العرب، التي تعيش حياة الغزو والإغارة، بينما مرحلة الإحتلال الفرنسي تتسم الدّلالة المعجميّة فيها بتأثرها بالعصر الذي قبله، وبداية عهد جديد من اللفظ المعجمي المستعرب، الدّالّ على الحرب، ككلمة: الصّادي التي يقصد بها الرّصاص، ثمّ (الفوشي) و(اطناك) وغيرها في فترة الثورة.

وتظهر الشّدّة نفسها في طبيعة المستعملين اللّغويين جنوب تبسة، فالنّزعة المتمرّدة المستعلية، ذات العنجهيّة الكبيرة، وكلّ تلك الشّراسة التي تظهر دلالاتها في المعجم البدوي التّبسيّ خلال عهد العثمانيين، هي نفسها بصورة أكثر عصرية في فترة الثورة التحريريّة، ويبدو أنّ سكونها في فترة ما قبل الثورة، كان كالهدهود الذي يسبق العاصفة، وهذا أيضا يفسّر احتواء المعجم الخاصّ بلهجة اللمامشة دون غيرهم (أي اللمامشة وأولاد عبيد الشريف والفراشيش)؛ لألفاظ ذات دلالات على الشّخصيّة الحربيّة العدائيّة، فالاستعمال اليومي لما يُداول من سلاسل كلاميّة، تحمل خصائص دلاليّة معجميّة واضحة، مرتبط بأشدّ الارتباط بذلك السّلف المحارب صاحب الكاريزما الشّرسة، لذلك نجد من قول المستعملين اللمامشة:

أخبط الباب. طيش لهيه. حارب بدلا من إلمس. وغيرها من الألفاظ الشديدة التي تدلّ على الشدّة والقسوة.

تفتح مقارنة التطور الدلالي خلال المستوى المعجمي، المجال لرؤية التأصيل لقاموس المستعملين اللغويين الحاليين، فإن كان المستوى الصوتي يعمل عمل الخلايا في بدن اللغة، والمستوى الصرفي يعمل عمل العظام، والمستوى النحوي يشغل وظيفة العضلات والقوة، فإن المستوى المعجمي الدلالي؛ يمثل الشكل العام من لون ورسم نميز به هذا الجسم من ذلك. وقد تغيّر جسم اللهجة التبسية هذا خلال مرور الزمان، وهذه سنة الله في خلقه سبحانه، فالخلف يرث من السلف ويرث ممّن تزوج بهم أيضا، وكذلك كانت اللهجات، فقد انتقلت الخصائص المعجمية الدلالية، بثبات طالما كان المستعملون بدوا، ثم باحتشام كلما تحضّر هؤلاء البداءة، هذا بالنسبة إلى مستعملي لهجة اللمامشة، بينما مستعملوا لهجة أولاد يحيى، فلم نجد قصائد لسلفهم يمكن الاعتماد عليها، لكنّ المصادر التاريخية التي أكّدت أنّ سگان الشمال من الولاية، كانوا أكثر مخالطة للعثمانيين وأكثر مخالطة للفرنسيين وأكثر احتكاكا بالمدن، ومرتبطين جدّا بالشمال الغربي التونسي، أي القصرين والكاف وباجة، ويمكن استنتاج أنّ المعجم اليحياوي كان شبيها جدا بالمعجم للموشي، وأنّ الاختلاف يكمن في بؤرة التأثير اللغوي، فأولاد يحيى أقرب إلى شمال تونس، واللمامشة أقرب إلى جنوب تونس وشمال غرب ليبيا، وإن اعتمدنا على العامل الإثني، فسنعلم أنّ لهجة أولاد يحيى تعتمد على معجم الكعوب، أولئك الذين يسيطرون على شمال تونس وعنابة والطّارف وسوق أهراس، واللمامشة أصحاب معجم بني دباب، أولئك الغالبية في الجنوب التونسي والغرب الليبي.

3_ عوامل تشكّل

اللهجات في ولاية

تبسة

تمهيد:

ذكر علماء اللغة من القدماء والمحدثين عدّة عوامل وأسباب، تتدخّل في عمليّة نشأة اللهجات، سواء انقسام اللغة إلى لهجات، أو تفرّع اللهجة الواحدة إلى لهجات عدّة، وفي هذا المبحث تُعنى الدّراسة بنشأة لهجات تبسة، من حيث ارتباطها التّأصيلي والتّاريخي باللغة العربيّة، ومن حيث كونها لهجات انبثقت من لهجة واحدة، هي نفسها وليدة إحدى لهجات العرب القديمة أو وليدة توالج مجموعة من لهجات العرب العتيقة.

وحيث أنّ اللفظ والجملة هما عبارة لغويّة، وأنّ كلّ عبارة لغويّة «من حيث هي كذلك، تتضمّن نسبة إلى مضمون أو معنى ما. فإن لم يكن للفظة معيّنة مثل هذه النّسبة في إحدى اللغات، خرجت هذه اللفظة على أن تكون عبارة لغويّة.»¹ فإنّ هذه القاعدة تشمل اللهجات أيضاً، فكلّ لفظة أو تركيب بل وحتى كلّ صوت، له انتماء لمستعملين ما، وانتماء للهجة ما من لغة ما، فإن لم يك كذلك فإنّ هذه البنية الصّوتيّة ليست من اللغة في شيء.

لذلك كان من الصّرورة معرفة الانتماء السّلالي اللغوي للهجات تبسة، إذ علمنا تاريخياً أنّ العرب منشأهم كان جزيرة العرب بداية، وانتشارهم كان في كامل البلاد الإسلاميّة، خلال قرون طويلة، وأنّ تبسة من بلاد المغرب التي كانت للأعاجم بداية، ثمّ انتقل إليها العرب خلال الفتح ثمّ خلال هجرة بني قيس عيلان في القرن 12م، ولم نقف خلال المقاربة الآنيّة أو التّاريخيّة على لغة البربر، في الاستعمال العربي في لهجات تبسة، بالشّكل الذي يجعلنا نطلق على مستعملي تبسة اسم المستعربة.

ومنه فإنّ لهجات تبسة تنتمي للغة العربيّة الفصيحة عامّة ولهجة أمّ عربيّة فصيحة خاصّة، لا تخرج عنها أبداً من خلال أداء المستعملين اللغويين، في مستويات اللغة المدروسة آنفاً، وقد ذكرت المصادر الإثنولوجيّة والتّاريخيّة هيمنة بني سليم على ولاية تبسة،

¹ فاخوري عادل، اللسانيات التوليدية والتحويلية، طر، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 1988، ص 33.

فإذا أخذت المقاربة هذا الانتماء بعين الاعتبار، أمكننا الوقوف على أبرز عوامل تشكّل هذه اللهجات، والتي يمكن حصرها في: عوامل إثنية، وعوامل جغرافية، وعوامل اجتماعية.

3_1_ عوامل إثنية:

يُقصد بالعوامل الإثنية المساعدة على تشكّل لهجات تبسة، أولاً البعد الإثني العرقي أو الإثني الاجتماعي، وثانياً البعد الإثني اللغوي، فمن حيث البعد الإثني العرقي؛ فإنّ هيمنة بني هلال على منطقة تبسة خلال هجرتهم المعروفة، خاصة من القرن 12م حتى 15م، جعلت البربر يدخلون في هلال ثقافة ولغة، لكنّ بني هلال الذين كانوا يقيمون وينتجعون في ولاية تبسة، وهم الأناج ورياح، كانوا تحت تأثير بني سليم الثقافي، لكثرة بني سليم في تونس وسيطرتهم على بلاد تونس من جنوبها إلى أقصى شمالها، بل وهيمنة بني سليم على كامل ليبيا حتّى غرب مصر، هذه السيطرة الإثنية لسليم تفرض ثقافتها على المحتكّين بها، من عرب وبربر، ثمّ إنّ هلالاً انجابوا غالبيةً إلى الغرب، ودخلت سليم بفروعها: الكعوب ومرداس ودباب وهيب، ومن حالفهم من فزارة والمعقل، إلى تبسة حسب ما جاء في المقاربة الإثنية لأهل تبسة، فيمكن القول أنّ الكثرة السليمية تفرض ثقافتها ولهجتها، وتؤثر فيمن اندرج تحت لوائهم من الأحلاف والموالين لهم، من زناتة ونفزاوة وهوارة، بل وحتّى هلال وبلحارث وفزارة.

ومن جهة أخرى فالإثنيات المجاورة لولاية تبسة، والتي لها علاقات وطيدة ومباشرة بسكان تبسة منذ أواخر العهد الحفصي حتى هذه الساعة، هم الكعوب ومرداس في سوق أهراس ومن اندرج فيهم من دريد الهلالية وهوارة وأداسة، وكعوب الغرب التونسي في القصرين والكاف، وعدوان وطرود في سوف ناهيك عن بني سليم الذين يمثلون غالبية سكان واد سوف، بما فيها من بطون كبني هيب ودباب وعلاق وغيرهم، وكعوب مسكيانة الذين هيمنوا على هوارة هناك، بينما لا نجد تأثيراً بسكان خنشلة، رغم الروابط الاجتماعية والإثنية الكبيرة، بينهم وبين أهل تبسة خاصة اللمامشة، وقد يكون سبب ذلك كما ذكر المستشرقون

الفرنسيّون، هو أصول العلاونة والبرارشة التّونسيّة الليبيّة، وكذلك أصول أولاد يحيى السّلميّة التي تميل دوماً إلى تونس.

أمّا البعد الإثني اللغوي، فهذا يحيل بالبحث إلى النّش في أغوار الماضي اللّساني، والتّأصيل للهجات تبسة، بيد أنّ الجغرافيا اللغوية منهج لا يعتمد على التّأصيل، لأنّه يرتكز على مقابلة اللهجات، وفرز ما اختلف من خصائصها جغرافياً، وحتّى الدّراسة التّاريخيّة فهي بحث في جغرافيا اللهجات التّاريخيّة، فإن احتاج البحث إلى تأصيل أو دراسة في الدّلالات اللغوية، كان ذلك ضرورة وإن لم يحتج له على الباحث الاعتماد عليهما، والتّأصيل أو التّأثيل كما يسمّيه اللغويون المحدثون هو «ردّ الكلمة أو المصطلح إلى أمّها مباشرة القريبة منها»¹ وهذا إجراء يحتاجه البحث في العوامل الإثنيّة اللغويّة، التي ساهمت في تشكّل لهجات تبسة، وقد علمنا من قبل أنّ «الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتّكل في الغريب، وفي الإعراب، والتّصريف، ثمّ هُذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيين»² وكذلك ذكرت المصادر أشكال لهجيّة عديدة، نسبتها لقبائل من العرب، يمكن أن تعتمد عليها مقارنة الأصول اللغويّة للهجات تبسة.

نجد من أهمّ خصائص اللهجات التبسيّة الإمالة، وقد «طالعتنا كتب اللغة والنحو أنّ أصحاب الإمالة هم تميم وقيس وأسد وعامة أهل نجد»³ من ذلك قول الدّمشقي: «الإمالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم،

¹ عواريب سليم، الأصول الإبتيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التّأثيل والترسيس في اللغة، مجلة مقاليد، 9، الجزائر، 2015، ص 125.

² السيوطي جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، 101-102.

³ الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث _القسم الأول في النّظامين: الصوتي والصرفي، الدار العربيّة للكتاب، مصر، 1983، ص 68.

فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامّة أهل نجد من تميم وقيس وأسد.¹ وكذلك التّضجّع «في الحركات كالإمالة والخفض.»² وقد نسب البغدادي ذلك لقيس. كذلك اختلاس الحركات وهي «ظاهرة وُجدت في أعراب عقيل وكلاب، وقد أثبت أنّ الظاهرة نفسها وُجدت في أزد الشّراة.»³ وعقيل وكلاب من قيس كما هي سُليم وهلال من قيس.

كما نجد كثيرا من عمليات الإبدال الصّوتي في لهجات تبسة، مثل إبدال الصّاد سينا «يقال: لصق به يلصق لصوقا _وهي لغة تميم، وقيس تقول: لسق، بالسّين.»⁴ وهذا استعمال أولاد يحيى وحضر اللمامشة، بينما غالبية اللمامشة ومن اندرج فيهم يقولون: لزق، بالزّاي وهذه من لهجات طيئ.

ونجد أهل تبسة جميعهم يقولون: (الضّبّع)، والقدماء منهم يقولون: (الضّبّع) ولا نجد قولاً لهم ب: (الضّبّع)، فاسم «(الضّبّع) بضمّ الباء في لغة قيس وبسكونها في لغة تميم.»⁵ وهذا التّحريك في السّواكن مستعمل بكثرة في لهجات تبسة، كقولهم: (النّسر) بدلا من (النّسر)، (النّمر) في الحواضر و(النّمر) عند عرب اللمامشة وأولاد عبيد الشّريف.

وأشهر ما يستعمل أهل المغرب عامّة وسكّان ولاية تبسة خاصّة، هي القطعة وهي «في طيئ كالعننة في تميم، وهو أن يقول: يا أبا الحكا _يريد: يا أبا الحكم_ فيقطع كلامه.»⁶ ونجد هذا في نطقهم للأسماء التّالية: بلقاسم بدلا من أبا القاسم، بلهادي بدلا من أبا الهادي، بلحسن بدلا من أبا الحسن وغيرها، وقد علمنا أنّ طيئ لهذا العصر لا تأخذ بهذا الاستعمال، حيث نجد جميع أهل المشرق العربي عامّة لا تستعمل القطعة هذه، أمّا المغاربة

¹ الدمشقي أبو شامة، ص 204.

² باشا أحمد تيمور، لهجات العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص 67.

³ المرجع نفسه، ص 65.

⁴ الجندي أحمد علم الدين، ص 71.

⁵ المقرئ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، لبنان، 1987، ص 135.

⁶ باشا أحمد تيمور، ص 07.

فقد عمّ فيهم بسبب اتخاذ قيس عيلان وبلحارث وقريش هذا الاستعمال، مقلّدين به طيئ لما كانوا يجاورونها في جزيرة العرب ثمّ في صعيد مصر قبل هجرتهم إلى بلاد المغرب.

ومن استعمالات أهل ولاية تبسة أنهم يقولون: (رُضوان) في عرب اللمامشة وأولاد عبيد، و(رُضوان) في أولاد يحيى والبربر المستعربة في اللمامشة، وجاء في القراءات القرآنيّة (رُضوان) «بضمّ الرّاء وهي لغة تميم وبكر وقيس عيلان»¹ وقد دلّتنا المصادر التّاريخيّة أنّ ولاية تبسة لا يوجد بها من قبائل بكر ولا تميم، لكنّ قيس عيلان من هلال وسُلّيم وفزارة، وكذا عدوان وفهم جنوبها هم الغالبيّة من العرب في المنطقة.

ونجد التّمايز في نطق الضّميرين (هُو) و(هَي) بين أولاد يحيى واللمامشة، فالمستعملون اللغويّون الشّماليّون أي أولاد يحيى، وأيضا أهل تبسة وبكارية، يقولون: (هُو) و(هَي) بإثبات فتحة الياء، بينما اللمامشة وكلّ البدو جنوبا تُسكن الواو والياء، فيقولون: (هُو) و(هَي) وقد «نُسب إلى قيس وأسد تسكين الواو من هو والياء من هي»² كما نجد ظاهرة إلزام الألف في المثني في كلّ الحالات الإعرابيّة، وقد اشتهرت بها قبيلة بلحارث بن كعب وكذلك «خنعم وزبيد وكنانة وبني العنبر، وبني هجير وعذرة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل»³ وهذا الاستعمال شدّ عن هذه القاعدة في تبسة، وشمل كل ياء مد مثل كلمة: (عَلَيْها) تصير (عَلَاها) وما شابهها، وهذا عند أولاد مسعود وأولاد حميدة من اللمامشة، وعند الهرايسيّة بكثرة عند أولاد يحيى.

ويستعمل أهل تبسة كلّهم لغة أكلوني البراغيث، وهي لهجة لطيّ شهيرة، وكذلك ميلهم إلى استعمال الياء بدلا من الواو في المعتلّات، كقولهم: (رَجِيت) بدلا من (رَجَوْت) وجاء في المصباح المنير: «رفوت الثّوب رفوا من باب قتل، ورفيته رفيا من باب رمى لغة بني

¹ عبود ميساء صائب رافع، لهجة كنانة _دراسة لغوية_، ع203، كلية التربية بنات، جامعة بغداد، العراق، 2012، ص 165.

² كريم محمد رياض، المقتضب في لهجات العرب، الدار العربية للكتاب، مصر، 1996، 149.

³ المرجع نفسه، ص 151.

كعب.»¹ والفعل (رفا) مستعمل كثيرا في تبسة، وباستعمال بني كعب، الذين هم من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن أخوة بني هلال وأبناء عمومة بني سليم، يتّضح سبب استعمال أهل تبسة له، إذ أنهم وبني كعب من أرومة واحدة.

والحديث على بني عامر بن صعصعة وهم غالبية عرب الجزائر، يأخذنا إلى استعمالهم صيغة مفردة في فعل الأمر لمعتلّ الآخر، كقولهم: (ادع)، ولغة «بني عامر (فادع) بكسر العين، وقياسها دعا يدعُو، ولكنّ بني عامر جعلتها من ذوات الياء فأصبحت عندهم (دعا يدعي).»² وهذا رائج جدا في لهجات تبسة عامّة.

ثمّ إنّ من أشهر الاستعمالات اللغوية لدى أهل تبسة، إعمالهم للفعل (قال) بدلا من (ظنّ)، فيقولون: انا نقول رمضان غدوة. يريدون بها: أنا أظنّ رمضان غداً، وقد ذكرت المصادر أنّ بني سليم «يُعملون القول عمل ظنّ مطلقا فينصب مفعولين، فيقولون: قلت زيدا قائما، أي: ظننت زيدا قائما.»³ وهذا الاستعمال لا يقتصر على إثنية دون أخرى بل يعمّم جميعا.

ونجد في معجم أهل تبسة تفرّدات ككلمة (نكّص) وهي من (نكّص) دون تشديد، وقد وردت بالقرآن الكريم، وتعني الإحجام والتّوّلي مدبرا، ويستعملون (نكّف) عند بدو الجلامدة، وهما استعمال خاصّ ببني سليم، والملاحظ هنا «انفراد بني سليم باستعمال نكّف مرادفة لنكّص، كما انفردت بنو سليم باستعمال نكّص بمعنى رجع.»⁴ وتطوّرت دلالة (نكّص) إلى معنى الاهتزاز والاضطراب والجزع.

ويستعمل سكان تبسة كلمة (المخفل) وهي خاصّة بني سليم قديما، وانتقلت إلى أجيال هذا العصر منذ الجاهلية، كذلك يستعملون الفعل (دَحَس) بمعنى سوّى وطحى، بينما معناها

¹ المقرئ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ص 89.

² الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث _القسم الثاني: النظام النحوي_، ص 575.

³ كريم محمد رياض، ص 158.

⁴ البدارين مؤمن عمر محمد، لهجة بني سليم _دراسة لغوية_، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)،

مج19، ع1، فلسطين، 2011، ص 995.

الأصلي هو الإفساد، وقد انفرد بنو سُليم من قبل بهذه اللفظة وهذا المعنى، حيث أنّ بني سُليم «انفردوا؛ بجعل مكبُوس مرادفة لكلّ من مدحوس ومكدوس، وهذا خاصّ بهم بشهادة الأزهري وابن منظور.»¹ وجميع أهل تبسة يستعملون: دحس، كبس، كدّس.

كما يستخدم البدو في تبسة كلمة (النَّجَع)، ولا تزال مستعملة للآن، ويقول بدو من اللمامشة ببئر مقدم والشريعة وأجاريح ثليجان: العَرش نَجَع للبرّ الأوّل. يريدون ب: نجع معنى رَجَع، وقد جاء في تهذيب اللغة: «وقال ابن الفَرَج: سمعت بعض بني سُليم يقول: قد رَجَع كلامي في الرّجّل ونَجَع فيه بمعنى واحد.»² وهذا يشير إلى لهجة بني سُليم في ولاية تبسة أيضا.

ومن أهمّ ما يميّز لهجة البدو في تبسة عامّة، استعمال لام الأمر مفتوحة كما استعملتها بنو سُليم من قبل، من ذاك قول لهم: لَنُزُوح يَجِيْبُهُ. وكذلك قول الشاعر العبيدي نصر بن غانم:

من ضاق حال بيه شَيَّاب سود لِيصبر والصّبر عزيمة

وقد جاء في البحر المحيط أنّ فتح لام الأمر «لغة بني سُليم»³ وقد قرأ بها هكذا أبو عبد الرحمن السلمي والحسن والزّهري.

يظهر ممّا سبق انتماء لهجات تبسة إلى لهجة قيس عيلان، وهذا يدعم التّحقيق التاريخي الذي يقول بغلبة قيس عيلان على إثنيات هذه المنطقة، وهذه الغلبة نشأة من الصّراع الإثني، الذي بدور يحمل معه صراعا آخر هو لغويّ، والصّراع اللغوي يكون «نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشّعوب أرضا يتكلم أهلها لغة

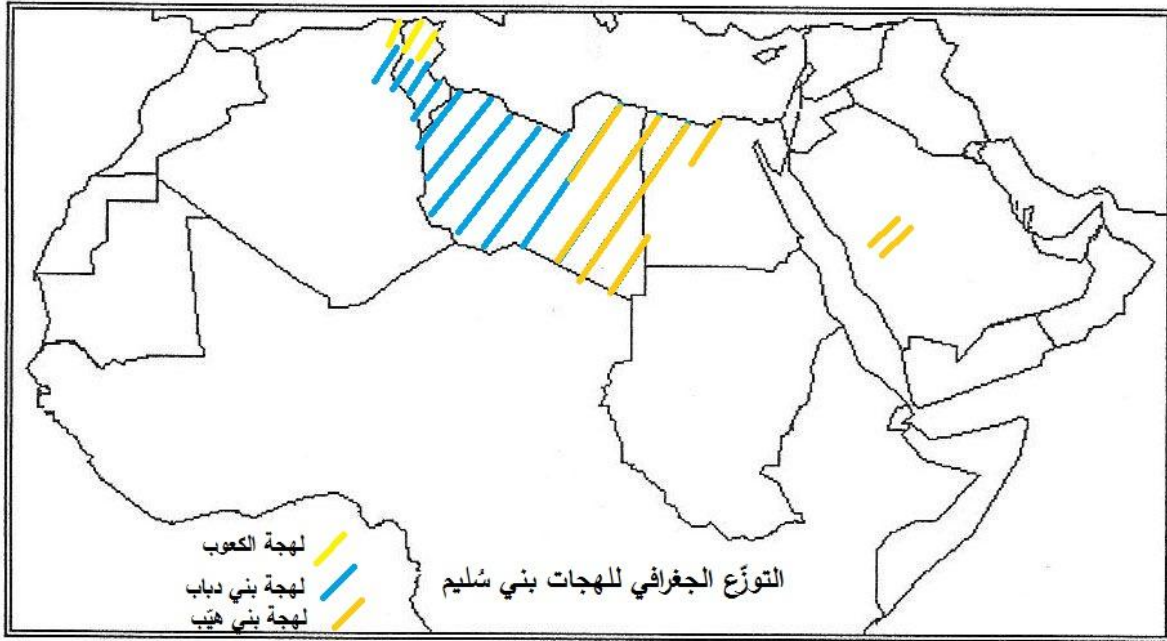
¹ البدارين مؤمن عمر محمد، ص 994.

² الأزهري محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، ج1، ط1، دار احياء التراث العربي، لبنان، 2001، ص 236.

³ الأندلسي أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993، ص 48. وارتشاف الصّرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1998، ص 1855.

أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة.¹ ويبدو أنّ اللهجة السلمية قد فرضت نفسها، على كل اللهجات في ولاية تبسة، رغم توالي الشعوب والقبائل والإثنيات على منطقة تبسة طيلة العصور الماضية، وهذا العامل يبعث بقوة في تشكّل لهجات ولاية تبسة، لذا كان من الضروري ربط البحث اللهجي بنظيره الإثنولوجي، فكليهما يخدم الآخر كثيرا، ولا نستطيع دراسة اللهجة بمعزل عن السياق الإثني، إلا أن تكون دراسة بنيوية آنية هدفها الوصف دون التحليل والتفسير.

ويمكن ملاحظة التّطابق الكبير بين لهجات بني سليم، في المنطقة الممتدة من غرب مصر إلى شرق الجزائر، وشمال شرق مكة في منطقة سيطرة بني سليم، والخريطة الإثنولوجية التالية توضّح مجال لهجات سليم:



خريطة توضّح التّوزع الجغرافي للهجات بني سليم في الوطن العربي

¹ أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، ص 23.

3_2_ عوامل جغرافية:

عزا اللغويون تشكّل اللغات واللهجات إلى الطّبيعة الجغرافيّة، التي تؤثر حسب نظرهم في الأداء اللساني، وكان العرب سبّاقين في تصنيف اللهجات جغرافياً، فقالوا بلهجة الحجاز، ولهجة نجد، ولهجة تهامة ولهجة اليمن، وجعلوا سبب التميّز بين كلّ لهجة وأخرى؛ العزلة وقالوا أنّ «هناك لهجة محدّدة في كلّ منطقة، يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة، وحتىّ عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين، فإنّه يبقى أنّ كلّاً منهما تتميز في مجموعها ببعض السمات التي لا توجد في الأخرى.»¹ وهذا أمر ملاحظ لا شكّ فيه، وبهذا تكون العزلة الجغرافيّة سبباً في اختلاف اللهجات، لكن هل العزلة يمكن تصنيفها عاملاً جغرافياً؟

لا يمكن جعل العزلة عاملاً جغرافياً، فهي عامل اجتماعيّ جدّاً، فالمجموعة اللغويّة تتعزل اجتماعياً، باتخاذها حيّزاً جغرافياً يفصلها عن غيرها، فالبعد الجغرافي هنا وسيلة وليس سبباً، بل وقد جعل كثير من اللغويين من البيئة عاملاً مباشراً في التشكّل اللغوي، فقالوا: «إذا كانت البيئة تؤثر على سكّانها جسمياً وخلقياً ونفسياً، كما هو الواقع فإنّها كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام.»² فتأثير البيئة في البنية الفيزيولوجيّة والنفسية للإنسان؛ صار أمراً واقعاً مسلماً به حسب هذه النظرة، كأننا نقول بنظريّة التطور ونسلم بمفرداتها دون أن نعمل بعض التفكير، وبهذا فالقبول وهو سمة سيئة تعرقل البحث، صار قاعدة نبني عليها فكرنا اللغوي.

والحقيقة هي أنّ البيئة لا تؤثر في الإنسان إلاّ بنسبة ضئيلة جدّاً، ولو كان كما زعموا لرأينا أهل الصحراء جميعاً بشكل واحد ونفسية واحدة وخصائص صوتية واحدة، ولو بنسبة تتجاوز النصف من الكلّ، لكننا نجد عرب الجزيرة كلّاً بشكل وكلاً بلسان، فأهل مكّة ليسوا كأهل البصرة، وأهل دبي ليسوا كأهل المنامة، وعرب الجزيرة ليسوا كالطّوارق في الصحراء

¹ الدليمي رياض عبود غوار، ص 119.

² هلال عبد الغفار حامد، ص 33.

الكبرى، والطّوارق ليسوا كالمزابيّة، والمزابيّة ليسوا كالثّعانبية وهم ملتصقون بيئياً، وعلى هذه الأمثلة نقيس.

لذا لا يمكن قبول آراء تُبنى على الفرضيّة، ونثبّط عمل الملاحظة والتّجربة وتفعيل الحواس، إنّما العوامل الجغرافيّة تؤثر مباشرة في المستوى الصّوتي، بنسبة ضئيلة من حيث مقتضى حال المُستعمل اللغوي، فالذي يحيا بالبيئة القاسية ذات الرّياح دائمة الهبوب، يحتاج إلى نبر أكبر وتتنعيم خاص، وإلى الصّوت الشّديد وتجنّب الهمس، ومع ذلك فهذه القاعدة لا تظهر عامّة بل خاصّة جدّاً، فإذا رأينا أناس يعيشون في بيئات متشابهة جدّاً، لا يتكلّمون لهجات متشابهة، فعندها يقف المتأمّل حائراً، والمثال في لهجة سگان خنشلة بالزّوي أو بقايس، وفي لهجة سگان تبسة في العقلة، فالبيئة واحدة واللهجة تختلف.

بل المثال الأكبر هو مفردات البدو في محافظة البحيرة، وما يستعمله البدو في تبسة، حيث يستعمل بدو البحيرة ومرسى مطروح وبادية الإسكندريّة بعض الألفاظ التالية:

الجُون: وهو كوم السّنابل حصيلة الحصاد، الدّريخة: مكان قرب الجون لدرس السّنابل، المدار: مجموعة الدّواب التي تدور على الدريخة، الحبّاسة: الدّابة داخل المدار، اللّواحة: دابّة خارج المدار تكون بعكس اتجاه الحبّاسة، النّورج: أداة خشبيّة لها أسطوانات حديديّة، ومسنّنة بمثابة عجلات تجرّها الدّابة، التّداري: تصفية المحصول بالمذرة، العون: الرّيح التي تعاون التّداري، الغيزة: هرس الشّعير بحوافر الخيل أو بهراوات خشبيّة، الفرّاحة: المكنسة، العُرمة: الغلّة بعد الدّرس، المرطة: عطا رقيقة وفيها حواف كاللّوحة يوزن بها المكيال ويُعدل، المطامير: حفر كبيرة في الأرض تُخزن فيها الغلّة، اللّغو: الغنم، الدّراع: مرتفع من الأرض، الخنّاب: فأر الحقول الذي يسرق المحاصيل، الزّميّة: أكلة من شعير، البودشيش أو الدشيّشة: أكلة من شعير وحليب.

يستعمل بدو تبسة ما يتجاوز 80 بالمئة من هذه الألفاظ، وهنا يفرض التّساؤل التّالي نفسه: لماذا كلّ هذا التّطابق بين فئتين من المستعملين اللغويين، يفصل بينهما آلاف الكيلومترات، ولا نجده بين بدو تبسة وبدو بسكرة أو بدو أم البواقي؟

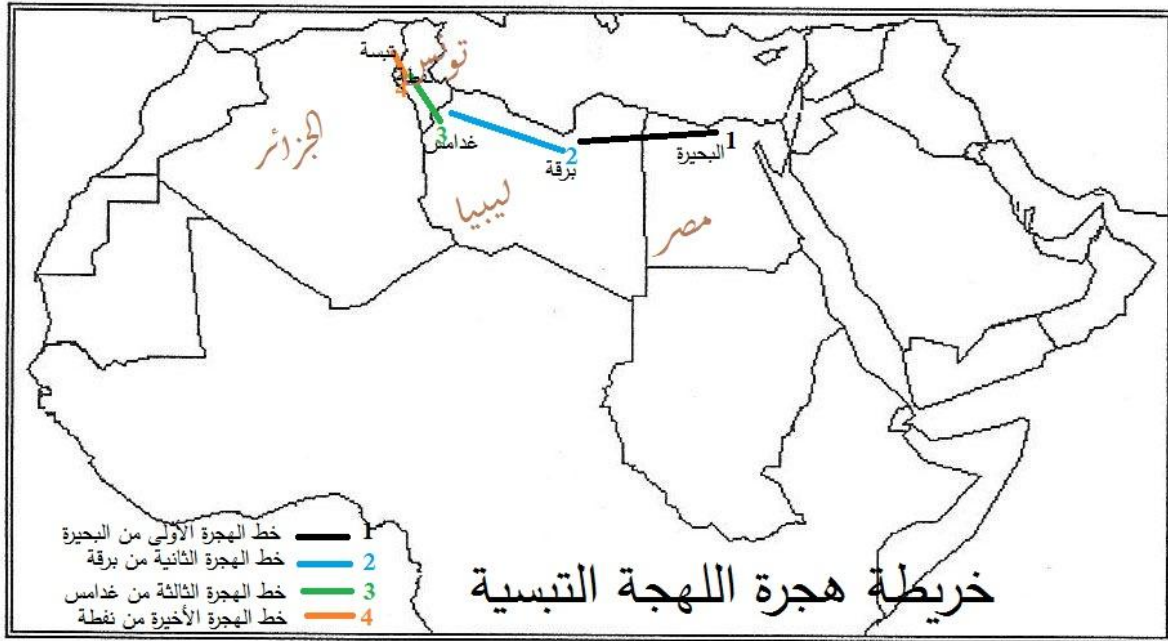
فإن كان العامل الإثني قويا لدرجة الحفاظ على هذه النسبة من المطابقة اللسانية، فلماذا لا نجد هذه الألفاظ وهذا الاستعمال عند الليبيين أو حتى عند فلاحي تونس؟ في هذه الحالة ندرك جيّدا أنّ العامل الجغرافي، المتمثّل في البيئة الخاصّة فقط وليس ما تؤثر به الطبيعة الخارجيّة في طبيعة المتكلم، أي أنّ العامل الإثني قد احتاج إلى حيّز جغرافي معيّن، يتضمّن بيئة بها خصائص معيشيّة معيّنة، كي يصنع تطابقا ومحافظة على إرث لغويّ ضارب في القدم، متوارث من الأسلاف الذين كانوا بدورهم يعيشون في نظام معيشي متشابه في بيئة متشابهة وخصائص جغرافيّة متطابقة.

فبدو البحيرة ومرسى مطروح والإسكندريّة، طابقوا كثيرا بدو تبسة للسمّة الإثنيّة الجامعة بينهما، وهو انتمائهم لبني سليم جميعهم وما اندرج فيها من بربر، وقد أثر البعد الجغرافي في المُستعمل اللساني لديهم، بشكل مباشر وواضح جدّا بحيث كان دور العامل الجغرافي هو الحفاظ على الخصائص اللغويّة لهذه الإثنيّات.

ونجد للعامل الجغرافي دورا بارزا، في انقسام لهجة تبسة إلى لهجتين أساسيتين، تنقسم كلّ منهما إلى لهجة بدو ولهجة حضر، ونجد داخليا انفرادات لهجيّة لبعض القبائل، حيث أنّ النمط البيئي للمامشة، يختلف عنه عند أولاد يحيى، فأهل الجنوب باعتبار الحمّامات وبئر مقدم وما كان جنوبهما، وبكارية وما كان جنوبها، وتبسّة وما كان جنوبها، يعيشون ضمن حيّز جغرافيّ جبليّ صخريّ إلى شبه صحراوي قاحل، بينما أهل الشّمال يعيشون في حيّز جغرافيّ تليّ جدّا إلى منخفض بالنسبة لمنطقة اللمامشة المرتفعة.

وإذا تتبّعنا الجغرافيا التاريخيّة لهؤلاء المستعملين، سنعود رويدا رويدا بخطوات ثابتة، على رقعة جغرافيّة متّجهين شرقا، فأولاد يحيى كانوا بالكاف غرب تونس، وغالبية اللمامشة كانوا بتوزر جنوب تونس، ونرى التشابه الشّديد بين خصائص كلّ هذه المناطق اللغوية، فأولاد يحيى أقرب لسانا إلى سكّان شمال غرب تونس، واللمامشة أقرب لهجة إلى أهل نفطة والرّديف وقفصة.

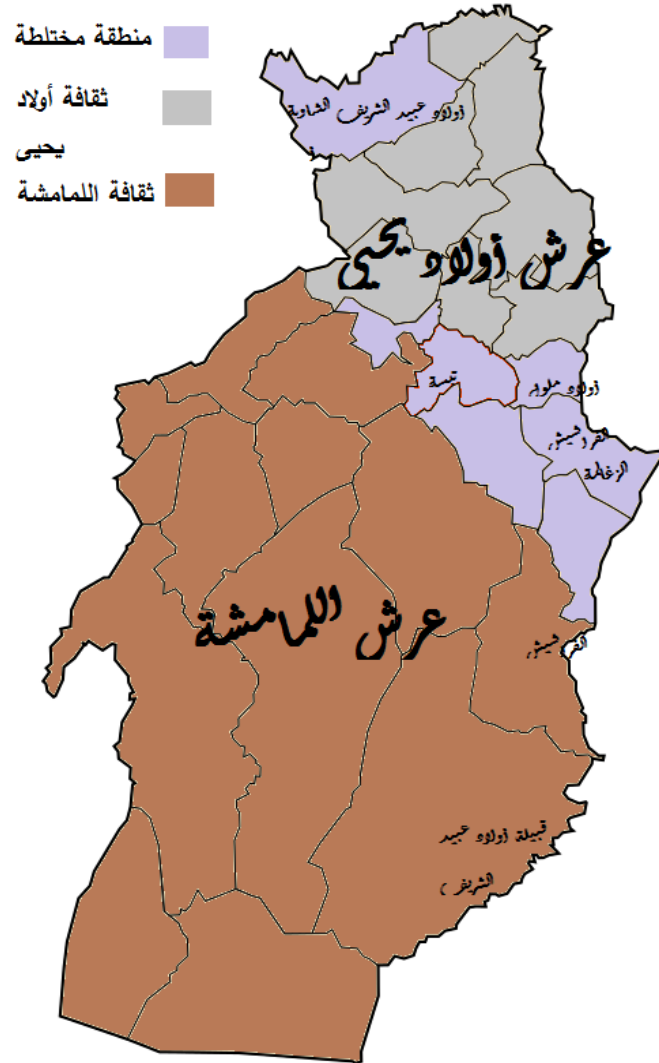
ثمّ جميع هؤلاء أقرب لهجة إلى سكّان غرب ليبيا، الذين بدورهم ينهلون من ماضي لساني، تتميز به منطقة برقة شرق ليبيا، والتي سيطر أهلها على غرب مصر تماما، من قبائل هيّب الضخمة التي تصل إلى الملايين عددا، ويمكن من هذه السيرورة التاريخية المعكوسة، أن نستنتج أن البيئة البدوية الصحراوية وشبه الصحراوية، التي تعتمد المعيشة بها على رعي الغنم، قد ساهمت بشكل كبير في المحافظة على الترابط اللساني بين أصحاب اللهجة السلمية، من مصر إلى الجزائر، ويمكن رسم خريطة لتتقلّ الخصائص اللسانية التّبسية عبر التاريخ، كما يلي:



خريطة توضّح المسار الجغرافي التاريخي للهجة تبسة

3_3_ عوامل اجتماعية:

أكد اللغويون وحتى الأنثروبولوجيون أنّ للعوامل الاجتماعية دورا فعّالا، في عملية تشكّل اللهجات واللغات، وتفرّعها وتوزّعها وتمايز خصائصها، وهذا أمر جليّ عينيّ يمكن رؤيته، والخريطة التالية تمثّل توزّع الاختلافات الثقافية الاجتماعية في ولاية تبسة، التي يمكن من خلالها تتبّع أهمّ العوامل الاجتماعية المساهمة في تشكّل لهجات الولاية.



خريطة توضّح التّوزّع الثقافي الاجتماعي في ولاية تبسة

تتنوع العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللهجة التَّبسيّة، وأهمّها العادات والتقاليد، التي تمتزج بين تراث الجنوب التّونسي وتراث الشّاوية الجزائري، علماً أنّ بالقصرين رهط يتكلّم الشّاوية من قبيلة الفراشيش، وهذه العادات والتقاليد متوارثة من أجيال الأعراب القدماء، الذين دخلوا جحافل من صعيد مصر إلى شمال إفريقيا، وجلبوا معهم ثقافة وتراثاً وعادات بدويّة خالصة، تماهت إلى حدّ عظيم مع ثقافة وتراث وعادات البربر البدو في تبسة، فانصهر الجميع ليشكلوا لوحة فنيّة من ثقافة بدويّة، تحمل معالم العروبة والبربريّة على حدّ سواء.

وهذه العادات والتقاليد حصرت المجتمع التّبسيّ، منذ عهد العثمانيين إلى فريقين اجتماعيين، هم اللمامشة وأولاد يحيى بن طالب، فتقاليد الغزو والسلب والنهب والإغارة، التي تميّز بها اللمامشة جعلت في لهجتهم أشكال الفخر والقوّة والتّعالي، أو كما يسمّيها المستشرقون بالعنجهيّة البدويّة، فوجد التّفخيم في مواضع كثيرة، والإمالة الكبرى في كلّ مدّ من الفتح، بل حتّى في مدّ الضّمّ، كذلك النّبر في مقاطع تحيل دلالتها إلى خطاب التّعالي عادة، والتّنعيم الذي يتوافق مع تنعيم اللهجة القفصيّة والنّفطيّة، كذلك نجد كثرة الإمالة في لهجة أولاد يحيى، نظراً لاستقرارهم على حياة شبه فلاحية إلى بدويّة حضرية، ومخالطتهم السّلطان والمدن والحوضر، كسرت خصائص كثيرة يميّز بها اللسان البدوي، كاستعمالهم القاف كما هو دون أيّ طارئٍ عليه في مناطق مختلفة من جغرافيّة أولاد يحيى، ومعجمهم الذي يختلف كثيراً عن معجم اللمامشة، فالعادات والتقاليد صنعت من قبلُ توحّداً لغويّاً ظاهراً، ثمّ فرّقت بين اللهجات، فتوحّد لهجة اللمامشة وأولاد يحيى كان من خلال تلك الثقافة الصّوفيّة الطّرائقيّة، التي أنجبت لونا أدبيّاً فنياً، كان لأولاد عبيد الشّريف وأولاد التّليبي دوراً فعّالاً في نشأته.

فدراسة موسيقى تبسة إثنوغرافياً، تجعل من الوصول إلى سبب وحدة اللسان التّبسيّ وسبب تفرّقهم مرة أخرى أمراً يسيراً، فالموسيقى الشّعبية بتبسة أي (القصة)؛ هي وليدة الابتهالات والمناجاة الصّوفيّة عند الأضرحة، وكان استعمال آلتها القصبة والبندير هلالياً

أول الأمر، ثم وجه الزكارة¹ هذا الفن إلى مدح الأولياء وراثتهم، فتأثر بهم كل متبع لطريقتهم من اللمامشة وأولاد يحيى، والفراشيش وأولاد التليلي والزغالمة، وهذا التأثير يفرض معجمًا واحدًا وأداءً صوتيًا متميزًا يجمع بين كل المستعملين، وهكذا فقد كان لثقافة الحدو أي الركروكي والطواحي، تأثير جلي في خصائص اللهجة التبسية.

ثم انفرد اللمامشة بلون من الغناء الشعبي، وهو الطراحي والرحبية، وهذا من خلال العامل الإثني البربري فيهم، فبربر اللمامشة من أشد البربر محافظة على الثقافة البربرية، رغم تعربهم الكبير، هذا الانفراد خصص لهم ميزات لسانية، كما خصص لأولاد يحيى ميزات لسانية أيضا، بانفرادهم بطواحيات الأضرحة وبعلاقتهم الكبيرة بجيرانهم الدريدية في تونس، فكان لثقافة هؤلاء البدو تأثير واضح في خصائصهم اللهجية.

لكن هذا التأثير لا يأتي إلا اختياريًا، فالمستعملون للغويون خلال العصور القديمة التي مررنا عليها، كانوا أصحاب القرار في تبني هذه الثقافة أو الابتعاد عنها، وكذلك هم اليوم، فكما انقسم السلف لغويًا وإثنيًا إلى عشائر الشمال وعشائر الجنوب، فإنهم اليوم في تلاحم مستمر وحديث، وقد بدأ كثير منهم بالتخلي عن خصائصه اللسانية المميزة لإثنيته وثقافته ومجمعه، بسبب الانفتاح الكبير والمصاهرة القوية.

ولعل أهم ما يميز المجتمع التبسي اليوم، هو اختفاء الطبقة التي كانت في عهد العثمانيين، حيث انقسم المجتمع آنذاك إلى كراغلة حاكمين، وتجار عاملين، وأعراب يمتنون رعي الشياه والغزو، ثم انتهى هذا التقسيم وتساوى الناس في عصر الاحتلال الفرنسي نوعا ما، مع ظهور طبقة جديدة بين اللمامشة وأولاد يحيى، فاللمامشة كانوا البدو الرحل وأما الآخرون كانوا بدوًا مقيمين ومنهم نصف الرحل، مع مكانة أولاد عبيد الشريف الروحانية، التي يؤمن بها الناس آنذاك، باعتبارهم أصحاب المقام الشريف فهم نسل الأدارسة الكرام.

وفي عهد الثورة وما بعد الاستقلال؛ صار المجتمع بين أبطال مقاومين وخونة مذمومين، وهكذا فقد نال اللمامشة الفخر بما قدموه، بعد تسمية المنطقة الأولى التاريخية

¹ الزكارة: عميرة كبيرة من قبيلة أولاد عبيد الشريف، يقيمون بالريف ونفطة جنوب تونس، ومنهم عوائل في تبسة بين أبناء عمومتهم في بئر العاتر، وفي اللمامشة في أولاد شنيينة من أولاد مسعود.

باسمهم، مع أنّ جميع فئات المجتمع التّبسيّ وإثنيّاتهم جاهدت بالنّفْس والنّفس، هذا العامل جعل للمامشة صورة التّفاخر في لهجتهم، من خلال قوّة النّبر والتّغيم في أدائهم الصّوتي، وانخفاض معدّلهما لدى أولاد يحيى، أمّا أولاد عبيد الشّريف فهم اجتماعيًّا من اللمامشة وإنّ صنّفتهم الدّراسات غير ذلك، لكنّ التّاريخ يؤكّد أنهم منهم باعتبار النّواة الأولى، الشّريف عبيد الله بن خذير والشّريف أحمد بن خذير اللّذان ولدا وترعرا في اللمامشة، وحتّى جميع التّمفصلات التّاريخيّة لقبيلة الشّرفاء كانت بحضور واضح للمامشة، سواء في مقاومة الاحتلال أو محاربة القبائل الأخرى أو في الثّورة التّحريريّة.

وتمكّن أولاد يحيى من السّيّطرة على الوظائف الإداريّة، منذ عهد العثمانيين إلى اليوم، جعل لهم لغة الدبلوماسية التي تحمل خصائص معجميّة تختلف بطبيعتها عن التي عند البدو الصّاربيين في الهمجيّة، والنّبر أيضا قليل في البنية الصّوتية لديهم، والتّغيم خاصّ جدًّا عندهم، فهم يتقنّون أكثر في الخطاب، هذا الذي يفقده اللمامشة ومن كان ضمنهم من الفراشيش وأولاد عبيد الشّريف، بينما يتقنّ الآخرون في نظم الشّعر واللغة العالية الفنّيّة، والباحث لا يحتاج كثير الوقت كي يلاحظ أنّ أولاد يحيى بن طالب لا يشتغلون على الشّعر، بينما يمتنه أولاد عبيد الشّريف ويرعون به، وهذا بسبب مكانتهم الرّوحانيّة عند أنفسهم أوّلا، كنسل شريف عظيم الهيبة، وهذا ما جعل لهم طبقة تختلف كثيرا عمّن سواهم، فانتهجوا نظم الشّعر والتّقنّ فيه، من خلال لغتهم البدويّة التي ورثوها من الجلامدة في الرّديف والعقلة، ثمّ ما كان لهم من ارتباط بجدّهم صاحب الكرامات الرّبانيّة بالنّسبة لهم، فهذا العامل الاجتماعي جعل لهم خصوصيّة لغويّة، وهي البراعة في نظم الشّعر بأنواعه.

ونلخصّ العوامل الاجتماعيّة المساهمة في تشكّل وتفرّع لهجات تبسة، في النّظام القبلي الذي لا يزال يسيطر على الولاية، فهو يحمل بذاته عادات وتقاليد وثقافات خاصّة بكلّ قبيلة، تتحدّ في نقاط وتختلف في أكثرها، حتّى في هذا العصر من العولمة والانفتاح، لا يزال المستعمل اللغوي التّبسيّ يمارس القبليّة في أدائه اللساني، مثلما يمارسها في أدائه الاجتماعي.

خاتمة

يمكن أن نستنتج من خلال الدراسة السابقة؛ مجموعة من النقاط، نستطيع تقسيمها إلى قسمين رئيسيين ونتيجة عامّة كالتالي:

1_ نتائج الدراسة الآتية، وتتضمّن النقاط الآتية:

_ التّطابق الكبير بين لهجة تبسة عامّة واللغة العربية الفصحى بنسبة عالية، من حيث الأداء اللساني في مستوياته: الصّوتي والصّرفي، والنّحوي والمعجمي الدّلالي.

_ الاستعمال الواسع والمهذّب والفنّي للخصائص الصّوتية، لدى المستعملين اللغويين في ولاية تبسة، والتّباين الواضح بين اللهجة اليحياوية واللهجة للموشية من جهة، وبين لهجة البدو ولهجة الحضر من جهة أخرى؛ فنجد ابتعاد المستعملين اللغويين للهجة اليحياوية عن الإطباق والتفخيم، واستخدام الترقيق والإمالة، بينما يستخدم المستعملون اللغويون للهجة اللمامشة الإطباق والتفخيم والإمالة جميعها.

_ قلب الجيم زايا إذا اجتمعت بصوت أسناني صفيريّ كالشين والزّاي والسّين والصاد، استعمال عامّ لدى جميع سكان ولاية تبسة حضرا وبدوا.

_ استعمال ظاهرة الونم عند بطون من البدو الرّحل في قبيلة الجلامدة وانفرادهم بهذا الاستعمال.

_ استخدام صوت القاف في ولاية تبسة لا يمكن التّعيد له، فهو استخدام فرداني لا يخضع لقاعدة، فنجد بعض المستعملين اللغويين ينطقون هذا الصوت صحيحا كما هو في الفصحى، ونجدهم أنفسهم يقلّبونه G بالإنجليزية.

_ استعمال الإمالة الكبرى لدى بدو الشمال وبدو الجنوب، بينما يستعمل الحضر من الطرفين الإمالة الصغرى، ولا يمكن الإشارة إلى التوزّع الجغرافي الدقيق للاستعمال البدوي لهذه الخاصية، لكن يمكن الإشارة إلى التوزّع الإثني للمستعملين اللغويين.

_ وضوح التّمايز الصّوتي بين المستعملين في ولاية تبسة جغرافيًا، حيث تفصل بلدية تبسة بين مستخدمي لهجة الشمال ومستخدمي لهجة الجنوب.

_ أصالة الاستعمال الصّرفي وارتباطه الوثيق باللغة العربية الفصحى، رغم الاختلافات بين اللهجات في ولاية تبسة، وانفراد إثنيات معينة باستعمال البنى الصرفية الفصيحة، مثل قبيلة أولاد حميدة وأولاد مسعود والجلامدة، وقبيلة أولاد عبيد الشريف جنوباً، وعمائر الفراشيش.

_ تمايز الاستعمالات الصرفية للأفعال بين لهجة أولاد يحيى ولهجة اللمامشة، يكون في بعض الاختلافات الفونيميّة، التي تتمثّل في الأصوات الصائتة دون أن يطرأ أيّ تغيير على البنية المورفيميّة.

_ لا تختلف استعمالات المتكلمين في ولاية تبسة عن بعضها بعضاً، للصيغ الصرفية للمصادر، وتبقى كما هي في العربية الفصحى دونما تغيير يطرأ عليها.

_ لا يوجد أيّ تغيير أو اختلافات واضحة في استعمال صيغ المشتقات، سواء في اسم الفاعل، واسم المفعول، بينما نجد تميّز الأعراب من أولاد عبيد الشريف وأولاد حميدة والجلامدة والهرايسية، في الحفاظ على صيغة المبالغة كما هي في العربية الفصحى، بينما يهمل أغلب المستعملين اللغويين دونهم تلك الصيغ، كما لا نجد أيّ اختلاف في استعمال صيغ الصفة المشبّهة في ولاية تبسة، بيد أنّ صيغة (فَعْلَى) تحافظ على بنيتها الصرفية عند قبيلة الجلامدة وأولاد عبيد الشريف ببوادي بئر العاتر وأولاد حميدة، بينما يجعلها البقية دونهم (فَعْلَانَة).

_ تفرّد قبيلة التكاكة وبدو أولاد حميدة وبدو أولاد عبيد الشريف بالاستعمال الصحيح لجميع الصيغ الصّرفية دون أيّ تغيير يطرأ عليها.

_ لا نجد اختلافات صرفيّة في استعمال الجمع، وإهمال صيغ المثني واستبدالها بصيغ الجمع عند جميع سكان ولاية تبسة.

_ الاحتشام الملحوظ في الأداء النحوي الإعرابي، وقلة التباين بين اللهجات التّبسيّة في هذا المستوى اللساني، وانفراد قبيلة التكاكة بالاستعمال النحوي الفصيح إلى حدّ ما.

_ تميّز لهجات تبسة باستعمال الجمل الإسمية لكلّ غرض، ولا نجد أي اختلافات بين المستعملين اللغويين يمكن رصدها.

_ ثراء المعجم التّبسي وارتباطه بسلفه العربي الفصيح، وتباين المعاجم داخليًا في لهجات تبسة بين بعضها، وأصالة المعجم البدوي على حساب المعجم الحضري، وتقرّد بعض القبائل وتميّزها في هذا المستوى اللغوي.

_ التأثير الإثني والبيئي الواضح في توزيع اللهجات جغرافيًا في ولاية تبسة، وتمايزها اللساني فيما بينها، حيث يمكننا رصد كتلتين لغويتين يتشكّلان إثنيًا، هما لهجة أولاد يحيى التي تضمّ مستعملين لغويين من حلف أولاد يحيى ومن كان في إقليمهم الجغرافي من أقليات إثنية شمال ولاية تبسة، ولهجة اللمامشة التي تضمّ مستعملين لغويين من حلف اللمامشة ومن دخل جغرافيًا في إقليمهم من الفراشيش وأولاد عبيد الشريف، والذين يتّصلون إثنيًا ببعضهم بعضًا، كما تتّضح التأثيرات البيئية من خلال تمايز الحضر عن البدوي كلّ من اللهجتين اليحياوية واللموشية، ثمّ انفراد البدو الضّاربيين في قفارات جنوب تبسة بالفصاحة لانعزالهم كثيرًا.

_ تقارب اللهجات التّبسيّة من بعضها بعضًا في عدّة مستويات لسانية، واختلافها في المستوى الصّوتي بشكل ملحوظ، يتوزّع على خريطة الولاية من الشّمال إلى الجنوب فقط، وليس من الشّرق إلى الغرب، كما يتوزّع بحسب التّحصّر والبدادة على محيط البيئات العمرانيّة الكثيفة، والعتيقة في التّمّدن كبلدية تبسة والكوفيف ومرسط وونزة، والبيئات الرّيفيّة والجبلية وقفارات البوادي جنوبًا.

_ استعمال اللغة العربية دون البربريّة بلهجتها الشّاوية عند قبائل البربر بولاية تبسة، إلا عند عمائر بدويّة في قفارات العقلة وثليجان والرّق وقم تازبنت والجرف، من الفراحنة وأولاد بلعيساوي والشوامخ وأولاد سعد والزرادمة، في استعمال محتشم جدًّا تطفى عليه اللغة العربية.

2_ نتائج الدراسة التاريخية التي تحتوي على ما يلي:

- _ الثراء الإثني الذي تتميز به ولاية تبسة، من حيث التواجد العربي والبربري والكرغلي وغيرها، الذي جعل من المجتمع التَّبَسِّي رُغم قبليته فسيفساء عرقية وثقافية رائعة.
- _ الامتداد اللغوي الجغرافي التاريخي للهجات تبسة نحو الشرق، إلى غرب وجنوب تونس، من خلال وصف وتحليل البنيات اللغوية للهجات تبسة، في مستويات الأداء اللساني تاريخياً.
- _ التَّجْدُرُ الإثني والتاريخي لهجة أولاد يحيى في التاريخ الإثني لقبيلة الكعوب العربية، التي تهيمن على كثير من التراب التونسي قديماً، في الوقت الذي ينتمي فيه التاريخ الإثني لهجة اللمامشة ومن كان ضمنهم إلى قبيلة بني دباب العربية، التي تهيمن على جنوب تونس والوادي إلى غرب ووسط ليبيا.
- _ الترابط الوثيق والقوي بين لهجات تبسة الآنية، وسلفها من اللهجات القديمة في عصر الثورة والاحتلال الفرنسي، والعهد العثماني.
- _ التَّميْزُ الكبير بأصالة المعجم التَّبَسِّي خلال العصور القديمة، وثرائه الكبير بمفردات ضاربة في التَّجْدُرُ في اللغة العربية الفصحى، وكذا ارتباط الأداء الصوتي والصَّرْفِي والتَّحْوِي، بنظيره في العربية الفصحى ارتباطاً كبيراً.
- _ تأثر لهجات تبسة بعوامل إثنية بشكل مباشر، وأخرى جغرافية واجتماعية، مكن لها من التَّشكُّل بهذا التَّميْزُ الذي تتخذه الآن، حيث كان التأثير السلمي الدبابي كبيراً في لهجة اللمامشة، الذين عاشوا في بيئة الجنوب التونسي وشمال غرب ليبيا فأخذوا ذلك التأثير البيئي والاجتماعي، في الوقت الذي كان التأثير السلمي الكعوبي كبيراً في لهجة أولاد يحيى، الذين كانوا في الغرب التونسي بالكاف يعيشون في سهول منبسطة تمتد إلى شمال تبسة.
- _ عدم تأثر لهجات ولاية تبسة باللغة الفرنسية خلال ما يقارب أكثر من قرن، بسبب شدة بدو أهلها وتمسكهم بهويتهم العربية، جعل المنطقة سداً منيعاً لا يترك أي تسرب ثقافي

فرنسيّ يصل إلى المناطق التي حول ولاية تبسة مثل واد سوف وخنشلة والقصرين والكاف وسوق أهراس، باعتبار أهمّية ولاية تبسة الإستراتيجية والاجتماعية.

_ لا يمكن الاعتماد على عزل اللغة أو اللهجة، أثناء المقاربة التّاريخيّة، ولا يمكن الاستغناء عن الدّراسة الآنيّة في البحث التّاريخي للهجات.

_ اللهجة وسيلة لغويّة لا يبدو أنّ غايتها التّواصل بل التّمايز، ولا يمكن أن يكون هدف شكلٍ من أشكال اللغة هو التّمايز، إلّا إن كانت الغاية الكبرى للاستعمال اللساني عامّة؛ هي خلق نظام والحفاظ عليه.

يمكن استخلاص نتيجة عامّة من هذا البحث، تتلخّص في أنّ اللغة استعمال لمُسخرات صوتيّة وذهنيّة ونفسيّة، يختلف هذا الاستعمال من جماعة لغويّة إلى أخرى، فيتّخذ شكلا خاصا هو اللهجة، غايته النّظام بين تلك المجموعات داخليّا وخارجيّا، فلو كانت غاية اللغة التّواصل في ذاته؛ لتشابهت كلّ لغات العالم، لأنّ الإمكانيات هي نفسها عند جميع البشر، لكنّ الله عزّ وجلّ جعل الاختلاف في ألسنتنا آية، وهذا الاختلاف يفرض اختلافات اجتماعية وإثنية وجغرافية، والقول بأنّ غاية اللغة التّواصل أمر يجب إعادة النظر فيه، فغاية اللغة هو صنع نظام والحفاظ عليه، وهذا ما يتّضح في مشوار هذا البحث، الذي اشتمل على المقاربة الآنيّة والتّاريخيّة للهجات تبسة، وتوزيعها الجغرافي في الولاية، ذلك النظام هو انفراد المستعملين اللغويين عن غيرهم، إثنيّا واجتماعيا وتاريخيا وجغرافيا، ولذلك كان التنوّع اللساني.

قائمة المصادر

والمراجع

مراجع عربية قديمة:

- 1_ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، ط₁، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001.
- 2_ ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، ج₁، ط₁، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001.
- 3_ ابن جنّي أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي البحّار، ج₂، دار الكتب المصرية، مصر.
- 4_ ابن جنّي أبو الفتح عثمان، سرّ صناعة الاعراب، تح: حسن هنداوي، ج₁، ط₂، دار القلم، سورية، 1993.
- 5_ ابن خلدون عبد الرّحمن بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية.
- 6_ ابن السّراج أبو بكر، الأصول في النّحو العربي، تح: عبد الحسين القتلي، ج₁، ط₂، مؤسّسة الرسالة، لبنان، 1996.
- 7_ ابن فارس أبو الحسين أحمد، الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن، ط₁، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997.
- 8_ الأندلسي أبو حيّان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ط₁، مكتبة الخانجي، مصر، 1998.
- 9_ الأندلسي أبو حيّان، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الجواد، علي محمد معوّض وآخرون، ج₂، ط₁، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993.

- 10_ الأندلسي جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي، شرح التسهيل لابن مالك، تح: عبد الرحمن السيّد، محمد بدوي مختون، ج1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، 2008.
- 11_ الأنصاري أبو جعفر أحمد بن علي، الاقناع في القراءات السبع، تح: أحمد فريد المزيد، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
- 12_ الخضري محمد الشافعي، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: يوسف الشّيخ محمد البقاعي، ج1، ط1، دار الفكر، لبنان، 2003.
- 13_ الدمشقي أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من جزر الأمانى في القراءات السبع للامام الشاطبي المتوفي سنة 590هـ، تح: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، لبنان.
- 14_ السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تع: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
- 15_ السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة، تع: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم، ج1، منشورات المكتبة العصرية، لبنان، 1986.
- 16_ السيوطي عبد الرحمن جلال الدين، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، ج3، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1992.
- 17_ العيني بدر الدين محمود بن أحمد، المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، تح: محمد علي فاخر، أحمد محمد توفيق السوداني، عبد العزيز محمد فاخر، ط1، دار السلام، مصر، 2010.
- 18_ الفارسي ابن علي الحسين بن أحمد النحوي، الايضاح، تح: كاظم بحر المرجان، ط2، عالم الكتب، مصر، 1996.

- 19_ الفاسي ابن أبي زرع أبي الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، السويد، 1823.
- 20_ النّميري ابن الحاج، فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزّاب، تح: محمد ابن شقرون، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1990.

معاجم عربية:

- 1_ ابن فارس أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مج2، دار الجيل، لبنان، 1999.
- 2_ ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مصر.
- 3_ الأزهري محمد بن أحمد الهروي، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، ج1، ط1، دار احياء التراث العربي، لبنان، 2001.
- 4_ جمران محمد أديب عبد الواحد، معجم الفصح في اللهجات العربية وما وافق منها القراءات القرآنية، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2000.
- 5_ ديكرو أوزوالد، سشايفر جان ماري، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عيّاشي، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان.
- 6_ عبّاس مشتاق، المعجم المفصّل في فقه اللغة، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2001.
- 7_ الفراهيدي الخليل ابن أحمد، كتاب العين_ مرتّباً على حروف المعجم_، تح: عبد الحميد هنداوي، ج2، ج3، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

- 8_ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، طه، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005.
- 9_ المبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية _فرنسي-إنكليزي-عربي_، ط1، دار الفكر اللبناني، لبنان، 1995.
- 10_ المقري أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، لبنان، 1987.
- 11_ الخولي محمد علي، معجم علم اللغة النظري، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1982.

مراجع عربية حديثة:

- 1_ إبراهيم رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2001.
- 2_ إبراهيم رجب عبد الجواد، موسيقى اللغة، دار الآفاق العربية، مصر، 2003.
- 3_ أستيتية سمير شريف، علم الأصوات النحوي _ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة_، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2012.
- 4_ الأفغاني سعيد، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، سورية، 1974.
- 5_ الأنصاري أحمد النائب، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، مكتبة الفرجاني، ليبيا.
- 6_ أنيس إبراهيم، في اللهجات العربية، طه، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1996.
- 7_ أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، طه، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1978.
- 8_ باشا أحمد تيمور، لهجات العرب، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017.
- 9_ باي ماريو، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر، 1998.
- 10_ بشر كمال، علم الأصوات، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2000.

- 11_ برسيم قاسم، علم الأصوات العربي، ط1، دار الكنوز، لبنان، 2003.
- 12_ بلعيد صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، ط3، دار هومة، الجزائر.
- 13_ بن عبد العزيز حمّودة بن محمد، الكتاب الباشي، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 14_ بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، مصر، 2003.
- 15_ الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية _ القسم الأول في النظامين: الصوتي والصرفي، الدار العربية للكتاب، مصر، 1983.
- 16_ الجندي أحمد علم الدين، اللهجات العربية _ القسم الثاني: النحوي، الدار العربية للكتاب، مصر، 1983.
- 17_ حسن محمد، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، جامعة تونس، تونس، 1999.
- 18_ خاطر محمد أحمد، في اللهجات العربية _ مقّمة دراسة، مطبعة الحسين الاسلامية، مصر، 1999.
- 19_ خالد عبد المجيد، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 20_ درّاج أحمد عبد العزيز، الاتجاهات المعاصرة المعاصرة في تطوّر دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرّاشد ناشرون، السعودية، 2002.
- 21_ الدّالمي رياض عبّود غوّار، اللسانيات والصّوتيات _ جهود في اللغة والتحقيق، ط1، دار غيداء للنشر والتّوزيع، الأردن، 2014.
- 22_ سعد الله أبي القاسم، تاريخ العدوان، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1996.
- 23_ سعد محمود توفيق محمد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، ط1، مطبعة الأمانة، مصر، 1987.
- 24_ شكر عبد الفتّاح فتحي، الاحياء بعد الانساء، ج2، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر.

- 25_ الضّامن حاتم صالح، علم اللغة، مطبعة التعليم العالي بالموصل، العراق، 1979.
- 26_ الطّنجي محمد بن تاويت، رحلة ابن خلدون 1352-1401، تحرير: نوري الجراح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 27_ الطّيّب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، ج1، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1997.
- 28_ ظاظا حسن، اللّسان والانسان _مدخل إلى معرفة اللغة_، ط2، دار القلم، الدّار الشامية، سورية، لبنان، 1990.
- 29_ عبد التّواب رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1985.
- 30_ عبد الجليل عبد القادر، الأصوات اللغوية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- 31_ عبد الجليل عبد القادر، علم الصّرف الصّوتي، ط8، سلسلة الدراسات اللغوية، 1998.
- 32_ عبد الله رمضان، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، ط1، مكتبة بستان المعرفة، ليبيا، 2006.
- 33_ عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط8، عالم الكتب، مصر، 2003.
- 34_ عمر أحمد مختار، دراسة الصّوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، 1997.
- 35_ عمر أحمد مختار، علم الدّلالة، ط5، ط6، عالم الكتب، مصر، 1998.
- 36_ العنتري صالح، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 37_ العوامر إبراهيم ساسي، الصّروف في تاريخ الصّحراء وسوف، تح: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر، 2007.

- 38_ عيساوي أحمد، مدينة تبسة وأعلامها _بوابة الشرق ورثة العروبة وأريج الحضارات_، ط₁، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- 39_ الفاخوري عادل، اللسانيات التوليدية والتحويلية، ط₂، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 1988.
- 40_ الفايدي حمدي محمود الديداني، الماضي والحاضر في أنساب القبائل العربية، ج₂، مكتبة دار القلم، مصر، 2010.
- 41_ الفقراء سيف الدين طه، المشتقات في العربية _بنية ودلالة واحصاء_، ط₁، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2003.
- 42_ القاضي عبد الفتاح عبد الغني، الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، ط₄، مكتبة السّوادي، السعودية، 1999.
- 43_ قباوة فخر الدين، الأسماء والأفعال، ط₂، مكتبة المعارف، لبنان، 1988.
- 44_ كحالة عمر رضا، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج₂، المكتبة الهاشمية، سورية، 1949.
- 45_ كريم محمد رياض، المقتضب في لهجات العرب، الدار العربية للكتاب، مصر، 1996.
- 46_ محمد عاطف فاضل، الصّرف الوظيفي، ط₁، دار المسيرة للنشر والطباعة، الأردن، 2011.
- 47_ محمد محمد الفتحي بكير، الجغرافيا التاريخية _دراسة أصولية تطبيقية_، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1999.
- 48_ المخزومي مهدي، مدرسة ومنهجها في دراسة النّحو، ط₂، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1958.
- 49_ مصطفى إبراهيم، الرّيات أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط، ج₁، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا.

- 50_ معاذ مهى محمد فوزي، الأنثروبولوجيا اللغوية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009.
- 51_ نهر هادي، الصّرف الوافي_دراسات وصفية تطبيقية_، ط₁، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
- 52_ نهر هادي، علم الأصوات النّطقي_دراسة وصفية تطبيقية_، ط₁، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.
- 53_ نهر هادي، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط₁، مكتبة لسان العرب، 1988.
- 54_ هلال عبد الغفّار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوّرا، دار الفكر العربي، مصر، 1998.
- 55_ هلال عبد الغفّار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطوّرا، ط₂، مكتبة وهيبة، مصر، 1993.
- 56_ وافي علي عبد الواحد، علم اللغة، ط_و، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، مصر، 2004.
- 57_ وافي علي عبد الواحد، اللغة والمجتمع، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر.

مراجع أجنبية مترجمة باللغة العربية:

- 1_ بونت بيار، إيزار ميشال وآخرون، معجم الاثنولوجيا والآنثروبولوجيا، تر: مصبح الصّمد، ط₂، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتّوزيع "مجد"، لبنان، 2011.
- 2_ جاكوبسون رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح، حسن ناظم، ط₁، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2002.
- 3_ دي سوسير فيردينان، علم اللغة العام، تر: يوثيل يوسف عزيز، ط₃، دار آفاق عربية، العراق، 1985.

- 4_ سامسون جيفري، مدارس اللسانيات _التّسابق والتّطور_، تر: محمد زيادة كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 1998.
- 5_ لومبارك جاك، مدخل إلى الاثنولوجيا، تر: حسن قبيسي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 1997.
- 6_ _ ليونز جون، اللغة وعلم اللغة، تر: مصطفى التونسي، ج1، ط1، دار النهضة العربية، مصر، 1987.

مراجع باللغة الأجنبية:

- 1_ BARRIER MARIE ANNE, et autres, Dictionnaire encyclopédique Auzou, Edition Philippe Auzou, France, 2004.
- 2_ CHAMPERS JK, TRUDGILL PETER, Dialectology, 2end edition, Combridge University, UK, 2004.
- 3_ SHOW THOMAS, Voyage dans la régence d'Alger, TR: JMC Carthy, Martin édition, France, 1830.
- 4_ PIQET VICTOR, Les Civilisations de l'Afrique du Nord _Berbères-Arabes-Turc_, 3eme édition, Librairie Armond Colin, France, 1929.

مجلات ودوريات باللغة العربية:

- 1_ ابن جماعة عزّ الدّين أبي عبد الله، إعانة الانسان على احكام اللسان، تح: رياض منسي عيسى، مجلّة الوعي الاسلامي، ع132، الكويت، 2017.
- 2_ الأنباري أبو البركات، ميزان العربية صنعة أبي بركات الأنباري، تح: عبد الله بن محمد السّديس، مجلّة الدراسات اللغوية، مج19، ع3، السعودية، 2017.

- 3_ البدارين مؤمن عمر محمد، لهجة بني سليم _دراسة لغوية_، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الانسانية)، مج19، ع1، فلسطين، 2011.
- 4_ عبود ميساء، صائب رافع، لهجة كنانة _دراسة لغوية_، كلية التربية بنات، جامعة بغداد، ع203، العراق، 2012.
- 5_ عواريب سليم، الأصول الابدستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس، مجلة مقاليد، ع9، الجزائر، 2015.
- 6_ كعوان فارس، المصطلحات الادارية العثمانية في الجزائر، مصطلحات: الباشا_البوداش_البايك كنماذج، مدارات تاريخية، مج1، عدد أبريل 2019، الجزائر، 2019.
- 7_ مرداسي الجودي، اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، مجلة الأثر، ع22، الجزائر، 2015.

مجلات ودوريات باللغة الأجنبية:

- 1_ BRITAIN DAVID JOHN, Geographical Dialectology, Chapter October 2013, Institut für Englisch spoken and literaturen, Universität Bern, Switzerland, 2013.
- 2_ JORDAN PETER, Thoughts on a concept of language geography, RHGT review of historical geography and toponomastics, Vol: 11, No 21-22, Romania, 2016.
- 3_ MASQUERAY E, Ruines anciennes de Khanchla, Revue africaine, 23 eme année, Adolphe Jordan Librairie-Edition, France, 1879.
- 4_ RAVEN I, Mc DAVID JR, RAYMOND K, Sociolinguistics Linguistic geography, Knsas Journal of Sociology, USA, 1973.

رسائل ومذكرات تخرج:

- 1_ منصور عفراء رفيق، التطور الدلالي لدى شعراء البلاط الحمداني، رسالة أعدت لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة تشرين، سورية، 2009.

الفهرس

فهرس المواضيع

الصفحة	العناوين
01	مقدمة
07	مدخل نظري:
08	تمهيد
09	1_ علم اللهجات:
09	1_1 مفهوم اللهجة
12	1_2 مفهوم علم اللهجات
13	2_ الجغرافيا اللغوية
18	1_2 مفهوم الأطلس اللغوي
22	3_ دور الإثنوغرافيا اللغوية في الجغرافيا اللغوية:
22	1_3 مفهوم الإثنوغرافيا اللغوية
24	2_3 دور الإثنوغرافيا اللغوية في البحث اللهجي
28	4_ المنهجان الآني والتعاقبي:
28	1_4 المنهج الآني
29	2_4 المنهج التعاقبي (التاريخي)
30	3_4 المنهجان الآني والتاريخي في الجغرافيا اللغوية
34	5_ التعريف بولاية تبسة:

34	5_1_ الموقع الجغرافي
34	5_2_ أصل التسمية
35	5_3_ التقسيم الإداري بولاية تبسة
36	5_4_ السكّان والتنوّع الإثني
38	الفصل الأول: الخصائص اللغوية للهجات تبسة وتوزيعها الجغرافي_دراسة آنية_:
39	المستوى الصوتي:
40	الأطالس اللغوية
58	1_ مخارج الأصوات
61	2_ وضعيّة أعضاء النطق
63	3_ مقاييس أصوات اللين
66	4_ التباين في النغمة الموسيقية
70	5_ دراسة قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة
75	المستوى الصرفي:
76	الأطالس اللغوية
88	تمهيد
91	1_ تصريف الأفعال:
91	1_1_ المجرد والمزيد

93	2_1_ الأفعال من حيث الزّمان
96	2_ المصادر
97	3_ المشتقات:
98	3_1_ اسم الفاعل
98	3_2_ اسم المفعول
99	3_3_ صيغة المبالغة
101	3_4_ الصّفة المشبّهة
102	4_ الجمع والمثنى والتّأنيث:
102	4_1_ الجمع
103	4_2_ المثنى
104	4_3_ التّأنيث
104	5_ النّحت
106	المستوى النّحوي:
107	الأطالس اللغويّة
123	تمهيد
126	1_ الجملة والأفعال:
126	1_1_ الجملة الإسميّة

126	2_1_ الجملة الفعلية
129	3_1_ الأفعال
132	2_ الضمائر والأسماء:
132	1_2_ الضمائر المنفصلة والمتصلة
133	2_2_ الأسماء
137	3_ الحروف والأدوات:
137	1_3_ الحروف
138	2_3_ الأدوات
138	4_ التواسخ:
138	1_4_ كان وأخواتها
139	2_4_ إن وأخواتها
140	5_ الشرط والإغراء والتحذير:
140	1_5_ الشرط
140	1_5_ الإغراء
141	2_5_ التحذير
141	6_ (ال) التعريف
142	المستوى المعجمي الدلالي:

143	الأطالس اللغويّة
171	تمهيد
174	1_ حقول الأفعال
178	2_ حقول الأسماء
182	الفصل الثّاني: عوامل التّشكّل الجغرافي اللّهجي بالمنطقة _دراسة إثنيّة وتاريخيّة_:
183	1_ الأصول الإثنيّة وتوزّعها على ولاية تبسة:
184	تمهيد
186	1_1_ التوزّع الإثني في ولاية تبسة خلال عهد ابن خلدون
188	2_1_ التوزّع الإثني في ولاية تبسة خلال عهد الشّابّيّة
190	3_1_ أصول القبائل في ولاية تبسة:
190	1_3_1 حلف اللمامشة
202	2_3_1 حلف أولاد يحيى بن طالب
207	3_3_1 قبيلة أولاد عبّيد الشّريف
210	4_3_1 حلف الفراشيش
211	2_ تطور الخصائص اللسانيّة للهجات تبسة:
212	تمهيد
213	1_2_ المستوى الصّوتي

221	2_2_ المستوى الصّرفي
233	3_2_ المستوى النّحوي
244	4_2_ المستوى المعجمي الدّلالي
253	3_ عوامل تشكّل اللهجات في ولاية تبسة:
254	تمهيد
255	1_3_ عوامل إثنيّة
262	2_3_ عوامل جغرافيّة
265	3_3_ عوامل اجتماعية
270	خاتمة
274	قائمة المصادر والمراجع
289	الفهرس:
290	فهرس المواضيع
297	فهرس الأطالس والخرائط

فهرس الأطلس والخرائط

الصفحة	الأطالس اللغوية والخرائط
41	أطالس المستوى الصّوتي:
42	أطلس لغوي رقم 01
43	أطلس لغوي رقم 02
44	أطلس لغوي رقم 03
45	أطلس لغوي رقم 04
46	أطلس لغوي رقم 05
47	أطلس لغوي رقم 06
48	أطلس لغوي رقم 07
49	أطلس لغوي رقم 08
50	أطلس لغوي رقم 09
51	أطلس لغوي رقم 10
52	أطلس لغوي رقم 11
53	أطلس لغوي رقم 12
54	أطلس لغوي رقم 13
55	أطلس لغوي رقم 14
56	أطلس لغوي رقم 15

57	أطلس لغوي رقم 16
76	أطالس المستوى الصّرفي:
77	أطلس لغوي رقم 17
78	أطلس لغوي رقم 18
79	أطلس لغوي رقم 19
80	أطلس لغوي رقم 20
81	أطلس لغوي رقم 21
82	أطلس لغوي رقم 22
83	أطلس لغوي رقم 23
84	أطلس لغوي رقم 24
85	أطلس لغوي رقم 25
86	أطلس لغوي رقم 26
87	أطلس لغوي رقم 27
107	أطالس المستوى النّحوي:
108	أطلس لغوي رقم 28
109	أطلس لغوي رقم 29
110	أطلس لغوي رقم 30

111	أطلس لغوي رقم 31
112	أطلس لغوي رقم 32
113	أطلس لغوي رقم 33
114	أطلس لغوي رقم 34
115	أطلس لغوي رقم 35
116	أطلس لغوي رقم 36
117	أطلس لغوي رقم 37
118	أطلس لغوي رقم 38
119	أطلس لغوي رقم 39
120	أطلس لغوي رقم 40
121	أطلس لغوي رقم 41
122	أطلس لغوي رقم 42
143	أطالس المستوى المعجمي الدلالي:
144	أطلس لغوي رقم 43
145	أطلس لغوي رقم 44
146	أطلس لغوي رقم 45
147	أطلس لغوي رقم 46

148	أطلس لغوي رقم 47
149	أطلس لغوي رقم 48
150	أطلس لغوي رقم 49
151	أطلس لغوي رقم 50
152	أطلس لغوي رقم 51
153	أطلس لغوي رقم 52
154	أطلس لغوي رقم 53
155	أطلس لغوي رقم 54
156	أطلس لغوي رقم 55
157	أطلس لغوي رقم 56
158	أطلس لغوي رقم 57
159	أطلس لغوي رقم 58
160	أطلس لغوي رقم 59
161	أطلس لغوي رقم 60
162	أطلس لغوي رقم 61
163	أطلس لغوي رقم 62
164	أطلس لغوي رقم 63

165	أطلس لغوي رقم 64
166	أطلس لغوي رقم 65
167	أطلس لغوي رقم 66
168	أطلس لغوي رقم 67
169	أطلس لغوي رقم 68
170	أطلس لغوي رقم 69
/	الخرائط الإثنية واللغوية
202	خريطة التوزّع الإثني لقبائل اللمامشة في تبسة
207	خريطة التوزّع الإثني لحلف أولاد يحيى في تبسة
209	خريطة التوزّع الإثني لقبيلة أولاد عبّيد الشّريف في تبسة
261	خريطة توضّح التوزّع الجغرافي للهجات بني سُليم في الوطن العربي
265	خريطة توضّح المسار الجغرافي التّاريخي لهجة تبسة
267	خريطة توضّح التوزّع النّقافي الاجتماعي في ولاية تبسة